الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم العقائد والأديان



" مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر "

دراسة نقدية تحليلية مقارنة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب: أحمد المحمد

إشراف الدكتور: ثائر الحلاق

١٤٣٢هـ-٢٠١١م

الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الشريعة

قسم العقائد والأديان

تمت المناقشة بتاريخ (٤/٧/٢٠١٢م) ونالت تقدير جيد جداً

أعضاء لجنة المناقشة

١- د. تيسير العمر - عضواً

٢- د. ثائر الحلاق - مشرفاً

٣- د. محمد النداف - عضواً

"مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر"

دراسة نقدية تحليلية مقارنة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب: أحمد المحمد

إشراف الدكتور: ثائر الحلاق

١٤٣٢هـ-٢٠١١م

مُقَدِّمَةٌ



إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ[الأحزاب: ٧٠-٧١].

إن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي سيدنا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد:

فقد جاءت هذه الرسالة تحت عنوان :" مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر "، ولهذه المشكلة أهمية كبيرة عند كل الديانات والفلسفات القديمة والحديثة، لما لها من ارتباط مباشر بمسألة وجود الله تعالى وصفاته.

وما من فيلسوف – تقريباً – إلا وأدلى بدلوه في حل هذه المعضلة معتمداً على بناءاته الفلسفية الخاصة التي يؤمن بها في حياته، فتعددت الحلول وتباينت تبايناً واضحاً بتعدد تلك المذاهب والأفكار، فمن مؤمن إلى ملحد، ومن مؤمن بإلهين، أولهما للخير والثاني للشر كالثنوية، إلى مؤمنين بإله ناقص العلم والقدرة يستحق أن يُشفق عليه أو إله في طور الاكتمال.

وفي الفكر الغربي الحديث والمعاصر نجد هذه الأقوال كلها ما عدا قول الثنوية، ونجد كذلك حلولاًواستدلالاتٍ جديدة تدل على خطورة هذه المشكلة وأهميتها لدى المفكرين في كل العصور.

أولاً:أهميةالموضوعوسببا ختياري له:

تعد مشكلة الشر من أهم المشكلات التي رافقت البشرية منذ أن وجد الإنسان على ظهر الأرض إلى أيامنا هذه،وربما إلى قرون قادمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن أهم الأسباب التي جعلت لهذا الموضوع أهميته المميزة:

١- تبحث مشكلة الشر في أهم المشكلات الدينية،والفلسفية التي تتصل – على نحو مباشر-بمسألة وجود الله تعالى وصفاته[١].

٢- إن أكبر مدخل للملحدين - على مر الدهور- في نفيهم وجود الخالق هومشكلة الشر، تلك المشكلة التي لم يستطيعوا أن يقدموا حلاً لها فقادهم ذلك إلى إنكار وجود الله تعالى.ونجد كذلك أن الاعتراض الفلسفي الأكبر على وجود الله- كما يصفه الكتاب المقدس -يتضمن مشكلة الشر؛أولاً: الإله الكلي القداسة والكلي القدرة لا يمكن أن يكون موجوداً مع وجود الشر في الكون، وثانياً: لماذا خلق الله كائناتٍ قادرةً على فعل الشر؟ولماذا لم يخلق كائناتٍ حرةً لا تخطيء[٢] ؟. ومشكلة الشر هي أقوى اعتراض في وجه التوحيد أيضاً[٣].

٣- تنبع أهميتها من صعوبتها، فهذه المشكلة كانت ولم تزل مشكلة المشاكل، فقد حيّرت الفلاسفة والمفكرين حتى استسلم كثير منهم معترفين بعجزهم عن حلّها، ويدل على صعوبتها أيضاً أنه ما من حل قدّم لها إلا وأفرز عدداً من الإشكالات زادت المسألة تعقيداً[٤] .

٤- إن لمشكلة الشر حضورها في العصور الماضية، وما زال هذا الحضور واضحاً في أيامنا هذه، وسيكون كذلك في المستقبل، يقول الأستاذ عباس العقاد في شأنها:"هي مشكلة المشاكل في جميع العصور، وليس البحث فيها مقصوراً على القرن العشرين، ولا نظن أن عصراً من العصور يأتي غداً دون أن تعرض هذه المشكلة على وجه من الوجوه، وأن يدور فيه السؤال على محور قديم جديد"[٥].

٥- كان مفهوم الخير والشر هوالنقطة المركزية في الفكر الديني لمعظم الديانات الشرقية القديمة (السومرية،والأكادية،والكلدانية، والآشورية،والزرادشتية،والمانوية،والغنوصية،والمزدكية) [٦] .

٦- قدم هذه المشكلة يدلنا على أهميتها، فمنذ العصور القديمة مثّل وجود الشر في العالم مشكلة محيّرة، وقامت محاولات عدة لتفسيره والبحث عن مبرر معقول لوجوده، ومما يدلعلى هذا أنّ المجتمع البابلي في الألف الثالث قبل الميلاد كان يفسّر ما يصيب أفراده من شرور بانتهاكهم الأوامر الدينية والمحرمات الأخلاقية[٧]، والسومريون كذلك كان لديهم اعتقاد بأن لكل إنسان إلهاً أو ملكاً خاصاً يلازمه طيلة حياته فيحميه من الشرور، ويقيه من الأمراض والآلام، وإذا ما تخلّى هذا الملك أو الإله عن صاحبه لسوء أفعاله يحل الشيطان محله فيولد فيه الأمراض والآفات والنكبات[٨].

---

(١) *See Readings in the Philosophy of Religion A.Brody,p٢٧٤.*

(٢) انظر مقالة الإلحاد: بيل غوردون، *www.٤tru.com* .

(٣) *See The Oxford Companion to Philosophy:Honderich, p٢٠٤-٢٠٥,*
See also The Argument from Evil: Scott M. Sullivan,p١.

(٤) *See God in Patristic Thought:G.L.Prestige,p١٧٨.*

(٥) عقائد المفكرين: عباس محمود العقاد، ص٦٤ .

(٦) انظر مقالة الخير والشر: يوحنا بيداويد،*www.ankawa.com*

(٧) انظر الألوهية في المعتقدات الوثنية : فاروق الدملوجي، ص٥٥ ، وانظر *Medieval Philosophy:Copleston,p ٣٨١.*

(٨) انظر الألوهية في المعتقدات الوثنية : فاروق الدملوجي، ص٢٨.

٧- واقعية الموضوع وأثره في تصحيح وجهة الناس أمام مشكلات الحياة، فالموضوع ليس دراسةً نظريةً بحتةً يراد منها زيادة في العلم، بل هو ذاك وأكثر، من حيث إنه توجيه عملي للتعامل مع الحياة الواقعية بشكل يتوافق وفطرة الإنسان السليمة في ظل عبوديته لله تعالى.

أما سبب اختياري لهذا الموضوع فهو:

١- رغبتي في المساهمة – ولوبشيء يسير – في حل إشكالات وشبهالمشككين والملحدينفيما يتعلق بمشكلة الشر وما يتصل بها من قضايا الألوهية.

٢- رغبتي في ولوج حقل الفلسفة،ولا سيما الغربية منها، التي يتعامل معها كثير من المثقفين العرب على أنها وحي معصوم، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهذا البحث مما يزيد تعمقي في هذا الجانب، ويعزز ثقافتي الفلسفية التي تجعلني قادراً على فهم كلامهم وأفكارهم قبل الرد عليهم.

ثانياً: الصعوبات:هناك بعض الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث،وهذه أهمها:

١- صلة مشكلة الشر بغيرها من مواضيع كلامية وعقدية أخرى ذات أهمية مثل مسألة وجود الله وصفاته،وكذا موضوع القضاء والقدر والحرية الإنسانية وخلق الفعل الإنساني والخير والشر والحسن والقبح، وكلها مسائل لها ارتباط مباشر بموضوع بحثنا (مشكلة الشر)، كما لها تعلق أيضاًبمواضيع فلسفية أخرى كفلسفة القيم،ذلك أن مشكلة الشر هي أساس المشكلة الأخلاقية، فالشر هونقيض الخير في كل الأبعاد التي يمكن تصورها، ولا يمكن فهم الثاني دون فهم الأول، والشر المقصود هنا هوالشر الخلقي.

٢- تنبع صعوبة البحث في مشكلة الشر من صعوبة حلها، ونلمس هذه الصعوبة في المحاولات الكثيرة التي تناولت حل هذه المشكلة ولكن دون جدوى، فهي " المشكلة التي تثير لدى البشرية قلقاً عنيفاً هيهات لكل النزعات الشكية أوالنقدية أن تهدّئه أو أن تخفّف من غُلوائه"(١) .

٣- كثرة من تناولها بالدرس والبحث من فلاسفة الغرب، فضلاً عن صعوبة الحصول على مصادرهم، والتي لا تزال بلغتها الأصلية،وهنا تبرز صعوبة الترجمة لكثرة المصطلحات الفلسفية التي لم يكن لي سابق عهد بها.

ثالثاً: إشكاليات البحث:

سيجيب هذا البحث عن إشكالية تتمثل في صعوبة التوفيق بين وجود الله وبين هذه الشرور بمختلف أنواعها، من زلازل وبراكين وفيضانات وأمراض وآلام ومعاناة وموت...إلخ. فيتساءل الإنسان عن الشر: ما هو؟ومن خلقه؟ ولماذا خلقه؟ وهل هناك إله خالق للكون حقاً؟ وإذا وجد، هل هوقادر قدرة مطلقة؟ فإذا كان الإله الخالق قادراً قدرة مطلقة، فلماذا هوغير قادر على محوالشر كلّه ليعيش البشر بهناءة وسعادة؟ وإذا لم يكن قادراً قدرة مطلقة، فكيف يكون إلهاً كاملاً؟وهل هذا الإله إله رحيم حقاً؟ إذاً لماذا لا يهتم بمخلوقاته؟ لماذا خلقهم وتركهم يعانون ولم يعتنِ بهم ولم يكترث لما يصيبهم؟ هل من المعقول أن نقول إن الله لا يعلم بمعاناة البشر؟ إذا كان الجواب بالإيجاب، فالله ليس كامل العلم، فكيف يكون إلهاً؟ وإذا كان الجواب بالنفي، فلماذا لا يصنع شيئاً لمخلوقاته التي تعاني؟ وما الحكمة من

(١) مشكلة الإنسان: د.زكريا إبراهيم، ص ٨٨.

خلق الشرور كلها بأنواعها المختلفة من شرور طبيعية وميتافيزيقية وخلقية؟ لماذا لم يخلق الله الخير فقط دون الشر، والنور دون الظلام، والحق دون الباطل، والملائكة دون الشياطين، والطاعة دون المعصية؟.

رابعاً: الدراسات السابقة:

١- الدراسات العربية:

أ- كتاب"العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم عند ابن سينا وموسى بن ميمون وتوماس الأكويني دراسة مقارنة"[١] ، وهي رسالة دكتوراه للباحث ثائر الحلاق،وتقع هذه الدراسةفي أكثر من خمسمائة صفحة،تناول فيها مؤلفها مسألتي العناية والشر بتفصيل عند ابن سينا وابن ميمون وتوما الأكويني، مع دراسة تاريخية عن هاتين المسألتين عند الفلسفات القديمة والحديثة، وعرض الباحث لهاتين المسألتين في الكتاب المقدس، مع إشارات إلى موقف الإسلام من العناية والشر، وقد أفدت من هذه الرسالة كثيراً، حيث كانت مفتاحاً لي للدخول إلى كنه هذه المشكلةوالتعرف بأهم الشخصيات التي قدمت حلولاً لها،كأفلاطون وأفلوطين وأوغسطين وليبنتز وشوبنهور وستيوارت مل ورويس وسارتر وغيرهم، فهذه الدراسة كانت عوناً لي على اختيارأهمالشخصيات التي كان لها إسهام في علاج مشكلة الشر من جهة، ومن جهة أخرى وقفت على أهم الدراسات العربية والأجنبية في الموضوع لكثرة المراجع التي استقى منها الباحث مادة بحثه.

ب- كتاب "الشر في أفعال الله تعالى"لبلال إسماعيل إبراهيم التل[٢]، عالج فيه الكاتب نسبة الشر إلى الله تعالى عند متكلمي المسلمين من الأشاعرة كالغزالي والرازي، مع مقارنات بمتكلميالمعتزلة وفلاسفة غربيين كـ**ليبنتز**وغيره،وناقش الباحث مسألة الجبر في أفعال العباد. يمتاز هذا البحث-على صغر حجمه- بعمق التحليل،وقوة مناقشته لكلام الفلاسفة والمتكلمين،وكشفه عن الفروق الدقيقة بين ما تشابه منها،وسلبية هذا البحث كثرة النقول عن الفلاسفة والمتكلمين التي ربما تجاوزت الثمانين صفحة من مجموع صفحات الكتاب البالغة مئة وثلاثين صفحة تقريباً.

جـ- كتاب "الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي"، د. أحمد محمود صبحي[٣]، وهوكتاب تناول فيه الباحث مسألة الخير والشر عند المعتزلة والأشاعرة، وتطرق إلى مسألة القضاء والقدر ومشكلة الشر الطبيعي والخلقي، وناقش المؤلف الفلسفة الأخلاقية عند أعلام التصوف الإسلامي،كما بينت الرسالة المذكورة أهمية الحل المعتزلي للمشكلة، وقد أفدت من هذا البحث في معرفة حقيقة المشكلة وارتباطها بالمسائل الكلامية الأخرى.

د- مقالة جاوزت الستين صفحة بعنوان "معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة" بقلم محمد بوهلال التميمي[٤]، تناول فيها صاحبها مسألة الشر في الفلسفة المسيحية وخاصة عند توما الأكويني والقديس أوغسطين،وفي الفلسفة الإسلامية عند الفارابي وابن سينا،والفلسفة الكلامية الصوفية عند الإمام الغزالي، كما تطّرق الباحث لحل المشكلة عند المعتزلة. وكان عرض الباحث للمشكلة عبر أربعة عناصر رئيسة؛ يتعلق أولها بمعنى الشر، ويتعلق ثانيها بفاعله، وثالثها بصلة الشر بالصفات الإلهية، ورابعها ناقش فيه ضرورة

---

(١) قدمت في كلية دار العلوم في القاهرة بإشراف أ.د.محمد السيد الجليند، ونوقشت سنة ٢٠٠٥م .

(٢) كتاب غير مطبوع، منشور في منتدى الأصلين، www.aslein.com.

(٣) مطبوع في دار المعارف(القاهرة)، ط٢، ١٩٨٣م .

(٤) بحث غير مطبوع، منشور في موقع الجمعية الفلسفية المغربية ، *www.philosophiemarco.org* .

الشر،وهي مقالة كثيرة الفوائد، فيها تحليلات عميقة لأسباب الخلاف في حل مشكلة الشر بين المعتزلة والأشاعرة من جهة، وبين الفلسفة الإسلامية والفلسفة المسيحية من جهة أخرى.

٢-الدراسات الأجنبية:

أ-كتاب "العناية الإلهية والشر""*Providence and Evil*" لـ**بيتر غيتش** *Peter Geach*(١)، وهوعبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها المؤلف في جامعة ليدسLeeds ثم أفرغت في كتاب، تناولت هذه المحاضرات موضوعات شتى منها القدرة الكليةلله وعلاقتها بوجود الشر في العالم، وحقيقة العناية الإلهية، ومدى وجودها في عالم مليء بالشرور، وموضوع الخطيئة الأصلية وموقف بعض الفلاسفة منها، و علاقتها بوجود الشر، ثم فكرة علم الله والمستقبل، أي قضية القضاء والقدر، وغير ذلك من الموضوعات.

ب- كتاب "الإله والشر: قراءات في مشكلة الشر اللاهوتية" "*God and Evil:Readings on the Theological Problem of Evil*"، لـ**نيلسون بايك***Nelson Bike*(٢)، وهذا الكتاب عبارة عن نصوص منتقاة لفلاسفة كبار أخذت من كتبهم دون تعليق، وقد أفدت منه حيث وفّر لي وقتاً وجهداً في البحث عن نصوص أولئك الفلاسفة في مشكلة الشر، ومن هؤلاء الفلاسفة الذين وردت لهم نصوص في هذا الكتاب **دستوفسكي** و**هيوم** و**ستيوارت مل** و**غلوسكي** وغيرهم.

جـ- كتاب"فلسفة الدين""*Philosophy Of Religion*" لـ**إدغار برايتمان** *EdgarBrightman*(٣)،تجاوزت عدد صفحات هذا الكتاب الثلاثمائة وخمسين صفحة، عالج فيه مؤلفه أفكاراً عديدة تتعلق بفلسفة الدين؛ كحقيقة الدين وقيمه وعلاقته بالفلسفة،ومشكلة الألوهية من حيث الإيمان بالله وطرق معرفته عن طريق الوحي أوالعقل وغير ذلك، وأخيراً تطرق المؤلف لمشكلة الخير والشر، وركّز على مشكلة الشر بصفتها المعضلة الأكبر والأشهر، وذكر بعض الحلول المعاصرة لمشكلة الشر وناقشها.

د- كتاب "حقيقة الإله ومشكلة الشر ""*The Reality of God And the Problem of Evil*" لـ**براين ديفيس** *Brian Davies*(٤)، ناقش المؤلف مشكلة الشر عند عدد من الفلاسفة اللادينيين كـ**هيوم**و**وليام رووماكي** "،وفريق آخر من المؤمنين كـ**بيكرإيدي**و**توما الأكويني**و**أوغسطين**، كما عرضلبعض الحلول المشهورة لمشكلة الشر كدفاع الإرادة الحرة وكون الشر وهماً لا حقيقة له، وينبغي أن نشير أن المؤلف في نهاية الكتاب وقف إلى جانب المؤمنين بوجود الله، وردّ قول الملحدين، لكن الباحث أغفل الكلام عن حلول أخرى للمشكلة.

خامساً: منهج البحث:

لقد اتبعت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي التحليلي المقارِن؛ فقمت بسبر آراء أبرز مفكري الغرب في مسألة الشر في الفترتين الحديثة والمعاصرة محللاً وناقداً هذه الآراء نقداً علمياً معتمداً على العقل والنقل، وقد حررت مواضع الاتفاق والاختلاف فيها، وختمت

---

(١) *It is Printed in Cambridge University Press.London.New York,١٩٧٩.*

(٢) *It is Printed in Prentice-Hall,inc.New Jersey.*

(٣) *It is Printed in New York _ Hall, Inc١٩٤٠.*

(٤) *It is Printed in Continuum International Publishing GroupContinuum.*

البحث بذكر الحل الإسلامي لمشكلة الشر لتكتمل أوجه المقارنة.وعزوت الآيات القرآنية إلى مواضعها في كتاب الله بذكر السورة ورقم الآية في المتن، كما خرّجت الأحاديث من كتب السنة.

سادساً: خطة البحث:

وتتألف من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصولوخاتمة.

المقدمة:وتتضمن (أهمية الموضوع وسبب اختياري له،والصعوبات، وإشكاليات البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وأهم المصادر والمراجع).

تمهيد:ويتضمن:

أولاً – تعريف بمشكلة الشر.

ثانياً – الفكر الغربي الحديث والمعاصر.

ثالثاً – مشكلة الشر في الفكر الفلسفي القديم والوسيط.

رابعاً – مشكلة الشر في الديانات القديمة.

الفصل الأول: مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر، ويتضمن مبحثين:

المبحث **الأول**: الاتجاه الديني

المبحث **الثاني**: الاتجاه اللاديني

الفصل الثاني:التحليل والنقد، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث **الأول**: تمهيد في الفلسفة والدين

المبحث **الثاني**: مشكلة الشر ومسألة الألوهية

المبحث **الثالث**: حلول مشكلة الشر

الفصل الثالث:قضايا الشر المحض والتشاؤم والحل الإسلامي، ويتضمن أربعة مباحث:

المبحث **الأول**: الشر المحض

المبحث **الثاني**: مشكلة الشر بين المتشائمين والمتفائلين

المبحث **الثالث**: الفطرة الإنسانية بين الخير والشر

المبحث **الرابع**: الحل الإسلامي لمشكلة الشر

سابعاً: أهم المصادر والمراجع:

أولاً– المراجع العربية:

كان الاعتماد في الأصل على مؤلفات ودراسات أشخاص الدراسة، مثل كتاب أصل الأخلاق وفصلها:فريدريك نيتشه،ت:حسن قبيسي،المؤسسة الجامعية(بيروت)،ط١، ١٤٠٠. هـ –١٩٨١م، وتأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى:رينيه

ديكارت،ت:كمال الحاج، منشوراتعويدات(بيروت)،ط١٩٦١،١ م، واعترافات روسو، ت: خليل رامز سركيس، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع(بيروت)، ١٩٨٢م،بالإضافة إلى كتاب اسبينوزا رسالة في اللاهوت والسياسة، ت: د.حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، دار الطليعة(بيروت)، ط٢، ١٩٨١م، ومحاورات في الدين الطبيعي: ديفيد هيوم، ت:د. محمد فتحي الشنيطي، مكتبة القاهرة الحديثة (القاهرة)، ط١، ١٩٥٦م، ونقد العقل المحض: إمانويل كانط، ت:موسى وهبة، مركز الإنماء القومي(بيروت)، ١٩٨٨م.واستعنت بموسوعات فلسفية كبيرة، مثل تاريخ الفلسفة(سبعة أجزاء)للفرنسيإميل برهييه، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة (بيروت)،ط٢ ،١٩٧٨ م.وللمقارنةبالفكر الإسلامي وقفت على بعض الدراسات الفلسفية والكلامية الإسلامية منها كتاب شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني، ت: طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث(القاهرة)، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،و كتاب شرح المقاصد في علم الكلام: سعدالدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية(باكستان)، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، وأخيراً كتاب الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي: د.أحمد محمود صبحي، دار المعارف(القاهرة)، ط٢، ١٩٨٣م.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

- Theodicy: G.W. Leibniz, Printed and bound in the United States of America,Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, Fifth printing ١٩٩٦.

- The World As Will and Idea: Arthur Schopenhauer. Translated From TheGerman By R. B. Haldane , M.A.And J. Kemp, M.A., Trinltd in Oreat٣ Britainby Ballastvne, Hanson & Co. Seventh Edition .١٩١٠.

- The Reality of God and the Problem of Evil:Brian Davies , Continuum International Publishing Group Continuum. London. New York , ٢٠٠٦.

- The Encyclopedia of Philosophy:Ed, paul Edwards,New York, ١٩٦٧.

- Providence and Evil:Peter Geach,Cambridge University Press. London.New York,١٩٧٩.

الخاتمة :وفيها أهم نتائج البحث.

الفهارس العامة: وقد تضمنت الفهارس التالية:

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر والمراجع

فهرسالموضوعات

تمهيد

أولاً: تعريف عام بمشكلة الشر

ثانياً: الفكر الغربي الحديث والمعاصر

ثالثاً: مشكلة الشر في الفكر الفلسفي القديم والوسيط

رابعاً: مشكلة الشر في الديانات القديمة

أولاً:

تعريف عام بمشكلة الشر

لا بد قبل الكلام عن مشكلة الشر من تحديد المراد بكلمة (شر)، فقد كثرت التعاريف الواردة لهذا المصطلح، ومنها التعريف التالي، الشر: هو نية إحداث الضرر أو الدمار عمداً بطريقة تخرم الأخلاق[١]. وإذا كان هذا التعريف قاصراً، فإنّ ما سيرد من نظرة كل فيلسوف للشر من حيث معناه وأنواعه سيزيل هذا القصور، وسيعلم المراد بشكل بيّن.

إن المنبع الأساسي للتفكير في مشكلة الشر في القديم والحديث هوما يعانيه الناس من مصائب الكون بشتى أنواعها، منها الآتية من السماء وهي الآثار الطبيعية كالرعد والبرق والزوابع والصواعق والخسوف والكسوف والشهب والمذنبات، ومنها الأرضية كالطوفان والأوبئة والأسقام والآلام، وأخيراً الموت الذي هو أخوف ما يخافه المرء ولم يكن يفهم له معنى[٢]،عداعن الشر البشري؛ الظلم والاستبداد والطغيان، من قبل الإنسان تجاه أخيه الإنسان.

تساءل الناس قديماً وحديثاً عن سبب هذا الشر كله، كما تساءلوا عن إمكانية الجمع بين وجود هذه الشرور كلها ووجود الإله الخالق الرحيم القادر على كل شيء. ولكي نعرف محل الإشكال في الشرور بأنواعها لا بد أن نعرف أولاً أنواع الموجودات، فقد ردّ ابن القيم جميع الموجودات الممكنة بالقسمة العقلية بحسب حظها من الخير والشر إلى خمسة أصناف:

١- ما هوخير كله لا شر فيه أصلاً.

٢- ما هوخير كثير مع شر قليل.

٣- ما فيه شر كثير مع خير قليل.

٤- ما يتساوى فيه الخير والشر.

٥- ما هوشر مطلق لا خير فيه أصلاً[٣].

ثم صرّحوا بأن الأقسام الثلاثة الأخيرة غير موجودة في العالم، وإنما الموجود من الخمسة المذكورة قسمان، هما الخير المحض، وما اختلط فيه الخير مع الشر وكان خيره أكثر، وهذا القسم الأخير هوالذي يثير الإشكال، لأنه الموجود الوحيد الذي يتضمن شراً ما [٤].

---

(١) *Wikipedia, the free encyclopedia. www.en. Wikipedia.org. Evil.*

(٢) انظر الألوهية في المعتقدات الوثنية: فاروق الدملوجي، ص ١٠.

(٣) انظر شفاء العليل: ابن القيم، ص٤٢٢، وانظر الإشارات والتنبيهات:ابن سينا، ص ٢٩٩ -٣٠٥، وورد هذا التقسيم أيضاً عن أرسطوكما في أسفار الشيرازي، ٦٨/٧.

(٤) انظر معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة: محمد التميمي، ص ٣٧، ٣٨.

ثانياً:

الفكر الغربي الحديث والمعاصر

غالباً ما يربط مؤرخوالفلسفة بداية الفلسفة الحديثة بـ**ديكارت**، الذي يعد أبا الفلسفة الحديثة[١]، أما الفلسفة المعاصرة فقد جرى العرف بين المؤرخين على أنّها تمثل الاتجاهات والمذاهب الفلسفية التي ظهرت مع بداية القرن العشرين تقريباً [٢].

ومن أهم خصائص الفلسفة الغربية في هاتين الفترتين الشمولية؛ حيث صار من الممكن أن يدخل في موضوعهما جميع مشكلات الكون والحياة والخبرة الإنسانية، وجميع قضايا الوجود والفكر والحق والخير والجمال[٣].

إن دراسة مشكلة الشر في العصور القديمة لها أهميتها كما أسلفنا، ولكن في العصور الحديثة والمعاصرة نجد أن هذه المشكلة تتضخم من حيث تزايد الأسئلة المعترضة وذلك بسبب تزايد أسبابالشكوى، يقول العقاد رحمه الله: فلما أقبل القرن العشرون بحروبه وأسلحته، أقبل بدعاواه وحقوقه ولجاجته في المحاسبة والاعتراض، فإذا بمشكلة الشر تتفاقم فيه من جانبين: جانبالضخامة في الشرور، وجانب اللجاجة في المحاسبة والادعاء"[٤].

ولا يخفى على ذي لبٍّ أن سبب تزايد الشكوى هوسيادة المقاييس المادية عند الناس، وفقدان الموازين الروحية، لذلك زاد وقع المصاب، وضاقت الأرض بما رحبت على المبتلين، فلا نسمع إلا الاعتراضات من هنا وهناك، وهذا ما أدى إلى ابتداع أساليب جديدة في الحل لم تكن مطروحة في العصور الماضية.

أضف إلى ما سبق أن هاجس الشر والألم والمعاناة يخيّم على العقل الغربي، ففي استبيان أجرته صحيفة لي ستروبل *Lee Stroble* وجّه للناس سؤال، إذا أتيح لك أن تسأل الله سؤالاً واحداً فقط، وأنت تعلم أنه سيجيبك عنه، فماذا ستسأل؟ الإجابة الأكثر شيوعاً من الناس كانت: لماذا هناك ألم ومعاناة في العالم؟ [٥].

ولا نكون مبالغين إن قلنا إن مسألة وجود الله في ضوء مشكلة الشر هي أكثر المواضيع التي يتجادل فيها الناس في الغرب على اختلاف ثقافاتهم، ويكفي أن أشير هنا إلى المشروع العلمي الكبير الذي تقوم به جامعة عريقة هي جامعة نوتردام *Notre Dam* بمشاركة أساتذة كبار بعنوان "مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر" *" The Problem of Evil inContemporary and Modern Thought"*[٦].

أما في عالمنا العربي والإسلامي، فقد استغل محترفوالغزوالفكري ضعف الإيمان وقلة العلم عند أغلب الناس فراحوايثيرون شبهة الشر في عقولهم معتقدين أن هذه الشبهة التي يحاولونإثارتها هي الضمانة لإفساد عقيدة المؤمنين بربهم.

---

(١) *See Studies in the Philosophy of Religion: Pattison,p١٧١.*

(٢) انظر المذاهب الفلسفية المعاصرة: سماح رافع أحمد، ص ١١، وانظر مقدمة في الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهرانود. محمد مدين، ص٥.

(٣) انظر مقدمة في الفلسفة الإسلامية : عمر محمد، ص٢٨ ، ٢٩.

(٤)عقائد المفكرين في القرن العشرين : العقاد، ص ٦٥.

(٥) *See Strobel ٢٠٠٠, p. ٢٩, Internet Encyclopedia of Philosophy, www.iep.utm.edu.*

(٦) *See The Problem of Evil in Contemporary and Modern Thought, www.philreligion.nd.edu.*

وجولة سريعة في منتديات الشابكة، وخاصة منتديات الملحدينواللادينيين، تظهر لنا كم يحاول هؤلاء المشككون الاعتماد على هذه الشبهة لإثبات باطلهم،فهناك من يُعنى بزرع هذا السؤال في عقول ناشئة المسلمين ليردوهم عن دينهم**ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ**[البقرة: ١٠٩] أولاً، وثانياً فإن إلقاء هذه الشبهة وغيرها هوجزء من وسائلالباطل وجنوده في صراعه الدائم مع الحق وأهله **ژ ک ک ک ژ**[البقرة: ٢١٧].

ثالثاً:

مشكلة الشر في الفكر الفلسفي القديم والوسيط

سأقوم هنا بدراسة مشكلة الشر باختصار في الفلسفة اليونانية القديمة عند كل من **أفلاطون** و**أرسطو**و**أبيقور** وأختم بالفلسفة الرواقية، وسأنتقل بعد ذلك لدراستها عند **أفلوطين** و**أوغسطين** و**توما الأكويني**. وقبل البدء بهذه الشخصيات لا بد لنا من أن نقدم نبذة مختصرة عن مفهوم الشر في المجتمع اليوناني القديم.

كان اليونانيون القدماء – كالشعوب الأخرى ذلك الزمان- يبحثون عن ملاذٍ آمنٍ من قوى الطبيعة، فاخترعوا آلهةً وأعطوها صفاتٍ بشريةً، من رحمة ورأفة وعدل إلى جانب الظلم والقسوة والانتقام أحياناً[١]، ومن أبرز هذه الآلهة **زوس***Zeus* الذي يرسل للناس السعادة والشقاء، والخير والشر، وذلك من خلال وعائين عند بوابة قصره؛ في الأول منهما عطايا الخير، وفي الثاني عطايا الشر[٢].

وحين سرق بروميثيوس *Promethee*– وهو أحد المتمردين على طاعة زوس – النار وأعطاها للبشر وعلمهم الفنون والحِرَف غضب زوس، وأنزل عقابه على (بروميثيوس)، وأرسل الشر للناس على الأرض، وأمر بصنع فتاة حسناء ماكرة سماها الآلهةُ باندورا *Pandora* التي كان مهمتها حمل البؤس والشقاء للناس، ونزلت (باندورا) إلى الأرض وتزوجت بـ(إبيميثيوس) الذي كان يملك وعاء كبيراً مغلقاً أحكمه بغطاء ثقيل، لم يكن أحد يعرف ما فيه أو يجرؤ على فتحه خشية أن تنزل المصائب بالناس، غير أن (باندورا) الفضولية رفعت الغطاء خفيةً، فتطايرت كل المصائب التي كانت حبيسة فيه، وانتشرت في بقاع الأرض[٣] .

---

(١) انظر الآلهة والأبطال في اليونان القديمة: أ.أ.نيهاردت، ص ٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٧ .

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١٠٨، ١٠٩.

١- أفلاطون *Plato* (٤٢٧ – ٣٤٧ ق.م)[١] :

يعتقد **أفلاطون** أن الله روح عاقل محرك منظم جميل خيّر كامل بسيط لا تنوع فيه، ثابت لا يتغير، صادق لا يكذب[٢]، وهوعدل خالص[٣]، وعلة كل ما هوجميل وخيّر[٤]، أما الشر فيبحث عنه في غير مكان، ولا يلام الله لوجود الشر في الكون[٥].

شبّه **أفلاطون** الله بالصانع لأنه صنع العالم وجعله منظماً بعد أن كان كتلة من الفوضى،وجعله شبيهاً به[٦]، واستدل من نظام العالم على وجود الله وكماله، إذ لا يمكن أن يكون النظام البادي فيما بين الأشياء بالإجمال، وفيما بين أجزاء كل منها بالتفصيل نتيجة علل اتفاقية، فالعالم آية فنية غاية في الجمال؛إن هناك عقلاً وفكراً عجيباً قد نظّم الكون وساسه، وبالتالي فلا مجال للقول إن القدر الأعمى والاتفاق هوالذي يتحكم في الكون، ولكن صنع عقل كامل توخّى الخير، ورتّب كل شيء عن قصد[٧].

وعناية الله كلية تعمل في أصغر أجزاء الكون[٨]، بخلاف ما يدعيه السفسطائيون[٩] محتجين بنجاح الأشرار، فإن الله إن كان لا يُعنى بسيرتنا فذلك إما لأنه عاجز عن ضبط الأشياء، وهو محال، وإما لأن السيرة الإنسانية أقل شأناً عنده من أن تستحق عنايته، وهذا محال كذلك، لأن كل صانع يعلم أن للأجزاء شأنها في المجموع فيعنى بها، فهل يكون الله أقل علماً من الإنسان[١٠]؟.

أما عن مصدر الشر، فإن **أفلاطون** يعتقد أن المادة وما يتصل بها من نفس غير شريفة التي هي آخر درجات الوجود وأبعد الموجودات عن الخير،وأقربها إلى الشر، هي بالتالي مصدر الفوضى وعلة الحركة غير المنتظمة[١١] .

أما الشر الطبيعي فما هوفي ذاته إلا نقص في الوجود،أوهوخير أقل، هوضد يتميز به الخير كما يتميز الصدق بالكذب، لم يرده الله بل سمح به فداء للخير الفائض على العالم، وهذا الشر الطبيعي يقتصر وجوده على هذا العالم المحسوس، أما عالم الآلهة والمثل فلا شر

---

(١) أفلاطون:ولد في أثينا من أسرة عريقة في المجد والنسب فاشتغل بالسياسة، وأقبل على العلوم ونبغ فيالرياضيات، حزن على وفاة معلمه سقراط فهاجر وتنقل في البلاد كثيراً، ثم عاد إلى أثينا وانقطع للتدريس في أكاديميته حتى وفاته، من مؤلفاته(الجمهورية)و(الشرائع).انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: مجموعة مؤلفين، ص٤٥ – ٥٣.

(٢) انظر الجمهورية:أفلاطون(ضمن أعماله الكاملة)، ت: شوقي داود تمراز،م٢ ص ٣٧٩، وانظر تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص ١٠١.

(٣) انظر محاورة ثيتاتوس : أفلاطون، ص ١٧٦ .

(٤) *A Companion to Plato: Benson,p* ٢٤٩.

(٥) انظر الجمهورية: أفلاطون، ص ١١٩ .

(٦) انظر أفلاطون : د.أحمد فؤاد الأهواني، ص١٣٠ ، ١٣١، وانظر *Studies in Philosophy of Religion: Pattison,p٩٥.*

(٧) انظر طيماوس : أفلاطون، ص ٢٠٩.

(٨) انظر القوانين: أفلاطون،ت:د. تيلور، ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، وانظر طيماوس:أفلاطون، ص ٢١٢.

(٩) السفسطائيون: كان السفسطائيون يهتمون بدراسة الإنسان وحضارته، وغايتهم البحث عن الحقيقة الخالدة وتدريب الشبان لنيل مجد الحياة السياسية نظير أجور كانوا يتقاضونها، ومنهجهم في التعليم هو المنهج الاستقرائي التجريبي، ظهروا في القرن الخامس قبل الميلاد، انظر ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان:د.حربي عباس عطيتو، ص١٦٦ .

(١٠) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم، ص١٠١.

(١١) انظر الجمهورية: أفلاطون، ص ٣٧٩ ، وانظر أفلاطون: د.أحمد فؤاد الأهواني، ص ١٢٨ ، ١٢٩.

فيه، هو إذاً عالم ناقص ولكنه أحسن عالم ممكن[١] ، وهذا النقص الذي في العالم ليس بسبب عجز في الصانع، بل لضعف في طبيعة المصنوع[٢] ، والتحقق من ارتباط وجود الشر بعالم الدنيا يجب أن يحثنا على الهرب بأسرع ما يمكن من هذا العالم إلى الآخر[٣] ، فإن تذمر الإنسان فلأنه يجهل أن خيره الخاص يتعلق به وبالناس جميعاً، فوجود الله وكماله وعنايته حقائق لا ريب فيها، وإنكارها – جملةً أو فرادى – جريمة ضد الدولة يجب أن يعاقب عليها القضاء، فإنكار الله أهون من إنكار عنايته مع الإيمان به[٤] . وفي النهاية يجب رؤية الانتصار الأكيد والكلي للصلاح على الشر، لا في نطاق كل كائن بمفرده، بل في نطاق المجموعة، والله يتدخل من وقت لآخر لإعادة وضع الأشياء في الترتيب الصالح[٥] .

٢– أرسطو *Aristotle* (**٣٤٨ – ٣٢٢ ق.م**)[٦]:

يؤمن أرسطوبإله خالق للكون مستدلاً على هذا بقانون العلية[٧]،هو محرك للعالم ليس خالقاً له، وهذا التحريك فعل ضروري من قبل الله لا حرية له فيه، والتحريك ناتج عن الشوق الصادر من جميع الكائنات إلى الله المعشوق الأول، فتأثير الله في العالم إذاً ليس أكثر من تأثير صورة يتعشقها محبوها، إذ هولا يؤثر فيه إلا بجاذبيته وجماله، أي من حيث هوعلة غائيةفقط، لا عناية لها ولا تدبير، ولا قصد فيها ولا روية[٨]،إذن فالصلة مفقودة بين الله والعالم، بين الخالق والمخلوق.

والله هوعلة الخير في العالم[٩]، لأنه خير محض[١٠]،ومذهب **أرسطو**في الطبيعة والحياة مذهب غائي، فالطبيعة عنده ليست كتلة من الحوادث الهوجاء، بل هيممتلئة بالمظاهر التي يدلنظامها على أنها تتجه نحوهدف معين،والله لا يعلم العالم لأنه أقل منه، فلا يليق أن يعلم الله ما دونه وإلا كان ناقصاً[١١].

ينكر هذا الفيلسوف إنكاراً تاماً أن تكون هناك حركات مخالفة للطبيعة في العالم العلوي، وإنما كل شيء في هذا العالم يجري بحسب النظام. أما العالم السفلي، فإنه لما كانت فيه المادة، والمادة طائفة من الممكنات، والممكنات متعددة، والدوافع إلى إظهارها إلى الفعل متعددة كذلك، فمن هنا ينشأ الاضطراب الشنيع في هذا العالم السفلي، أما العالم العلوي، فإنه لما كان خالياً من المادة القابلة للممكنات، فإنه لا يوجد فيه إلا النظام

---

(١) انظر محاورة تياتيتوس :أفلاطون،ص ٩٠ ، ٩١.

(٢) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية: محمد عبدالرحمن مرحبا، ص ٢٤١.

(٣) انظر تيتاس: أفلاطون، ص ١٧٦.

(٤) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم، ص١٠١ ، ١٠٢ ، وانظر القوانين : أفلاطون، ص ٤٨٧ .

(٥) أفلاطون: غاستون مير، ت: بشارة صارجي، ص ٦٢.

(٦) أرسطو: ولد في مدينة (اسطاغيرا) على بحر (إيجه)، سافر إلى أثينة ودخل أكاديمية أفلاطون، وتتلمذ عليه عشرين عاماً، أسس في العاصمة اليونانية مدرسة يعلم فيها التلاميذ، اتهم آخر حياته بالإلحاد وشعر أنه مهدد فسافر إلى جزيرة(أوبا) وتوفي فيها، من أشهر مؤلفاته (الكون والفساد) و(كتاب السياسة) و(الأخلاق الكبرى). الموسوعة الفلسفية المختصرة، مجموعة مؤلفين، ص ٣٢ – ٤٢ .

(٧) انظر الطبيعة : أرسطو، ٧٣٣/٢.

(٨) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد عبدالرحمن مرحبا، ص ٢٠٣.

(٩) انظر ما بعد الطبيعة : أرسطو، م١٢–ف١٠ .

(١٠) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية : محمد عبدالرحمن مرحبا، ص ٣٠١ .

(١١) انظر المرجع السابق، ص ٢٩٦ .

باستمرار[١] .فالفعل الحر إذاً لا يصدر عن نظام وكمال في الكون، بل يصدر عما في هذا الكون من خلل ونقص وشر وسلب، أما الأفعال العليا الإلهية، فهي أفعال خالية من كل شر[٢] .

اعترف **أرسطو**باستحالة سعادة الفرد إذا كانت تكتنفه المصائب والبلايا والمحن[٣] ، ولكنه يعود فيقرر أن هذه البلايا من فقر ومرض، على الرغم من أنها شرور، فقد تكون أحياناً وسيلة لخير وسعادة الإنسان[٤] . وعلى الرغم من أنه ينكر العناية الإلهية، إلا أنه ينظر بتفاؤل إلى الوجود عندما ذهب إلى أن الأشياء الأزلية خيرة، لأنها موجودة بالفعل، وكل موجود بالفعل فهوخير لا يلحقه نقص ولا شر[٥] ، وهومتفائل لأن الوجود أحسن من العدم عنده، فالله قد كمّل كلّ الموجودات.

٣- أبيقور *Epicure* **(٣٤١ – ٢٧٠ ق.م)**[٦]:

آمن**أبيقور** بعدد غير محدود من الآلهة، ولكنه جرّدها من صفات الألوهية، لذلك أتهم بالإلحاد، والأبيقوريون- عموماً- يعتقدون أن العناية الإلهية وهم من الأوهام، ولا تتفق مع مقام الألوهية، فأين هذه العناية الإلهية في عالمٍ حظُّ الشر فيه أكبر بآلاف المرات من حظ الخير، ومصير الخيّر أسوأ بكثير جداً من مصير الشرير[٧] ؟.

يقول هذا الفيلسوف في مسألة وجود الله في ضوء وجود الشر: " إما أن الإله يريد زوال الشر، ولكنه لا يقدر على ذلك، وإما أن يقدر على ذلك ولكنه لا يريد، وإما أنه لا يريد ولا يقدر، وإما أنه يريد ويقدر، فإن كان يريد ولا يقدر فهوعاجز، وإن كان يقدر ولا يريد فهوحاسد، وإن كان لا يريد ولا يقدر فهوحاسد عاجز، وإن كان يريد ويقدر، فلماذا وجدت الشرور"[٨] ؟.

عزا **أبيقور** الشقاء المخيم على البشر وحياتهم الملأى بالأنين والشكوى إلى سببين: أولهما الخوف من الآلهة، والإيمان بأن الآلهة يهتمون بأمر بني البشر، ولا حاجة-برأيه- لعناية إلهية توجه الأشياء وتصيرها إلى ما هي عليه؛ فالظواهر الجوية التي تهلع لها قلوبنا كالصواعق والزلازل والكسوف والخسوف والإنذارات لا علاقة لها بالغيب، ويمكن تعليلها بأسباب طبيعية، ويضرب مثالاً على هذا الصواعق التي يزعم الناس أن (جوبيتر)[٩]يرسلها قصاصاً للمجرمين، قلّما تصيب أحداً من هؤلاء،بل هي لا تقع إلا في القفر أو على الهياكل

---

(١) انظر أرسطو: عبدالرحمن بدوي، ص ٢٢٥.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٣) انظر الفلسفة الأخلاقية :أحمد محمود صبحي، ص١١٥.

(٤) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية:ستيس، ص ٢٥٨ ، ٢٥٩.

(٥) انظر تاريخ الفلسفة : كبلستن، ص ٤١٨.

(٦) أبيقور : ولد في أثينا،كان أبوه معلماً وأمه ساحرة، وكان أبيقور يرافق أمه في صغره وهي تقوم بتطهير وتطبيب المنازل، وربما كانت أمه سبب نفوره من السحر وثورته على الديانات والاعتقادات الخرافية، درس الفلسفة في سن مبكرة، وافتتح مدرسة في أثينة ظل يعلم فيها حتى وفاته. انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة مؤلفين، ص ١٤ – ١٦.

(٧) انظر خريف الفكر اليوناني : يوسف كرم، ص ٧٦٥.

(٨) Philosophy of Religion:Brightman, p ٢٨٩.

(٩) جوبيتر هو كبير آلهة الرومان، انظر الآلهة والأبطال في اليونان القديمة: أ.أ.نيهاردت، ص ٧ .

والتماثيل ومعابد الآلهة نفسها، وهذا دليل ناصع على عدم اهتمام الآلهة بنا. والسبب الثاني هوالفزع من الموت الذي يتهددنا في كل آن[١] .

ونشير أخيراً إلى أن **أبيقور** يعد من أوائل فلاسفة المذهب اللذّي؛ إذ يعتقد أن الخير هواللذة، والشر هوالألم[٢]، وهذا الألم يجب تجنبه من خلال تفحص النافع والضار والموازنة بينهما، لأننا ننظر أحياناً إلى الخير كما لوكان شراً، وبالعكس، فالإنسان لا يفعل الشر عامداً مختاراً، ولكن الشر يفتن الإنسان إذ يتجلى في ثوب الخير[٣].

٤- الفلسفة الرواقية*Stoicism*:

الله في الرواقية هوالموجود الأزلي المبرأ من كل نقص، خالق العالم، ومبدع الأشياء وصانعها[٤]، ودليلهم على وجود الله هومعرفة العقلاء جميعاً بنظام العالم وجماله الناتجين عن العناية الإلهية، ولكل شيء في الكون مكانه وغايته ووظيفته، فلا نستطيع فهم الكون إلا إذا أدركنا أن جميع تفاصيله إنما تؤدي إلى نتيجة عامة وتسعى إلى غاية كبرى، وهذه الغاية هي غاية خيّرة طيّبة[٩].

أما ما يسميه الناس شراً، فإنما هوكذلك في الظاهر، وهوشر من حيث الجزء لا من حيث المجموع، ووجود الشر في الجزئيات شرط لخير المجموع، ونحن نحكم بسوء بعض الأشياء لأن معرفتنا للكون جزئية، ومثل الكون كمثل المسرحية، إذا أخذت بعض فقراتها دون سواها بدت سخيفة، في حين أنها لازمة للقطعة في جملتها[٥].

إنّ ما يصعب تفسيره في هذه الفلسفة ليس هوالشرور الخارجية، وإنما هوعمل الشرير، أي اتجاه الإرادة اتجاهاً سيئاً يولد الشر، لذلككان الرواقيون يعتقدون أن مصدر الرذائل هوما تواضعت عليه الجماعة من أكاذيب، إذاً ففكرة عدم أصالة الشر في الإنسان قد استقرت في نفوس الرواقيين، وامتزج تفاؤل نظرتهم إلى العالم بذلك النوع من التفاؤل في التربية[٦]، وبعض الشر راجع إلى ما منح الله الناس من حرية التصرف في شؤونهم[٧].

وعلى أية حال، كانت الفلسفة الرواقية مشهورة بالجبر، حيث يعتقد فلاسفتها أن الله هوالعقل المطلق، وإذا كان الله عاقلاً فالعالم مسير بالعقل والحكمة، وينتج من هذا أن العالم سائر إلى غاية، يسير نحوها بنظام وجمال وثبات، وهو خاضع لقوانين ثابتة تجعل الإنسانمسلوباً من حرية الإرادة[٨]، لذلك كان الدين عندهم هوالخضوع لقوانين الكون المقدّرة[٩] .

---

(١) انظر المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون، ص٥٥، وانظر دنيا وأديان:د.نقولا فياض، ص ١٩ .

(٢) انظر أبيقورس: بيار بويانسي،ت:د. بشارة صارجي، ص ١٩ .

(٣) انظر المذاهب الفلسفية : د. عادل العوا، ص٥٠ .

(١) انظر الفلسفة الرواقية:د.عثمان أمين،ص ١٤٣ .

(٩) انظر فلسفة الرواق: جلال الدين سعيد، ص ٨٩ ، ٩٠، وانظر الفلسفة الرواقية:د.عثمان أمين ص ١٤٦ .

(٥) انظر الفلسفة الرواقية : د. عثمان أمين، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٦) انظر من الحكيم القديم إلى المواطن الحديث : للأساتذة بوجليه، برييه، دي لاكروا، بارودي، ت: محمد مندور،ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٧) انظر الفلسفة الرواقية : د. عثمان أمين، ص ١٥٣ .

(٨) انظر قصة الفلسفة اليونانية: أحمد أمين وزكي نجيب محمود، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٩) انظر المرجع السابق، ص ٢٩٤.

وظهر من فلاسفة الرواقية المتأخرين **أوريلوس***Aurelius* (ت:١٨٠م)الذي قرّر أن للخير والشر أسباباً سابقة، لذلك أرجع هذا الفيلسوف الخير الذي هوفيه إلى قدوته بأجداده وما أعدوه له كي يصير على ما هوعليه؛ أي إمبراطوراً، حتى إن من يطلب الخير والسعادة يعارض الطبيعة في حتمية توجهها الأزلي نحوما سيكون[١].

٥- أفلوطين *Plotinus* **(٢٠٣ – ٢٦٩ م)** [٢]:

حاول **أفلوطين** أن يوجد صلةً بين عالم الكمال والخير وعالم النقص والشر، وذلك بأن جعل أحد العالمين أصلاً والآخر فرعاً يتفرع عنه، لذلك جعل الوجود سلسلة متصلة الحلقات: في نهايتها العليا (الأول)، وفي نهايتها الدنيا(المادة)، وبين الأول والمادة بقية الموجودات، والمادة التي هي أصل النقص والشر تصور الطرف الأدنى والأخير في سلسلة الموجودات، بينما الأول يصور الطرف الأعلى والقمة فيه، و(المادة) التي هي الطرف الأخير في سلسلة الموجودات تتحول إلى ظلام، والحقيقة التي في (الأول) تتحول عن طريق التدرج إلى عدم فيها، وخيريته تتحول بدورها في النهاية عن طريق التدرج أيضاً إلى شر فيها، فهي ظلام وعدم وشر[٣].

ومصدر الخير والشر عند **أفلوطين** واحد، وهذا المصدر هوالأول[٤]، وهذا يقود بالضرورة إلى أنه لا يمكن تعريف الشر إلا على نحوسلبي، إذ هو " الحرمان من كل خير"[٥]،وللشر ضرورته في نظام الكون الكلي " إن في الشر في معظم ظواهره، بل في ظواهره كلها، نفعاً للعالم الكلي "[٦].

ويعتقد**أفلوطين** أن بعض الشرور فيها خير، وإن حدث أن كان الشر خالصاً بالنسبة لبعض الناس[٧]، إلا أنه في المجموع العام خير، والسبب الذي يجعل الناس في كثير من الأحيان يجهلون منفعة الشرور هوالغفلة[٨]، والنظرة الجزئية للعالم، فالكون في كليته خير في ذاته، ولذلك يجب ألا نعيبه من أجل بعض أجزائه، وإن استهجان الكل بسبب الأجزاء سفاهة[٩].

وعلى هذا، فالحكمة والحسن يتحققان في العالم الكلي ليس بوجود الخير المحض أوبتساوي جزئياته، وإنما يتم ذلك بانتظام كل جزئي في المقام الذي ينبغي له ويناسبه، كما أنه ليس في الناي صوت واحد؛ إذ فيه صوت ضعيف وآخر قوي، ولكن لكل منهما حظه

---

(١)انظر إشكالية الشر: هاني يحيى نصري، ص ٥٥ .

(٢) أفلوطين : ولد في مصر، التحق بالجيش الروماني ليقف على الأفكار الفارسية والهندية، كان يملي على عجل ويدع لتلميذه فرفوريوس مراجعة أوراقه، وقد جمعها هذا ووزعها على ستة أقسام في كل قسم تسع رسائل فعرفت بالتاسوعات، رحل إلى رومة وأقام بها حتى وفاته. انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة:مجموعة مؤلفين،ص ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) انظر خريف الفكر اليوناني :عبدالرحمن بدوي، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٤) انظر تاسوعات : أفلوطين،ص٢١٧ .

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٩٧ .

(٦) المرجع السابق : ص ١٣٨ .

(٧) انظر العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم: د.ثائر الحلاق، ص ٣٨٢ .

(٨) انظر تاسوعات : أفلوطين، ص ١٣٨ .

(٩) المرجع السابق، ص٢٠١ .

ونصيبه في جملة الأنغام المتوافقة التي تنبعث منه، كذلك الحال في العقل الكلي، حيث تنتظم النفوس مع أنها غير متساوية مع بعضها؛ إذ بينها تنافٍ واختلاف، ومع هذا فإن طبائعها يوافق الجميع في طبيعته[١].

وينطبق الكلام السابق على الشر الخلقي، إذ في الرذيلة نفع للعالم الكلي لكونها تمثيلاً للعقاب، فضلاً عن أنها تجعلنا في تيقظ دائم، وتوقظ عندنا الروح والذهن في مقاومتها لطرق الرداءة، كما أنها تمكننا من أن نرى ما أحسن الفضيلة في مقابل الشرور التي يُصاب بها العصاة[٢].

٦- القديس أوغسطين *Augustine* **(٣٥٤ – ٤٤٠ م)**[٣]:

وجود الله عنده حقيقة بديهية واضحة جداًلا تحتمل الشك، فمن يتأمل الطبيعة والمخلوقات لن يشك بوجود الله وتدبيره، والنظام يسود العالم كله[٤]؛ فالأدنى يخضع للأعلى، والأعلى يخضع للأعلى منه وهكذا[٥]. ولكن إذا كان العالم من صنع الله الخيّر بالذات؛ مصدر الخير، وهوكلي الصلاح[٦]، فكيف يوجد الشر في العالم؟ يذهب هذا الفيلسوف إلى أنّ كل موجود هوخير بما هوموجود، والشر، وهوعدم الخير، هو – في الحقيقة– لا وجود،أما الشر الخلقي(الخطايا) فعلّته عند **أوغسطين** الإرادة الحرة، فالإرادة هي خير من حيث هي قدرة علىالاختيار، وهي رديئة شريرة حين تكون على غير ما ينبغي أن تكون[٧].

والشر الطبيعي الذي يحسه الإنسان في ذاته أثر الخطيئة وعقاب عليها، يقول **أوغسطين** :"العذابات سببها الخطايا"[٨]، لأن الخطيئة تمرد على النظام، وأثرها اضطراب في كيان الإنسان،ولكنه لا يخلومن فائدة، فهوعند الحكيم يكمل خبرته وحكمته ويستحق له ثواباً، وعند غير الحكيم هوطريق الحكمة، وعند الشرير هوعقاب عادل[٩]. وموقفه من خطيئة آدم – عليه السلام – هوموقف العقيدة المسيحية[١٠]، بل إنهكان قدوةً لكل من جاء من بعده من فلاسفة المسيحية في تقرير العقائد والتدليل عليها.

---

(١) انظر تاسوعات أفلوطين، ص ٢١٦ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٠٣ .

(٣) القديس أوغسطين : ولد في طاجسطا في الجزائر، كانت أمه مسيحية وأبوه وثنياً، اعتنق المانوية ثم مذهب الأكاديميين في الشك ثم الأفلاطونية الجديدة، وانتهى به المطاف أخيراً إلى المسيحية الكاثوليكية، عين كاهناً ثم أسقفاً ليكون بعد ذلك الزعيم الفكري للكاثوليكية الإفريقية، توفي في ايبونا، من أشهر كتبه(الاعترافات)و(مدينة الله). انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: مجموعة مؤلفين، ص٧٤ .

(٤) انظر الاعترافات: أوغسطين، ص ٧٠ ، ٧١و ١٤، وانظر تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط: يوسف كرم، ص٤٣ ، ٤٤ .

(٥) انظر تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية:جونووبوجسوان، ت:د.علي زيعوود وعلي مقلد، ص ٢٨٤ .

(٦) انظر الاعترافات: أوغسطين، ص ١١ و ٢٧ .

(٧) انظر المرجع السابق، ص ١٣٨و ١٥٢، وانظر*Augustine and the Problem of Evil :Giedrius Saulytis,p*١٣

(٨) انظر مدينة الله: أوغسطين، ٣/١٧٣ .

(٩) See Encyclopedia of Philosophy: Edwards , ٣/١٣٦-١٣٧.

(١٠) انظر الاعترافات: أوغسطين، ص ٢١٢ .

ونشير أخيراً إلى أن **أوغسطين** إنسان متفائل، إذ يؤكد على أن فناء شيء هوسيء في حد ذاته إلا أنه نافع لنظام الكون العام، وسيادة الجمال والانسجام فيه؛فكل شيء مفيد، ففناء هذا نفع لذاك، وخطيئة إنسان تنبيه لذاك أوعظة أوعقاب، وهكذا[١]. خلاصة كلامهذا الفيلسوف أن الخير من الله والشر من صنعنا[٢]،والعناية الإلهية شاملة للمخلوقات جميعاً[٣] .

٧- القديس توما الأكويني*St.Aquinas* **(١٢٢٥ – ١٢٧٤م)** [٤]:

يؤمن **الأكويني** بوجود الله الكامل[٥]والخيّر، والله تعالى خيّر لأنه كامل[٦] ، وإذا كان الله خيّراً وكاملاً، فإنه من المستحيل أن يوجد في ذاته شر، فإن جميع الأشياء المخلوقة تكون وفقاً لذلك خيّرة بالخيّرية الإلهية[٧] .

والله لا يريد شر الإثم الذي ينعدم به التوجه إلى الخير الإلهي، لكنه يريد شر النقص الطبيعي أوشر العقاب بإرادته الخير الذي يقارنه هذا الشر، كما أنه بإرادته العدل يريد العقاب[٨] ، لأن المعصية إخلال بالنظام وإهانة لواضعه، فهي تستحق للعاصي عقاباً[٩] . ويفرق **الأكويني** بين العقاب والذنب، حيث كلاهما مما يطلق عليه شر، ولكن الله صانع الشر الذي هوالعقاب، لا الشر الذي هوالذنب[١٠] .

ويؤكد أن الشر هوعدم الخير، فليس الشر كائناً ذا وجود حقيقي، ولكنه أيضاً ليس عدماً مطلقاً،وإنما هوانسلاب الخير[١١]. والمخلوقات غير متساوية في كمالها لتباين درجة الكمال في مادتها وصورتها، وأي نقص في أي درجة من درجات الكمال هوشر[١٢]، لكنه شر ليس مقصوداً بالذات بل بالعرض[١٣].

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية :جونووبوجسوان، ت:د.علي زيعوود. علي مقلد، ص ٢٨٤ .

(٢) انظر الاعترافات: أوغسطين، ص ١٩٦ .

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٤) توما الأكويني : ولد في أكينوقرب نابولي، انتسب إلى رهبنة الدومينيكان، تتلمذ على ألبرت الأكبر، علّم اللاهوت في باريس ثم عاد إلى إيطاليا لإنشاء معهد عال جديد، استدعاه البابا إلى ليون لحضور مجمع يعقد هناك وفي الطريق بين نابولي وروما وافته المنية، من كتبه المشهورة(الخلاصة اللاهوتية) . انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة مؤلفين، ص ٦٣ .

(٥) انظر الخلاصة اللاهوتية:توما الأكويني، ت:بولس عواد ،٥٢/١ .

(٦) المرجع السابق : ٥٨/١ .

(٧) المرجع السابق : ٧٤/١ .

(٨) الخلاصة اللاهوتية: توما الأكويني: ٢٧٠/١ .

(٩) الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط :يوسف كرم، ص ١٩٨ .

(١٠) انظر الخلاصة اللاهوتية : الأكويني، ٥٩١/١ .

(١١) انظر المرجع السابق ،٤٨/١، وانظر مشكلة الألوهية : د.محمد غلاب، ص ١٢٠ .

(١٢) انظر الخلاصة اللاهوتية : الأكويني، /٥٨٨ .

(١٣) المرجع السابق، ص ٢٧١/١ .

غير أن هذا الوجود العرضي ضروري، لأن كمال العالم يوجب ذلك، ولو أزيل ذلك التباين لفقدت الخليقة جمالها وتماسكها[١]، فكثير من موجودات الخليقة الخيرة لن تمنح مكاناً في الوجود إذا لم يكن هناك شر، ففضيلة الصبر لن تظهر لدى الرجل المستقيم ما لم يوجد أحد الظالمين، ولو أزلنا الشر من العالم لفقدنا بفعلنا هذا كثيراً من خيراته وجماله النابع من الترابط الترتيبي للأشياء خيرها وشرها،والشر المحض – في رأيه- هو أمر مستحيل[٢].

أما بالنسبة للشر الأخلاقي، فإن **الأكويني** يثبت للإنسان حريةً واختياراً، وإلا لم يكن في النصائحوالأوامر والنواهي والثواب والعقاب فائدة[٣]،وموقفه من الخطيئة الأصلية لآدم كموقف **أوغسطين**، حيث يؤكد أن خطيئة آدم لحقت جميع جنسه" إن الإيمان الكاثوليكي يوجب الاعتقاد الراسخ بأن جميع المولودين من آدم عليه السلامعدا المسيح وحده يرثون عنه الخطيئة الأصلية"[٤].

وهكذا فإن **توما الأكويني** لم ينكر وجود الله لوجود الشر، لأن الأفعال الشريرة، وإن كانت معلولةً لله تعالى، إلا أنها تنسب لفاعلها من الخليقة، والله ليس مسؤولاً عنها.

رابعاً:
مشكلة الشر في الديانات القديمة

تنوعت مواقف الأديان تبعاً لمواقفها العامة من الألوهية وطبيعة رؤيتها للعالم والحياة، فهناك من الأديان الوضعية من فسّرت وجود الشر في العالم عن طريق الاعتقاد بوجود إله للشر، أو أصل منفصل في الوجود (أصل قديم لم يخلقه الله مثل المادة أوالظلام) أوكائن كوني أسطوري مثل الأفعى أوالتنين، يدخل في صراع مع إله الخير[٥]، وسنكتفي هنا بذكر بعض أهم الديانات القديمة في العالم وكيفية حلها لمشكلة الشر:

١- الديانة المصرية القديمة *ReligionEgyptian*:

ترجع الديانة المصرية في أصولها إلى ما قبل(٤٠٠٠) ق.م[٦]، و مما يدل على قدم الاعتقادات الدينية لديهم أنهم كانوا يقرون بحساب الروح بعد الموت، وموازين الجزاء على الخير والشر، وشروط البقاء التي تستوفيها الروح لتنعم بالحياة الأبدية في العالم الآخر[٧] .

---

(١) انظر العناية الإلهية ومشكلة الشر: د.ثائر الحلاق، ص ٤٧٥ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٧٧ ، ٤٧٨ .

(٣) انظر الخلاصة اللاهوتية : الأكويني، ٣٨٠/٢ ، وانظر *Saint Thomas and the Problem of Evil:Nihil Obstat,p١٥*.

(٤) الخلاصة اللاهوتية: الأكويني، ٤٧٠/٤ .

(٥) انظر مقالة(الشيطان ومشكلة الشر في العالم): محمد عثمان الخشت، *www.almareth.org*. .

(٦) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جيفري بارندر، ت : إمام عبدالفتاح إمام، ص٤٣ .

(٧) انظر إبليس: العقاد، ص٤٣ .

وفي مسألة الخير والشر كانوا يعدون (ست)[١] إله الشر والانتقام ، وكانوا يعبدونه لا عن محبة بل عن خوف ، ورمز هذا الإله القوة والبأس والعواصف والرعود، يقف (ست) على نقيض أخيه (أوزوريس) إله الخير والمحبة ، والإله (ست) في حرب دائمة وصراع لا ينتهي مع الإله (حورس) ، والإله (حورس) انتصرعليه مرتين، المرة الأولى تمثل انتصار النهار على الليل، والثانية تمثل انتصار الحياة على الموت، والخير على الشر[٢] .

ومما يؤثر عنهم أيضاً، أنهم كانوا يعدون الحيّة إلهةً للشر وأصلاً للخبث والأذى، وكانوا يمثلونها بهيئة حية ملتوية تحمل في كل طية من جسدها سكيناً حاداً، ولكن (رع) كبير الآلهة هزمها، لذلك نجد على الآثار المصرية تمثيلات لإله يطعن رأس أفعى برمح[٣] .

ويُروى أن الإله (رع) نقم مرةً على الجنس البشري كله، وندم على خلقهم وفكّر في إبادتهم عقاباً على ذنوبهم[٤]، وهذا يدل على عقيدة حصول العقوبة الإلهية بسبب الذنوب .

٢- الفيديةالقديمة:

اتخذ الشر شكلاً آخر في الديانة الفيدية الهندية أقدم الديانات الوضعية في العالم، وهي تعبر عن قوى الشر في العالم بمصطلح (مايا)، وفي (الريج فيدا) تعني (مايا) التغيير المدمّر أوالمنكر، والتغيير الشيطاني والمخادع الذي يؤدي إلى خلخلة نظام الكون،لكن نجد في الفيدية بجوار المايات السيئة مايات خيرة، أما المايات الخيرة فهي على نوعين :

١- مايات المعركة : وهي التي يستخدمها (اندرا) عندما يحارب الكائنات الشيطانية.

٢- المايات الخالقة : وهي متميزة عن الآلهة العليا وفي الدرجة الأولى عن (فارونا) [٥] .

والنصوص الفيدية تقدم (فارونا) على أنه إله أعلى، ومن يخالف القانون من البشر فإنه مسؤول أمام (فارونا) الذي يعيد إقامة النظام المتضرر بالخطيئة أو الجهل، وكان (فارونا) يمثل بأفعى[٦]، ومن آلهة الفيدية (رودرا شيفا) الذي يمثل القوى الشيطانية الساكنة في الأماكن المتوحشة والمهجورة، وهو يرمز إلى كل الأخطار غير المرئية[٧] .

---

(١) إن كلمة ست وستان أو الشيطان العبرية كلها ترجع إلى أصل واحد، انظر إبليس: العقاد، ص٥٠ .

(٢) انظر عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة : فوزي محمد حميد، ص٨٨ .

(٣) انظر أساطير التوراة الكبرى : د.كارم عزيز، ص ١٣٨ .

(٤) انظر إبليس : العقاد، ص ٤٤ .

(٥) انظر مدخل إلى فلسفة الدين : محمد عثمان الخشت، ص١٢٧ ، ١٢٨ .

(٦) انظر تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية : ميرسيا إلياد، ٢٤٨/٣-٢٥٠ .

(٧) انظر المرجع السابق، ٢٦٢/٣ .

٣- الهندوسية Hinduism:

من المبادئ الهندوسية الأساسية أن الله كما خلق الخير خلق الشر أيضاً، ولو أراد الله ألا يخلق الشر لفعل، وما دام الشر موجوداً تماماً كالخير فهذا يعني أن الإله (أوصاحب القوة المهيمنة على الكون) ليس خيّراً مطلقاً، وإلا لماذا خلق الشر أوسمح بوجوده، وهوالجبار الذي إن أراد أن يملأ الدنيا خيراً لفعل[١]؟.

ومن أهم معتقدات الهندوسية عقيدة (الكارما)، وهي تعني أن نظام الكون إلهي قائم على العدل الكامل، و كلمة (الكارما) تعني حرفياً قانون الجزاء؛ بمعنى أن الإنسان يتحمل نتائج أعماله في الحياة الدنيا أو في الحياة المقبلة[٢]، ومن ذلك عقيدة التناسخ التي هي نوع من العقوبة أوالمكافأة الدنيوية على عمل المرحلة السابقة،فمن الممكن أن تهبط روح الإنسان إلى حيوان أو إنسان معتوه أومشوه إن كان شريراً[٣].

٤-البوذية Buddhism:

الفلسفة الأخلاقية البوذية مبنية على حقيقة أن الوجود كله هم وحزن، والحياة بجميع صورها ليس فيها إلا ما يؤلم الإنسان ويضيره، ويسبب له الهم والغم، وهذه حقيقة واقعية لا مناص من الاعتراف بها، فكل فرد يولد وينمو، ويدركه المرض، وتلحقه الشيخوخة ثم يموت، وهوفي كل مرحلة من هذه المراحل، وفي كل صورة من هذه الصور يعاني كثيراً من الآلام، فيأسف عند مفارقة الأحباب، ويغضبأشد الغضب إذا اعتدى عليه ظالم، ويتألم إذا أصابه سوء أوحلّ به مرض، وقد تشتد رغبته في الحصول على بعض المآرب، فإذا لم يحصل عليها ضاق صدره وساءت حاله. ويستطيع الإنسان أن يتخلص من الهم والحزن بصدق التأمل الروحاني، وذلك بأن يتفرغ للتبتل والرياضة الروحانيةوالانغماس فيها كي يصل إلى الغرض الأسمى وهوالنرفانا[٤].

---

(١) من فلسفات الشرق(٤)(الهندوسية) نقمة النعم وفلسفة التطهر والتطهير، www.rewayatnet.net .

(٢) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جيفري بارندر، ت : إمام عبدالفتاح إمام، ص ١٥٥ .

(٣) انظر البحث عن الحقيقة الكبرى: عماد قصاب، ص٢٣٢،وانظر Karma,Rebirth,and the Problem of Evil:Kaufman, p ١٥.

(٤) انظر بوذا الأكبر حياته وفلسفته: حامد عبدالقادر، ص٨٢-٨٤ .

ونشير أخيراً إلى أن البوذية ربما توصف بالإلحاد لأنها تنكر وجود الإله القدير والمدبر للعالم[١] .

٥- الزرادشتية *Zoroastrianism*:

في ديانة زرادشت المحرفة (الأصلية توحيدية وليست ثنائية كما تدل ترانيم زرادشت) [٢]، إيمان بنوع من ثنائية الإلهي، الأول باسم (أهورامزدا) وهوالإله المضيء والطاهر في ذاته، وتعارضه الروح الشريرة (أهريمان) أي الظلام، وهونحس في ذاته،وينتهي إليه الشر الروحي والطبيعي، وكل ما هوهدّام وسلبي، وعلى الناس أن يختاروا بين هاتين القوتين المتعارضتين، فإن سلكوا طريق الشر، فسوف تمتلئ حياتهم بالشر، وإن سلكوا طريق الحق فسوف يبلغون الكمال والخلود وملكوت السموات، ومع ذلك، فإن الصراع بين الحق والباطل ليس أزلياً، إذ سوف تأتي لحظة التحول الأخيرة في العالم عندما تتحقق العدالة بوساطة المحسنين الذين يقمعون الهوى بأعمالهم العادلة وبنشرهم للتعاليم الحكيمة[٣].

٦-المانوية *Manichees*:

نسبة ل**ماني**(٢١٦ – ٢٧٧م) وهي ديانة فارسية كالزرادشتية، وتعد امتداداً لها من حيث احتفاظها بفكرة الثنوية، وتقدّم حلاً آخر لإشكالية الشر يتمثل في وجود أصلين أزليين؛ هما الله والمادة، الله روح ونور وعنه يصدر الخير، أما المادة فهي مظلمة وتولد عنها الشيطان، والشيطان هومصدر الشر[٤] ،فالمانوية أرادت تنزيه الله عن الشر، فأشركت معه إلهاً آخر[٥].

والظلمة في الديانة المانوية جوهرها قبيح، ناقص، خبيث، منتن، ونفسها شريرة، لئيمة، سفيهة، ضارة، جاهلة، وفعلها الشر، والفساد، والتشويش، والضرر، والغم، والاختلاف[٦]. وممن قال بفكرة الثنوية (وجود أصلين للعالم هما النور والظلمة) المزدكية والديصانية والمرقيونية، مع وجود بعض الاختلافات فيما بينها[٧].

---

(١) انظر بوذا الأكبر حياته وفلسفته: حامد عبدالقادر، ص٨٢-٨٤، وانظر*Our Buddha: BagcheeMoni, P*١٤٣ .

(٢) *See Some Knowledge About Buddhism:Dr.C.T.Shen, Ybam Buddhist Digest(Penang).p*١٢٨.

(٣) انظر المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جيفري بارندر، ت: إمام عبدالفتاح إمام، ص ١١٦، ١١٧، وانظر الملل والنحل: الشهرستاني، ص١٩٢، ١٩٣.

(٤) انظر عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة :فوزي حميد،ص٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٥) *See The Religion of The Manichees: F.C.Burkitt,p*٥٠،٥١.

(٦) انظر الفكر الديني الشرقي القديم :د.علي عبدالفتاح المغربي، ص٥٢، وانظر الملل والنحل : الشهرستاني، ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٧) انظر الملل والنحل : الشهرستاني، ص ٢٠١ – ٢٠٣ .

٧-الكونفوشيوسية Confucianism :

هي ديانة صينية قديمة تنسب للحكيم **كونفوشيوس**(٥٥١-٤٧٩ق.م)، يعتقد أتباع هذه الديانة أن الإنسان مفطور على الخير، يسلك الطريق القويم لوخُلي وفطرته، ولكنه مع الفطرة الخيرة حي مستقل مفكر لا تمنع فطرته من النزوع إلى الشر وسلوك سبيله،وذلك لإرادته المستقلةواختياره، واستيلاء الشهوات عليه،ومع أنهم كانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ويذعنون لأحكام السماء " من لا يعلم القضاء والقدر لا يمكن أن يصبح رجلاً كامل الخلق "[١]يجعلون للإرادة الإنسانية الشأن الأول، وذلك لأن الإرادة الإنسانية للخير أو الشر لها أثرها في الأكوان، ولأن آلهتهم عادلة فهي- بزعمهم- تجعل مشيئتها في الكون على حسب عمل الإنسان، إن خيراً فخير له، وإن شراً فشر له[٢].

وإذا ما حاد الإنسان عن درب الحق والفضيلة اضطرب بعض ما في الكون لمخالفة القانون الأخلاقي، وما الزلازل وخسف الأرض وكسوف الشمس وخسوف القمر إلا أمارات لفساد خلقي أحدث ذلك الاضطراب الكوني، وإذا كان السلوك غير القويم يحدث اضطراباً وقحطاً، فالسلوك القويم يجلب الخير والبركات، ويجعل كل ما في الكون يجيء على رغبة الإنسان. وبناءً على ما سبق، فإنّ الشر أن يكون في تصرفات الإنسان ما يحيد به عن النظام المؤتلف بين الإنسان والأكوان، وذلك بأن يرتكب من الشر ما يكون سبباً في أن تنزل السماء عذاباً[٣]، ولذلك يقول **كونفوشيوس**في الحوار: " لوارتكبتُ ما لا يليق غضبت السماء عليّ"[٤] .

بقي أن نشير هنا إلى أنه قد ظهر بعد **كونفوشيوس** رجل يُدعى **يانج**،كان ينظر للحياة على أنها منبع الآلام والشرور، وأن اللذة هدفها الأعلى، وينكر وجود الله والبعث، والخلائقليست إلا دمى لا حول لها ولا طول، تحركها القوى الطبيعية العمياء التي أوجدتها، والتي وهبتها أسلافها دون أن يكون لها في ذلك خيار، ورسمت لها أخلاقها، فلا تستطيع أن تتحول عنهاأو أن تبدلها، وكان ينصح الناس ألا يغتروا بشيء من سخافات**كونفوشيوس**[٥].

---

(١) كتاب الحوار :كونفوشيوس،ت: محمد مكين، ص١٩٦ .

(٢) انظر مقارنات الأديان (الديانات القديمة) : محمد أبوزهرة، ص٧٤ ، ٧٥ .

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٧٥ .

(٤) كتاب الحوار :كونفوشيوس،ت: محمد مكين، ص ٦١ .

(٥) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت ، ٧٣/٤ .

٨- الفلسفة[١] الغنوصية[٢] *Gnosticism* :

حلت الغنوصية معضلة الشر عن طريق ابتداع فكرة الآب الأعلى مصدر النور، والإله الأدنى خالق العالم المادي؛ عالم الجهل والظلمة، فالكون المادي لم يُخلق كله من قبل الله، بل داخله الشر من خارجه، فالمادة هي الشر بعينه، لكن إله الشر وعالمه سيؤولان إلى الدمار عندما يتعرف الإنسان بالنور الأسمى- المعرفة - في داخله. والإنسان ليس خاطئاً في البداية، ولكنه مأسور في حجاب الجهل، ولا فكاك له إلا بالعرفان الداخلي الذي ينير جنبات النفس، ومن ثم يكون هذا الإنسان طيباً وأخلاقياً، لأن الشر في الغنوصية هوالجهل، والمعرفة هي الخير[٣].

(١) الغنوصية فلسفة وليست ديانة، وإنما ذكرتها مع الديانات لاقتراب نظرتها إلى الشر من الديانات الثنوية .

(٢) الغنوصية : أي العرفان،وهي فلسفة صوفية بمعارف غيبية،لها تأويلاتها وطقوسها،وهي اسم علم على المذاهب الباطنية،غايتها معرفة الله بالحدس والوجد لا بالعقل والاستدلال،تقول بإلهين،وهي الوحي المتجدد الذي لا يتوقف أبداً . انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة : د. عبدالمنعم الحفني، ص٩٣٤ .

(٣) انظر الرحمن والشيطان : فراس السواح، ص٢١٢، وانظر *The History of Philosophy: Glenn, p١٤٥-١٤٦* .

تعقيب:

رأينا من عرض الديانات والفلسفات القديمة اختلافاً بيّناً في تفسير الشر من حيث أصله ووجوده وحقيقته، والآراء السابقة جميعها ترجع إلى ثلاثة؛ رأي يرى أن وجود الشر يمنع من وجود الله وهوما ذهب إليه **أبيقور** و**يانج**، ورأي ثان يذهب إلى الاعتقاد بوجود إلهين أو أصلين للعالم، أولهما للخير والثاني للشر، والرأي الثالث لم ينكر أصحابه وجود الله ولم يجعلوا له شريكاً، ولكنهم أنكروا أن يكون للشر حقيقة وجودية، كـ**أفلوطين** و**توما** و**أوغسطين**.

وبما أن الرأي الثاني – رأي الثنوية – لن يتكرر ذكره فسنرد عليه رداً مختصراً فنقول: إن القول بإلهين للكون يتعارض مع امتزاج الخير بالشر في كثير من مظاهر الواقع مع أنهما ضدان لا يلتقيان،وانقلاب الخير إلى شر والشر إلى خير في بعض الأحيان،وظهور الخير ممن يفعل الشر غالباً وظهور الشر ممن يفعل الخير[1]، ويضاف إلى ما سبق، أن الإله الخيّر إن قدر على دفع شر الشرير ولم يفعله فهوشرير، وإن لم يقدر عليه فهوعاجز عن بعض الممكنات فلا يصلح إلهاً، فسقط بذلك ألوهيته أوخيريته[2]،حتى وإن قالت بعض الفرق أن إله الخير سينتصر في النهاية، فكيف يكون هذان الإلهان متساويين في القدرة؛ فالعقل يقضي بأن الذي سينتصر في النهاية هوالإله الحق، والمغلوب لا يكون إلهاً بحال من الأحوال.

ومن الأمور التي ينبغي التنبيه عليها، ذلك التناقض البيّن في موقف الفلسفة الرواقية من الحرية الإنسانية؛ فهم –كما أسلفنا– يرجعون الشر إلى ما منح الله تعالى عباده من حرية في الفعل[3]، ولكنهم –بعد ذلك– يقررون أن العالم خاضع لقوانين ثابتة تجعل الإنسان مسلوباً من حرية الإرادة[4]، ولعلّ الفلسفة الرواقية هي التي ابتدعت القول بالجبر، ثم تلقفته من بعد ذلك فرق وطوائف أخرى، إسلامية وغير إسلامية .

---

(١) انظر معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة : محمد التميمي بوهلال، ص ٣ .

(٢) انظر المواقف في علم الكلام : عضدالدين الإيجي، ٣ /٦٥ .

(٣) انظر الفلسفة الرواقية: د.عثمان أمين، ص ١٥٣ .

(٤) انظر قصة الفلسفة اليونانية: أحمد أمين وزكي نجيب محمود، ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

الفصل الأول:

مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر

وفيه مبحثان

المبحث الأول: الاتجاه الديني

المبحث الثاني: الاتجاه اللاديني

المبحث الأول:

الاتجاه الديني

وفيه عشرة مطالب

المطلب الأول: توماس هوبز

المطلب الثاني: ديكارت

المطلب الثالث: اسبينوزا

المطلب الرابع: مالبرانش

المطلب الخامس: ليبنتز

المطلب السادس: روسو

المطلب السابع: كانط

المطلب الثامن: وليم جيمس

المطلب التاسع: جونزيا رويس

المطلب العاشر: بول ريكور

توطئة

شهرة معضلة الشر جعلت من العسير أن يضم هذا العمل جميع من ناقش هذه المسألة في كل العصور، لذلك رأيت أن أختار فترة زمنية محددة أناقش فيها أهم الشخصيات الفلسفية التي كان لها إسهام في موضوع بحثنا، وقمت باختيار الفلسفة الحديثة والمعاصرة وذلك بسبب تنوع الحلول والاستدلالات التي قدمت في هاتين الفترتين، ولقرب هاتين الفترتين من واقعنا الفكري.

وحاولت قدر الإمكان أن يكون هؤلاء الفلاسفة منتمين إلى مدارس ومذاهب فلسفية مختلفة، كالاتجاهات العقلية والمادية والمثالية والوجودية والبراغماتية وغيرها.

وقد جعلت هؤلاء الفلاسفة في اتجاهين: الاتجاه الديني والاتجاه اللاديني، وذلك بحسب موقف الفيلسوف من الدين بشكل عام، وقد بذلت جهدي في نقل كلام هؤلاء الفلاسفة من كتبهم التي ألفوها، أو على الأقل من مصادر غربية، سواء الأصلية والمترجمة منها، مستعيناً بالمراجع العربية، وقد ربطت الكلام في مسألة الشر عند كل فيلسوف بمسألة وجود الله وصفاته للارتباط الوثيق الذي يجمع بينهما.

ونقصد بالاتجاه الديني هنا أولئك الفلاسفة الذين لم ينظروا للدين نظرة سلبية، ولم ينكرواوجود الله، وإن كانت أفكارهم واعتقاداتهم فيها انتقاص من الألوهية الكاملة، فنجد في هذا الفريق من الفلاسفة من أنكر قدرة الله الكاملة أو علمه الكامل وغير ذلك من اعتقادات لا تتفق مع العقيدة الصحيحة تجاه الخالق عز وجل.

لذلك سنجد من بين الفلاسفة الدينيين من اتهمهم قومُهم بالإلحاد، وذلك لتبنيهم مواقف دينية تخالف ما عليه عامة أهل زمانهم، و إن كانوا- في حقيقة الأمر – من المؤمنين بالله، والمثبتين له كل صفات الكمال، وهذا ما حدث مع **اسبينوزا**، عندما اتُّهم بالإلحاد مع أنه مؤمن بالله، بل إنه ممن أقام الأدلة على وجوده، ولكنه شكّك بصحة ما ورد في الكتاب المقدس، وتبنى عقيدة وحدة الوجود، فثار الناس عليه، و حاول اليهود اغتياله[1] .

واتُّهم كذلك **هوبز** بمثل ما اتُّهم به **اسبينوزا**، لأنه شكّك في صحة الأناجيل، أضف إلى ذلك، أنه أرجع إقبال الناس على الدين إلى الخوف من القلق[2]، وإذا تجاوزنا **اسبينوزا** و**هوبز** إلى **كانط**، فإننا سنجد أنفسنا أمام شخصية فلسفية غامضة يحار المرء إلى أي فريق ينسبها؛ وذلك لما اشتهر عنده من التفريق بين العقل النظري والعقل العملي؛ فالعقل النظري (أي الأدلة والبراهين العقلية البحتة) لا يستقل وحده بإثبات وجود الله تعالى أو الآخرة، ولا بد من العقل العملي لإثبات هذه القضايا، وبمعنى آخر، إن الاعتقاد بوجود الله وخلود النفس وحرية الإرادة الإنسانية اعتقادات ملحة تتطلبها دوافع الأخلاق الصحيحة[3].

---

(1) انظر الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم : د.إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص ١٨٧ .

(٢) *See Leviathan: T.Hobbes,p٩٦ .*

(3) انظر نقد العقل المحض : كانط، ص ٣٩٤ ، ٣٩٥.

المطلب الأول

توماس هوبز *Hobbes* (١٥٨٨ – ١٦٧٩م) [١]

يعد **هوبز** من أوائل الفلاسفة الماديين في العصور الحديثة وأعظمهم، وهو يستدل بقانون بطلان التسلسل[٢] على وجود الله، ومع ذلك، فالاستدلال الفلسفي – برأيه – لا يخبرنا عن الله إلا قليلاً[٣] . ويرى أن موضوع رغبة أي إنسان خير، وموضوع نفوره يسمى شرّاً، وعند إشباع الرغبة أو النفور نشعر بلذة، وعندما يتم إعاقتها نشعر بألم، وبالتالي فإن الخير هو اللذة، والشر هو الألم[٤] .

ينظر هذا الفيلسوف إلى الخير والشر من حيث إنها تصورات نسبية، فليس هناك خير مطلق أو شر مطلق، كما أنه ليس هنالك معيار موضوعي عام يؤخذ من الأشياء نفسها ليميز بين الخير والشر، لأن قاعدة التمييز بينهما تعتمد على الحركات الإرادية للفرد. اتهم **هوبز** بالإلحاد، لكنه لم يكن كذلك، بل كان مجدداً في فهم الدين[٥] .

يلجأ **هوبز** في تفسيره لمشكلة الشر والتزام الناس بطاعة الله إلى القوة اللامتناهية لله، حيث يقرر أن الناس إنما يعلنون طاعتهم وولاءهم لمن لا يستطيعون مقاومتهم بسبب سمو قوتهم وامتيازها " وهذا هو السبب الذي يبرر للملك أن يحكم رعاياه. وذلك هو حق الله في ابتلاء الناس وفق مشيئته، فهو يرجع إلى أنّ الله قادر على كل شيء، إنّ هذا لا يعود إليه بوصفه خالقاً، ولا لفضله ونعمته بل لقدرته اللامتناهية. وإذا كانت العقوبة تعتمد على وجود خطيئة، فإنّ حق الابتلاء لا يحتاج باستمرار إلى خطيئة ولا يستمد من ارتكاب الشر، وإنما يعتمد فحسب على قوة الله وحدها "[٦] .

ويستدل **هوبز** على رأيه هذا بقصة أيوب عليه السلام النبي الصالح الذي يتقي الله ويحيد عن الشر[٧]، ولكنه يجد نفسه في لحظات، وقد نفق له سبعة آلاف رأس من الغنم، وثلاثة آلاف من الإبل، وبعد ذلك يخبره رجل بأن أولاده جميعاً– ثلاث بنات وسبعة بنين– هلكوا بريح شديدة جعلت البيت يسقط على رؤوسهم، وعندها يجأر أيوب عليه السلام بالشكوى إلى الله تعالى، ولكن الله يحسم المسألة بنفسه ويخبره أن ما حدث له لم يكن بسبب خطاياه، بل إنه تعالى يستمد حجته من قوته هو، وقدرته على كل شيء[٨] .

---

(١) توماس هوبز : فيلسوف انجليزي، كان معلماً لشارل الثاني أثناء منفاه في باريس، كان يعتقد أنّ المعرفة تعني القوة، من أشهر كتبه (التنين) أو(اللواياثان) الذي عرض فيه بصورة لاذعة آراءه في السياسة والدين والأخلاق وغير ذلك من مواضيع، انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة مؤلفين، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

(٢)التسلسل: هو فرض أن المخلوقات كلها متوالدة عن بعضها إلى ما لا نهاية، بحيث يكون كل واحد منها معلولا لما قبله وعلة لما بعده، دون أن تنبع هذه السلسلة أخيراً من علةٍ واجبة الوجود هي التي تفضي التأثير المتوالد على سائر تلك الحلقات، وهذا الفرض باطل يحكم العقل باستحالته بالضرورة، انظر كبرى اليقينيات الكونية: د.البوطي، ص ٨٢.

(٣) انظر تيارات فلسفية حديثة: علي عبدالمعطي محمد، ص ٤ ، ٥ .

(٤) *Leviathan: T.Hobbes, p٤١-٤٢.*

(٥) انظر قضايا معاصرة في مشكلات الفكر والأخلاق : د.محمد الجبر، ص٩٤ .

(٦) *Leviathan: T.Hobbes, p٣٤٥،٣٤٦.*

(٧) انظر سفر أيوب : ١– ١ .

(٨)*See Leviathan: T.Hobbes, p٣٤٧.*

يجيب الرب أيوب عليه السلام قائلاً: " من هذا الذي يظلم القضاء بكلام بلا معرفة؟ اشدد الآن حقويك كرجل فإني أسألك فتعلمني: أين كنت حين أسست الأرض ؟ أخبر إن كان عندك فهم، من وضع قياسها ؟ من مدّ عليها مطماراً ؟ على أي شيء قرّت قواعدها؟ أو من وضع حجر زاويتها؟ " [1]. إنها القوة اللامتناهية لله، وهي، في الوقت ذاته، تؤكد حريته المطلقة في أن يفعل ما يشاء [2] .

الله عند **هوبز** فوق الخير والشر، وقدرة الله تتجلى في كل شيء، حتى الحيوانات نفسها تخضع لألوان من العذاب والآلام والموت، مع أنها لم تخطئ ولم تأثم، إنها إرادة الله التي تريد لها أن تكون كذلك، قوة الله التي لا تقاوم تبرر جميع أفعاله[3]، ومن الممكن أن يكون الشر الطبيعي عقوبة إلهية بسبب مخالفات الناس، ولا ننسى أيضاً أن هذه الشرور قد تكون أسباباً لخيرات مستقبلية[4].

إذاً فقدرة الله اللامتناهية تحل مشكلة الشر في العالم، إذ لله تعالى حق الابتلاء بغير سبب، لذلك لم يكن من حق أيوب عليه السلام أن يسأل الله تعالى عما حدث له من مصائب، ولكن ما سبق من تبرير للشر بقوة الله اللامتناهية إنما ينطبق على الشر الطبيعيوالميتافيزيقي، أما الشر الخلقي فيبقى محل تساؤل عندما نعلم أن **هوبز** يعتقد أن فكرة الحرية مرادفة تقريباً لمعنى الضرورة،وأن السبب النهائي لكل شيء هوالله القادر على كل شيء بوصفه المحرك الأول، وهذه الأسباب من الخطأ أن نقول عنها إنها غير موجودة لمجرد أنها مجهولة فحسب، فالأسباب موجودة وهي تحدث نتائجها بالضرورة، وهذه الحتمية المتطرفة نتيجة منطقية لموقفه المادي والآلي، فنحن في عالم لا يتألف إلا من المادة، ولا تحكمه إلا قوانين الحركة [5].

---

(1) سفر أيوب :٣٨/ ١-٦ .

(2) انظر توماس هوبز إمام العقلانية : د.إمام عبدالفتاح إمام، ص ٤١٨ .

(3) انظر المرجع السابق، ص٤١٨، ٤١٩، وانظر*Providence and Evil:Geach,p٤*.

(٤)Leviathan: T.Hobbes, p٢٩٩.

(5) انظر توماس هوبز فيلسوف العقلانية :د. إمام عبدالفتاح إمام، ص ٤٢٢.

المطلب الثاني

ديكارت Descartes (١٥٩٦ – ١٦٥٠م)[١]

يعرّف **ديكارت** الجوهر بأنه" شيء موجود لا يحتاج إلى شيء سوى نفسه لكييوجد [٢]"، ولا ينطبق هذا التعريف عنده إلا على الله فقط، من حيث إنه موجود يقوم بذاته على نحومطلق.

ويقول في كتابه مقال عن المنهج :" يجب- بالضرورة – أن يكون هناك كائن آخر أكثر كمالاً، أنا تابع له، ومن لدنه حصلت على كل ما هولي ...وإذا أردت التعبير بكلمة واحدة عن تلك الطبيعة فإنّ المراد بها الله "[٣].

أما فيما يتعلق بصفات الجوهر الإلهي عندهفهي أنه كائن كامل لا متناهي، لا يمكن أن ننسب إليه ما يوجد فينا من نقص كالشك والحزن والزلل، وإلا ما كان كاملاً، ولا يمكن أن تكون قدرته محدودة، وإلا ما كان لا متناهياً[٤]، وهذا الكائن اللامتناهي يهتم بالكون ويعتني به[٥].

ويذهب**ديكارت**إلى أن هذا العالم الذي نعيش فيه خلقه الله لنا في كمال ونظام مطلق، أما النقص الذي يظهر في بعض ما نراه من مظاهر الكون ومحاولة البحث عن أسباب هذا النقصوحكمه فينبغي عدم الخوض فيه " يبدولي أن الخوض في غايات الله، ومحاولة الكشف عن أسرارها، جرأة عليه"، وذلك لأن البشر بعقولهم القاصرة لا يستطيعون إدراك حكم الله في مخلوقاته:" أليست غايات الله غير مدركة؟ فلا ينبغي أن نحكم على أعمال الله باعتبار جزء منها هو طبيعتنا الخاصة، بل باعتبار الكل، فما نحن إلا ذرة ضئيلة من خليقته"[٦]، وما اصطلح العلماء على تسميته بالعلل الغائية فإنه في الحقيقة لا محل له في الأشياء الفيزيقية والطبيعية، أضف إلى ما سبق، أنه ينبغي للإنسان أن ينظر إلى الكون كله نظرة كلية،ولا يقصر نظره على بعض المخلوقات دون بعض، وبكلام آخر، إن النظرة الضيقة لما نراه في الكون تؤدي بنا إلى نتائج خاطئة فيما يتعلق بقدرة الله اللامتناهية، يقول **ديكارت**:" يجب أن ننظر في مخلوقات الله جملةً لا تفصيلاً "[٧].

---

(١) رينيه ديكارت : ولد في فرنسا في بلدة (لاهي)، درس في مدرسة لافليش اليسوعية، وألمّ فيها باللغات القديمة وبالفلسفة والمنطق والأخلاق والرياضيات والطبيعيات،حصل على شهادة الحقوق عام ١٦١٦ م ، سافر إلى هولندة وألمانيا وسويسره وإيطاليا،وأقبل على التصوف ثم انتهى إلى الفلسفة، اتخذ منهج الشك سبيلاً للوصول إلى المعرفة، توفي بالتهاب الرئة. انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة مؤلفين، ١٣٨ ، ١٣٩.

(٢) المبادئ: ديكارت، ج١، ف ٥١، وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٩٦.

(٣) ص ١٥٦.

(٤) انظر تيارات فلسفية حديثة : د. على عبدالمعطي محمد، ص ٧٩ .

(٥) انظر تاريخ الفلسفة: برييه، ١٢٧/٤.

(٦) تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى : ديكارت، ت :كمال الحاج، ص ١٤٦ – ١٦٥.

(٧) المرجع السابق، ص ١٦٥ .

وهذا الكمال الذي نسبه للعالم لا يعني أننا نصبح في منجاة من الحوادث والشرور، لأن العالم مليء بها وفق سنة الحياة والطبيعة، لكننا يجب أن نؤمن بأن ما يحدث لنا من حادثات، وما يصيبنا من آلام إنما هي من عند الله[١]؛ فالمصائب من مرض وموت وزلازل وصواعق كلها أمور خارجة عن نطاق إرادة الإنسان، وتفكير الإنسان بشأنها لا طائل تحته، لأن ذلك يتعلق بإرادة الله ومشيئته المطلقة، لذلك علينا التسليم بإرادة الله، مما يستتبع الرضا والطمأنينة النفسية، وإن النفس الراضية المطمئنة إلى قدر الله وقضائه لا تولد السعادة الداخلية في أعماق الذات الفردية فحسب، وإنما قد تولد الفرح والحب الإنساني الذي يتبدى على مظاهر الجسم الخارجية[٢] .

أما فيما يتعلق بالشر الخلقي ومدى مسؤولية الإنسان عنه، فإن **ديكارت** يقرر أن ثمة ثلاثة أسباب للشر الخلقي هي:

١- المعرفة الناقصة: هي سبب من أسباب الشر الذي يفعله الإنسان، بينما المعرفة التامة، أي العلم، سبب أفعال الخير، فمن المستحيل علينا أن نرتكب الخطيئة في الوقت الذي يتبين لنا فيه أنها كذلك، ويبدومن هذا كيف أنه يتبنى قول **سقراط** الذي يذهب إلى أن الفضيلة علم، والرذيلة جهل[٣].

فليس هنالك فرد ما يختار الشر من حيث إنه كذلك، ولكن الفرد قد يختار ما هوشر لأنه يتمثل له في صورة الخير، فالإرادة تتجه نحوالخير، ولكنه حتى إذا تذكر أوعلم أن شيئاً ما هوشر، أوكان قد سمع بنفسه في فرصة سابقة بأنه شر، فإن هذا لا يمنعه من أن يستمر على الفعل الذي يظهر له كأنه خير وكأنه مرغوب فيه، فسيطرة الشهوات هي التي قد تصرف اتجاهنا[٤].

٢- الشيطان: يتساءل **ديكارت** لماذا ينبغي لإله يستطيع ألا يسمح لنا بأن نخدع أن يسمح بخداعنا أحياناً؟ هنا يشرح لنا السبب الثاني للشر الخلقي فيلجأ إلى فكرة شيطانٍ شريرٍ يمكن افتراض أنه يبذل ما بوسعه لتضليل الناس وإيقاعهم في الخطأ، فالله غير مسؤول عن الخطأ، كما هوغير مسؤول عن الفجور الأخلاقي[٥].

٣- الإرادة الحرة: يتبع البشر –غالباً – إرادتهم في سائر أفعالهم، فالإرادة بذلك هي الموجه لهم، والدافع لأفعالهم الحسنة عندما يسترشدون بالفكر الواضح، في حين أنها تدفعهم للشر إذا ما تركوا الزمام لفوضى الأفكار المبهمة[٦].

---

(١) انظر ديكارت أو الفلسفة العقلية : د. راوية عبدالمنعم عباس، ص ٤٩١.

(٢) انظر فلسفة ديكارت ومنهجه: د.مهدي فضل الله، ص ١٧١.

(٣) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية:يوسف كرم، ٦٨.

(٤) انظر قضايا معاصرة في مشكلات الفكر والأخلاق : د.محمد الجبر، ص٩٠ ، ٩١.

(٥) انظر الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم :د.إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص ٩٥.

(٦) *A Companion to Descartes: Janet Broughton John Carriero,p٨٢.*

وانظر ديكارت أوالفلسفة العقلية : د.راوية عبدالمنعم عباس، ص٤٧٩.

الإرادة هي إذاً مصدر من مصادر الخطأ عند هذا الفيلسوف، وليس للعقل دور في ذلك، والسبب في ذلك، أن الإرادة أوسع نطاقاً من الذهن (العقل)، وإنها لذلك مصدر لأخطائنا[١]، ويضيف **ديكارت** أنه كلما اتسع مجال ممارسة الإرادة لفعلها اتسعت معه دائرة أخطائنا[٢] .

وإرادة الإنسان– برأيه– إرادة ضعيفة ، ومن صفاتها الرئيسة اللامبالاة، وبالتالي فمن السهل انحرافها عن جادة الصواب " ولما كانت الإرادة من شأنها ألا تبالي فمن أيسر الأمور أن تضلّ، وتختار الزلل بدلاً من الصواب، والشر عوضاً عن الخير مما يوقعني في الخطأ والإثم "[٣].

ويعلل **ديكارت** كون الإرادة مصدراً للخطأ بأن فعل الذهن مع ما يتميز به من وضوح وصحة لا يمكن أن يدفعنا للخطأ أوالإثم من حيث كونه محدوداً فيذكر أنه ليس في الإنسان إلا نوعان من الفكر هما:

إدراك الذهن وفعل الإرادة[٤]. والمقصود بكلامه هنا، أن في الإنسان قوتين؛ هما قوة العقل وقوة الإرادة، والإرادة هي سبب الخطيئة، لأن الإرادة ملكة أصيلة في النفس تقوّم الأفكار وتطلق الأحكام سلباً أو إيجاباً[٥].

والتصور الديكارتي عن الإرادة بصفتها مصدراً للخطأ يتفق مع روح عقيدته بشأن الخطيئة الأصلية، فحواء – وبسبب من ضعف إرادتها– تقف أمام الشجرة المحرمة وتتناول من ثمارها، وبهذا الذي فعلته حواء سقط أول إنسان وورّث هذا السقوط للبشرية جمعاء من بعده، وبذلك تصبح حرية الاختيار هي التي تميز إرادتنا المسؤولة عن حدوث الإثم[٦].

ولكن إذا كان العقل هبة من الله، فكيف إذاً يقع الخطأ من خلال هذا العقل، وهومرتبط بأحكام الإرادة؟ الجواب، وكما يرى **ديكارت**، أن الله صادق، بل مصدر كل حق، في حين أن الشيطان هومصدر الضلال، فهوشيطان ماكر مُضل، ولذلك من المستحيل أن يضلنا الله، إذ إن في الخداع والغش نقصاً ،والمخادعة دليل على الضعف أوالخبث، وهما أمران لا يمكن أن يوجدا في الله[٧].

---

(١) انظر ديكارت أوالفلسفة العقلية: د. راوية عبدالمنعم عباس، ص ٤٨٠ .

(٢) انظر تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى : ديكارت، ت : د.عثمان أمين، ص ١٦٣.

(٣)تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى: ديكارت، ت : د.عثمان أمين: ص ١٦٨.

(٤) انظر ديكارت أوالفلسفة العقلية : د. راوية عبدالمنعم عباس، ص٤٨١.

(٥) انظر رينه ديكارت أبوالفلسفة الحديثة:د.كمال يوسف الحاج، ص١٠٧.

(٦) انظر ديكارت أو الفلسفة العقلية : د. راوية عبد المنعم عباس، ص ٤٨٢ .

(٧) انظر تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى : ديكارت، ت:كمال الحاج ، ص ١٦٢.

إن سوء استعمال الحرية هوسبب من أسباب وقوع الإنسان في الخطأ، ولكن هذا لا يعني أن ثمة مسؤولية على الله لأنه لم يهبنا ذكاء كاملاً، لأن عقول المخلوقات ذات طبيعة متناهية، والخليق بالإنسان أن يشكره تعالى على نعمائه إذ رزقه كل ما يتصف به من كمالات يسيرة دون أن يكون لهذا المخلوق فضل على الله[1].

أما موقفه من الموت، فإنه ليس شراً بالنسبة إليه، ولا ينبغي أن نخشاه، لأن السعادة التي تتمتع بها النفس بعد الموت أكبر وأشرف من السعادة التي تتمتع بها في الدنيا[2].

خلاصة الكلام أن الله تعالى ليس مصدر الشر ولا هويريده، ولو أنه أراده – جدلاً – لما كان شراً، لأن حدّ الخير أنه ما أراده الله، ولا سبيل لنا إلى معرفة إرادته إلا عن طريق ما يكشفه لنا النورالفطري – على أنه كذلك – في الإدراك[3]، ومصدر الشر هو الجسد لأنه موطن الرغبات وأصل الرذيلة والشر، وهو موضع شك وتغير وفساد[4].

([1]) انظر تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى: ديكارت،ص ١٦٦، وانظر أقدم لك ديكارت:ديف روبنسون وكريس جارات، ص ٧٥.

([2]) انظر ديكارت أوالفلسفة العقلية : د.راوية عبد المنعم عباس، ص ٤٩١.

([3]) انظر الله ديكارت : نظمي لوقا، ص ١٦٩.

([4]) انظر ديكارت أو الفلسفة العقلية : د. راوية عبدالمنعم عباس، ص٤٩٢.

المطلب الثالث

اسبينوزا Spinoza (١٦٣٢ – ١٦٧٧) [١]

يؤمن **اسبينوزا** بالله فـ"الله واجب الوجود "[٢]،وإنّ"معرفة الله وحبه هي الغاية القصوى التي ينبغي أن تتجه إليها جميع أفعالنا "[٣]،ولكنه يؤمن بالله على طريقته الخاصة، إذ يعتقد أنّ الله علة محايثة للعالم، بمعنى أنه لم يخلق العالم لأنه هوالعالم، والله كامل، ولكن ليس له إرادة.

وينكر **اسبينوزا** الإله الذي يحب الإنسان ويعتني به ويستمد منه العون والمساعدة، لذلك اتهم بأنه ملحد. والحقيقة أنّ وجهة نظره عن الله ليست إلحاداً، ولكنّها أشبه بمذهب وحدة الوجود (الله هوالكل، والكل هوالله)[٤].

لا محل للحديث عن حرية إلهية في فلسفته، لأن الله عز وجل لا يستطيع أن يغير في القوانين الطبيعية، والقول بذلك كالقول بأن الله تعالى بوسعه أن يحول دون أن يكون مجموع زوايا المثلث مساوياً لزاويتين قائمتين[٥].

وبإنكاره لحرية الله وإرادته فإنه ينكر العناية الإلهية ذاتها، فهذا الإله– برأيه – ليس هوتلك العناية الربانية التي تضع غاية لها وتسعى واعية إلى تحقيقها، ولا ذلك القاضي الذي يسهر على عالم موجود خارج ذاته، ولديه فكرة أخلاقية يلجأ إليها لمكافأة الفضيلة أومعاقبة الجريمة، إن الله يعمل ويحدث، ولكنه يفعل ذلك بضرورة كامنة في طبيعته كما يحمل المثلث خواصه في ذاته[٦].

أما فيما يتعلق بمسألة الخير والشر، فإن **اسبينوزا** يرى أن الناس يطلقون على الأشياء التي يرغبونها اسم الخير والتي يكرهونها اسم الشر. أما الله فإنّه لا يملك رغبات أو أصنافاً من الكراهية، ولذلك فمن غير الممكن أن توجد قيم أخلاقية بالنسبة له، ومن الحمق أن نفكر في الله أنّه يخلق شيئاً لمنفعة الناس أو أنّه يبطل قوانين الطبيعة ويقدم معجزات مكانها[٧].

ومن هنا يرى أن أساس الأخطاء التي زلّ فيها كثير من الفلاسفة هو إدخال المقاييس البشرية في سير العالم، ومن هنا نشأت مسألة الشر عندهم، ناسين أن الله فوق خيرناوشرنا،وأن الخير والشر نسبيان يتبعان أذواق البشر وأغراضهم. والإنسان يحكم أحياناً على

---

(١) باروخ اسبينوزا: ولد في أمستردام من أبوين يهوديين، برع في عدة علوم، كان يتكلم الاسبانيةوالبرتغالية والعبرية، عارض العقائد اليهودية القديمة فحرم من الكنيس فغير اسمه وصار يشتغل بصقل العدسات ، من أشهر كتبه (رسالة في إصلاح العقل) و (الرسالة اللاهوتية السياسية)و(علم الأخلاق). انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: مجموعة مؤلفين، ص ١٨٠ ، ١٨١.

(٢) علم الأخلاق : اسبينوزا، ت: جلال الدين سعيد، ص ٤٠ .

(٣) رسالة اللاهوت والسياسة : اسبينوزا، ت : حسن حنفي، ص ١٩٥.

(٤) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ت:محمود سيد أحمد، ص ١١٤.

(٥) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة :اسبينوزا،ت: د.حسن حنفي، ص ١٩٧ ، ١٩٨.

(٦) انظر اسبينوزا : كريسون، ص ٤٦ ، ٤٧.

(٧) تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ت:محمود سيد أحمد، ص١١٤ .

حوادث العالم بأنها عبث أوشر،لأنه لا يرى الكون إلا من جانب واحد، فهوجاهل بنظام الطبيعة وقانونها الشامل وتماسكها وتكوينها كلاً واحداً[١].

والشيء الثاني الذي يعيننا على فهم حوادث الكون من مصائب ونوازل سماوية أو أرضية هو أن هذه الأمور تخضع في حقيقة الأمر لضرورة منطقية مطلقة، فمن المستحيل منطقياً أن نتصور حدوث الأشياء على غير ما هي حادثة بالفعل. وما دامت القضية كذلك، فإنه لا يجوز لك، طالما أنك تتحدث من منظور الضرورة، أن تحكم على هذا الحدث بأنه خير أوشر[٢].

ويضرب لنا **اسبينوزا** مثالاً يوضح به هذين السببين الذين جعلا من مسألة الشر مشكلة في نظر أغلب الناس؛ الزلزال–الذي يُرى على أنه مصيبة فادحة في نظر معظم الناس– قد يكون سبباً في إنعاش صناعة البناء أثناء فترة التعمير التالية، وقد تذكره بعض النفوس بالخير لأنه قضى على منافس أوجلب ميراثاً قبل الأوان [٣].

وهنا يشيرإلى فكرة تضايف الخير والشر؛ فالشر هوسلب وعدم، وليس صفةً لها وجود أوكيان، ومن المحال أن يكون في طبيعة الأشياء ذاتها شر، ولكن حيث لا يوجد الشر لا يوجد الخير أيضاً، والحادث الواحد يمكن أن يفسر على أي نحونشاء، طالما أننا ننظر إليه من منظورنا البشري، ومن حيث هوحادث جزئي منعزل عن التيار العام للضرورة الطبيعية، كما في مثال الزلزال السابق[٤].

والسبب الثاني هو أن الإنسان–في نظره –لا يدرك قوانين الطبيعة الحتمية، فمن لا ينظر إلى هذا الزلزال على أنه حادث حتمي لا مهرب منه فإنه مخطئ، لأنه طالما يتحدث من منطلق الضرورة، فمن غير الممكن منطقياً عندئذٍ أن تحكم على الزلزال أوغيره بأنه خير أوشر[٥].

وبناء على ذلك، يرفض رفضاً تاماً أن يكون الإنسان حراً مختاراً في أفعاله، فالمستقبل ثابت ثباتاً لا تعديل فيه، شأنه شأن الماضي. أما ما نشعر به في أنفسنا من حرية في العمل، فليس سوى جهل بالأسباب التي تؤدي إليه، وكما تلزم الخواص الهندسية للمثلث من طبيعة شكل المثلث، كذلك يلزم سلوك كل كائن حي من محض طبيعته، لأن الإنسان لا ينفرد ولا ينفصل عن الجبرية الماثلة في الكون، فهويخضع بدوره لنظام العالم[٦].

إنّ الحرية الإنسانية هي ببساطة مسألة قبول الكون لأنك تفهم ضرورته الرياضية، ومتى تمّ ذلك ستحصل على سلام العقل، ستتحرر من الانفعالات وتكون قادراً على أن ترد الشر إلى الخير، فإذا كان محتماً على صديقك أن يموت ومرضه لا يمكن الشفاء منه، فلا شيء يمكن أن تفعله من أجل إنقاذه، وبالتالي لن تحزن عليه لأنّها مسألة ضرورة[٧].

---

(١) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة:اسبينوزا ،ص ٣٧٩، وانظر قصة الفلسفة الحديثة : د.زكي نجيب محمود وأحمد أمين، ص١٥٢.

(٢) انظر اسبينوزا: د.فؤاد زكريا، ص١٢٨ ، ١٢٩ .

(٣) انظر المرجع السابق، ص١٢٩.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٢٩.

(٥) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة : اسبينوزا ،ت: حسن حنفي، ص ٣٧٨ .

(٦) انظر المرجع السابق، ص ٣٧٨، وقارن تيارات الفلسفة الحديثة : د.علي عبدالمعطي محمد، ص ٢٠٤.

(٧) انظر علم الأخلاق:اسبينوزا، ت: جلال الدين سعيد، ص ٣١٣، وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ت:محمود سيد أحمد، ص١١٨.

المطلب الرابع

مالبرانش *Malebranche* (١٦٣٨ – ١٧١٥ م) [١]

فكرة وجود الله عند **مالبرانش** لا تحتاج إلى برهان، لأنها تعد أكثر الأفكار وضوحاً ويقيناً[٢]. سخّر هذا الفيلسوف عبقريته الدينية لمنع الطلاق بين الفلسفة والدين الصحيح[٣]، وهو يعتقد مثل اعتقاد **باسكال**(ت:١٦٦٢م) أنّ الوحي المنزّل وحده يعطينا حل مشكلة الشر، لأنه يطلعنا على وجود الخطيئة الأصلية [٤].

يتأمل **مالبرانش** في أرجاء الكون كله فيرى العناية والرحمة الإلهيتين تغشيان المخلوقات كلها[٥]، وبسبب هذه العناية نرى أن العالم قد سادته حالة نظام وترتيب عجيبين[٦]، لذلك يتفق مع **ليبنتز** أن عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة[٧].

وينظر إلى الشذوذ الموجود في بعض مظاهر الكون بتفاؤل، ويراه – في حقيقة الأمر– شيئاً شبيها بالجمال، فالله يصنع الخير، وفي الوقت نفسه يصنع الشر الذي لا يحدث إلا بإرادته الحرة، وصنع الخير من قبل الله يتفق مع صفاته العليا، أما الشر فإنه يوجد خلال فعل الخير لغاية قد لا نعلمها، لأن القوانين الإلهية لم تكن في أصلها لتخلق بحسبها أشياء خارجة غير متفقة مع ناموس الطبيعة[٨].

حقيقة الأمر إذاً، أن وجود النقص والفساد في العالم لا يقللان من قيمة الفعل الإلهي فيه، ذلك أن مدار هذا الفعل في جوهره من ناحية الخالق والمخلوق هو الحب والتمجيد، فالله محبة، يحبه رعاياه ومخلوقاته ويمجدونه، وهو يشملهم بحفظه وحبه وعنايته بمنح نعمته لخلقه جميعاً، إذ إنه يعمل عن طريق رسالة المسيح لخلاصهم[٩].

قبل ارتكاب المعصية الأولى، كان آدم عليه السلام لا يعرف الألم، وكان جسمه يشعره بما يحس به من حاجات، ولكن بفضل قدرة يسّرها الله بمشيئته،كان في وسع آدم أن لا يتكدر بهذه الوساوس، فكان يوقف حاجته ريثما يطيب له تلبيتها. لذلك لم يكن هناك ما يوقف تأملاته، إلا أنّ آدم عليه السلام ارتكب المعصية، فأبطل الله الناموس الذي كان يتيح له التحكم بجسمه، منذ هاتيك الآونة والإنسانية تقاسي الآلام، وآلامها لا تراعي أسمى مشاغلها ولا تحسب لها أي حساب[١٠].

---

(١) مالبرانش : ولد نيقولا دي مالبرانش في (باريس)، وانتمى سنة ١٦٦٠ م إلى سلك الرهبنة، ولما قرأ كتاب الإنسان لديكارت تكشفت موهبته الفلسفية وعدّ فيما بعد أنجب فيلسوف ديكارتي فرنسي، درس الطبيعة والرياضة الفلسفة والدين، من كتبه (البحث عن الحقيقة) و(كتاب الأخلاق) و(أحاديث ميتافيزيقية).انظر موسوعة الفلاسفة:د.فيصل عباس، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(٢) الفلسفة الحديثة والنص : د. راوية عبدالمنعم عباس، ٩٤/٢ .

(٣) تاريخ الفلسفات الكبرى : بيير دوكاسيه، ت: جورج يونس، ص١١٨ .

(٤) تيارات الفكر الفلسفي : كريسون، ت: نهاد رضا، ص ١١٩ .

(٥) الفلسفة الحديثة والنص : د. راوية عبد المنعم عباس، ١٢٤/٢ .

(٦) انظر المرجع السابق، ص ١٣٣ .

(٧) انظر المرجع السابق، ص ١٣٧ .

(٨) المرجع السابق، ص ١٤٠، ١٤١ .

(٩) انظر المرجع السابق، ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(١٠) انظر تاريخ الفلسفة : برييه، ٢٤٥/٤ .

إنّ **مالبرانش** يبين أنّ هذا العقاب عادل حتى إزاء أفضل البشر وأكثرهم تقى، إنهم في عداد الآثمين لأنهم ولدوا مصابين بالعدوى ولم يفعلوا ما يقربهم إلى الله. فليكفّ الإنسان إذاً عن الشكوى من الأرزاء الجسمانية، إنها نتيجة أخطائه وجزاء معاصيه[١].

ولكن هنا سؤال اعترض به على **مالبرانش** وهو : إذا كانت الأرزاء الجسمانية جزاء الشر المعنوي، فمن أين يأتي إذاً الشر المعنوي ذاته؟ والله، من جهة أخرى، علم عند الخلق أنّ الإنسان سيرتكب الخطيئة، الأمر الذي سيؤدي إلى سلسلة من الشرور على الأرض، فلماذا إذاً لم يمتنع عن كل خلق بدلاً من أن يُولد الشر؟.

لحسن الحظ، إنّ الوحي المنزّل يسد الثغرة، لئن خلق الله العالم، فلأنه كان ذا غاية، هذه الغاية هي تجسد يسوع المسيح، وفداء البشر عن طريق هذا التجسد بالذات، إنّ العالم سيبقى مستغلقاً ما دمنا لا نملك هذه الفكرة، يقول **مالبرانش**: " أتحداكم أن تنقذوا أنفسكم بجميع المبادئ الموجودة في أفضل فلسفة، أتحداكم أن تنقذوا أنفسكم فقط من هذه الخطوة السيئة دون مساعدة الإنسان – الإله، دون قبول وسيط مخلّص، دون أن تعتقدوا أنّ الله استهدف خاصة تجسد ابنه يسوع ". ويقول في كتابه الأحاديث المسيحية:" إن دخول المسيح في نظام الخليقة هو الذي يجعل من العالم صنعاً لائقاً بالله، فلم يخلق الله العالم إلا لتجسد الكلمة "[٢].

فمعصية آدم عليه السلام هي شر، ولكنها أدت إلى خير عظيم، يقول **مالبرانش**:" لئن سمح الله بوجود هذه المعصية، فلأنه كان يعلم جيداً أن هذا الأمر سيتيح الفرصة لتضحية يسوع المسيح "[٣].

ولكن المشكلة تعود إلى الظهور ثانية حين يقال لنا: إذا كان الله قد سمح بالمعصية، فإن هذا يعني أنه أرادها، فيجيب **مالبرانش** أنه لا خلاص من هذه النتيجة إلا بوسيلة واحدة؛ هي إثبات وجود الحرية الإنسانية " إن هدم الحرية معناه جعل الله صاحب الخطيئة ظالماً قاسياً، وبكلمة واحدة، إن هذه الهرطقة تقلب كل دين وكل أخلاق "[٤].

ولكنه يثبت في موضع آخر الجبر المحض، لأن الفاعل الحقيقي الوحيد هو الله " إن الفعل لله وحده ...فهو يخلق الميول والرغبات في الأرواح، وهو يحرك الأجسام وفق ميول الأرواح "[٥].

ينسب **مالبرانش** العلة الفاعلية الحقيقية الوحيدة لكل الأفعال الإنسانية ولكل ما ينجم عن القوى الطبيعية من ظواهر إلى الله تعالى، وهنا يُعترض عليه بسؤال: أين الحرية الإنسانية إذا كان هناك فاعل واحد في الكون؟ ولكي يتجنب قول بعض النقاد كيف يسمح الله تعالى بالمعصية عندما ترك آدم – عليه السلام – يسقط في الغواية دون أن يمده بالعون الإلهي؟ لم يجد **مالبرانش** مخرجاً إلا أن يقول إن سبب الخطيئة الأولى لا يعود إلى أن الله تعالى أراد المعصية للإنسان، وإنما يعود لكون الإنسان مركباً من عنصرين أحدهما يتسامى به وهو النفس، والآخر يهبط به إلى دركات المعصية وهو البدن، فالله تعالى — برأيه – هو الذي يولد الإرادة ونحن الذين نساعد[٦].

---

(١) انظر تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث : كريسّون، ص١١٩ .

(٢) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم، ص ١٠٢ .

(٣) انظر تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث : كريسّون، ص١٢٠ .

(٤) انظر المرجع السابق، ص١١٩-١٢١ .

(٥) انظر الله في الفلسفة الحديثة :كولينز، ت:فؤاد كامل، ص ١٣٢،وانظر قصة الإيمان : نديم الجسر، ص ١٣٣ .

(٦) انظر تيارات الفكر الفلسفي : كريسون، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

ويعود فيقرر أخيراً أن هناك قدراً من الحرية المحدودة في الاختيار لكي يفسر بها وجود الشر في العالم، فحرية الاختيار الإنسانية هي سبب الشرور في العالم، لأن الإنسان يوجهها وجهة سيئة[1].

(1) انظر الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم : د.إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص ١٧٩ .

المطلب الخامس:

ليبنتز Leibniz(١٦٤٦ – ١٧١٦) [١]:

لا تذكر مسألة الشر إلا ويذكر **ليبنتز**، فهو أشهر من تكلم عنها في الفلسفة الغربية قديمها وحديثها، فقد خصّصاثنين من مؤلفاته لمناقشتها، هما (اعتراف الفيلسوف) The Philosopher's Confession و(الثيوديسا)Theodicy[٢][٣].

كان هذا الفيلسوف رجلاً عالماً ومتديناً [٤]متفائلاً أقبل على الدنيا خير إقبال، فلم يعرف من الحياة غير وجهها المشرق الباسم، وكان فيها من السعداء الهانئين، وإننا لنلمح أثر هذه الحياة الباسمة بادياً في سائر ما صنّف وألّف، وفي تلك الكلمة المشهورة التي صبغ بها فلسفته الدينية، والتيأصبحتفيما بعد شعاراً لحياته:(الأمور كلها تجري على أحسن الوجوه في أفضل عالم ممكن) [٥].

سعى للتوفيق بين الفلسفة والدين، فهولا يرى تعارضاً بين حقائق الدين والفلسفة، وإن كان العقل البشري أحياناً لا يمكنه درك حقائق الدين كما هي، ذلك أن هذه الحقائق فوق العقل، ومع ذلكفإنها لا تنافيه[٦].

يؤمن **ليبنتز** بوجود الله القادر على كل شيء، وهذا الإله هو إله خيّر حكيم وقوته غير محدودة، يقول:" الله مطلق الكمال، إذ إن الكمال ليس إلا عظمة الحقيقة الواقعية الشاملة، بصرف النظر عما في بعض الأشياء من حدود، وحيث لا توجد حدود، أعني في الله، فالكمال لا متناه إطلاقاً "[٧]. وفوق كل ذلك هو إله عادل، ويعزوعدالة الله تعالى لحبه لبني البشر، فسعادة الخلق تفرح الله، والله يحب كل الخلق، وبالتالي الله عادل[٨].

ويستنتج من كمال الصانع الأسمى أن نظام الكون بأسره ليس هو أكمل نظام ممكن فحسب، بل لكل موناد[٩]ولكل مركز جوهري إدراكاتها ونزوعاتها المنظمة أحسن تنظيم والمتفقة مع بقية الكون[١٠].

---

(١) ليبنتز : ولد في ألمانيا، كان أبوه أستاذاً لفلسفة الأخلاق بجامعة ليبزج، سافر إلى باريس والتقى هناك بمالبرانش، وزار لندن وانتخب عضواً في الجمعية الملكية هناك، التقى اسبينوزا وحاوره، كان رياضياً كبيراً وفيلسوفاً عظيماً، اشتهر بفلسفته التفاؤلية، من أشهر كتبه (العدالة الإلهية)و(المونادولوجيا)، توفي في هانوفر، انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة مؤلفين، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧.

(٢) معناها في اصطلاح ليبنتز:العدالة الإلهية، وعنوان الكتاب بالكامل هو (بحث في خيرية الله وحرية الإنسان وأصل الشر) .

(٣) *See Stanford Encyclopedia of Philosophy:Leibniz on the Problem of Evil, www.plato.stanford.edu.*

(٤)لما حضرته الوفاة رفض استدعاء رجال الدين، ولم يكن يمارس طقوس العبادة إلا نادرا، وكان يشجع ملوك أوربا وأمراءها على غزومصر بعد أن تشبعت روحه بالتعصب ضد الإسلام وأهل الشرق بصفة عامة، فهويمثل الروح الاستعمارية خير تمثيل، انظر الفلسفة الحديثة: د.إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص ٢١٨ .

(٥) انظر محاولات فلسفية : عثمان أمين، ص ٢٠٥-٢٠٨، وانظر *Leibniz: Wildon Carr,p ١٧٧*.

(٦) انظر أبحاث جديدة في الفهم الإنساني : ليبنتز، ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٧) المونادولوجيا :ليبنتز، ص٤٤، فقرة: ٤١، وانظر أبحاث جديدة في الفهم الإنساني له أيضاً، ص ٢٣٦.

(٨) *The Cambridge Companion to Leibniz:Nicholas Jolley,p٣٩٩.*

(٩) الموناد : لفظ يقصد به ليبنتز الجواهر البسيطة التي تتألف منها الأشياء، انظر المعجم الفلسفي:د.جميل صليبا،٢/٤٥١.

(١٠) المونادولوجيا : ليبنتز، ص ٦٩، الفقرة: ١٢.

وما دام الله هوالسبب الأول للأشياء، فينبغي أن يكون ذا كمال مطلق في القدرة والحكمة والخيرية، وبالتالي فلا بد أن يخلق أفضل العوالم الممكنة، يقول **ليبنتز**: " ولما كان الله إنما يتصرف في خلق الأشياء وفق عقله الأسمى اللامحدود، فإن جليل حكمته المقرونة بخيريةٍ لا حدّ لها لا يعوزها أن تختار من العوالم أحسنها، لأنه إذا لم يكن الأحسن من بين جميع العوالم الممكنة، لما اختار الله منها شيئاً، إذاً فالله قد خلق ضرورةً خير العوالم الممكنة، أعني العالم الذي يحقق أكبر قسط ممكن من الكمال "(١).

وإذا ما اعترض معترض بأنه إذا كان الله قد اختار من بين جميع الممكنات أحسنها، فلمَ إذاً جاء الشر، ولم كانت الخطيئة؟ وقد كان جائزاً أن يوجد المدبر الأول خيراً محضاً خالياً من الشر؟ فيرد **ليبنتز** أن " تصور عالم ليس فيه شر ولا ألم هو أقصوصة من الأقاصيص، ومحض خيالات، ولومُحي الشر من الوجود أصلاً، فحينئذ لم يكن هوهو، ولم يكن بذلك أحسن العوالم الممكنة "، فهذا العالم الذي يحيا فيه الناس "بطبيعته محدود، ولن يطلب الكمال في شيء إنساني أياً كان "(٢).

أما هذا النقص الذي يبدو لنا في هذا العالم فينبغي ألا يحجبنا عن رؤية الصورة كاملةً، إذ" لا ينبغي لنا أن نقصر نظرنا على جزء من العالم، بل يجب النظر إلى المجموع المرتبطة أجزاؤه أوثق ارتباط، والحقيقة أن أحوال العالم مدبرة بعضها بالقياس إلى بعض أحكم تدبير، وما قد يبدونقصاً في الجزء، يكون في الكل كمالاً "(٣).

ولا يكتفي **ليبنتز** بهذا الكلام النظري بل إنه يضرب لنا أمثلة من الواقع تثبت ما يقول :"ألست ترى أن الصوت يكون في نفسه نشازاً فإذا التأم في مجموع موسيقى حصل منه تأثير شجي رائع؟".

ليس هذا فقط، بل إنه يرى أن الشر الحاصل في هذا العالم قد ينتج منه خير في بعض الأحيان، ومع ذلك، فالشر في حقيقة الأمر قليل ووجوده ضروري لكمال وجود الخير، يقول **ليبنتز**: "على أنه قد يحدث من الشر خير في بعض الأحيان، والشر في أشخاص الموجودات قليل، ومع ذلك فإن وجود ذلك الشر في الأشياء ضرورة تابعة للحاجة إلى الخير، كالنار فإن كمالها الإحراق، والإحراق بالقياس إليها خير، وإن كان شراً بالقياسإلى المتألم منها "(٤).

---

(١) *Theodicy:G.W.Leibniz,p٧٧,pp٧,See also Leibniz:Logical and Metaphysics:Martin,p١٠٩.*

(٢) *See Theodicy: G.W. Leibniz,p ٧٨,pp١٠.*

(٣) *SeeThe Internet Encyclopedia of Philosophy : p ٥٣٢.*

(٤) *Theodicy: G.W. Leibniz, p ٧٨.*

ويقول المعترضون:إن الشر في الدنيا أكثر من الخير وأغلب،يقول **بيل***Bayle*[1]":إن الإنسان شقي شرير، وإن المستشفيات والسجون منتشرة في كل مكان، وما التاريخ إلا مجموعة من جرائم الجنس البشري ومصائبه ". فيرد عليه **ليبنتز**:" أنا أعتقد أن في ذلك غلواً، فإن في حياة الإنسان من الخير شيئاً كثيراً لا يمكن أن يقاس به الشر، كما يوجد من المنازل كثرة لا تقاس بها السجون. وعندي أن من عيوب المؤرخين أنهم يهتمون بنواحي الشر أكثر مما يهتمون بنواحي الخير"[2].

ويعزو **ليبنتز**خطأ بعض الناس في زعمهم أن الشر أكثر إلى غفلتهم وقلة انتباههم إلى الخيرات الكثيرة التي أنعمها الله تعالى على بني البشر، أضف إلى ذلك أن الشر يثير انتباهنا أكثر من الخير[3]. إذاً بحسب **ليبنتز**، لا بد من وجود الشر في العالم، والعيش في هذا العالم الذي نعرفه أفضل من عدم وجوده على الإطلاق، وإلا لما استطعنا معرفة قيمة الخير الذي يقهره ويتغلب عليه أويظهره في بعض الحالات، إنّ خيانة يهوذا الاسخريوطي مثلاً جعلت الفداء ممكناً عن طريق المسيح[4].

أما فيما يتعلق بأنواع الشر، فقد ميز **ليبنتز** بين ثلاثة أنواع منه:

أ- الشر الميتافيزيقي: يتمثل هذا النوع من الشر في عدم الكمال، هذا العدم الذي يتضح في الكائن المتناهي من حيث إنه كذلك.إن الكائن المخلوق محدود بالضرورة، ومن هنا فقد كان نقصانه، وكان النقصان أصل إمكانية الخطأ والشر عنده، والنقص من لوازم الموجود المخلوق المتناهي.

ب- الشر الطبيعي(الألم): هو إما نتيجة نقص، وإما نتيجة للخطيئة، تقتضيها العدالة الإلهية، وهذا النوع لم يرده الله، إنما سمح به بصفته وسيلة إلى غاية خيرة، فهو إذاً يؤدي إلى فوائد جمة، لأنه يبدوكالقصاص عند ارتكاب الجريمة، ويبدووكأنه وسيلة لإتمام الخير.

ج –الشر الخلقي أوالإثمي: ويتمثل في الذنوب والمعاصي الناتجة عن استعمال الإنسان الحرية الممنوحة له من الله تعالى، فخطيئة آدمعليه السلام ليست مجرد نقص، بل هي شر فعلي، تولد من مبادرته،والله لا يريد الشر الأخلاقي مطلقاً ولكنه سمح به فقط[5].

وإذا كنا نستمد وجودنا من الله، فيتساءل **ليبنتز**: كيف يصح أن نجد إذاً منبع الشر؟ يرفض **ليبنتز** رأي القدماء في عدّ المادة منبع الشر، لذلك ينبغي أن يبحث عن هذا في طبيعة هذا الكائن المخلوق، إذ من أهم سماته المحدودية (التناهي أو النقص)؛ هذا النقص المتأصل في الطبيعة الإنسانية يجعله قابلاً لأن يخدع بسبب علمه المحدود، ومن ثم يرتكب الإثم والخطيئة[6].

ولكن حينما يتعرض **ليبنتز** إلى مشكلة الشر،وهل هو مخلوق لله أم لا؟ فإنه يلجأ إلى الفكرة التي تؤكد أن الشر هوعدم وجود؛فالشر الأخلاقي هوعدم وجود النظام الحق في الإرادة، وإن أفعال الإنسان الشريرة تعبر عن طبيعته الناقصة وعن جوهره المحدود[7].

---

(1) هومن الذين لهم آراء خالفوا فيها ليبنتز ومن سار على نهجه في تفسير الشر في العالم، وألّف ليبنتز كتاب الثيوديسا رداً عليه، انظر الله في الفلسفة الحديثة:كولينز،ت:فؤاد كامل، ص ١٣١.

(٢) *Theodicy: G.W. Leibniz,p١٣٢,pp١٤٨.*

(٣) *See Ibid,p١٧٤,pp٢٠٨.*

(٤) *See Ibid,p١٠١,pp٨٢،١٣٩* . وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص

(٥)*See The Encyclopedia Americana :١٧/١٨٥, See also Theodicy: G.W. Leibniz,p٨٢,* وانظر الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم:د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص ٢٣٦.

(٦)*Theodicy: G.W. Leibniz,p٦٧,pp٦٩.*

(٧)*See Ibid,p٨٢.*

لقد أكّدعلى حرية الإرادة الإنسانية، لأن الإنسان يختار بين الممكنات بعد الجهد العقلي المبذول والتفكير المحكم الصائب.والحرية منحة من الله للإنسان، ولكن هذه الحرية لا تمنع الإنسان من ارتكاب الخطايا، لأن الحرية مع الخطايا أفضل من الافتقار إلى الحرية، مما يمكن الإنسان من أن يخطئ ويتوب ويعود إلى الحق والصواب، فهذه الحرية في حقيقة الأمر خير، لكن الشر يأتي من إساءة استخدام الإنسان للحرية الممنوحة له من قبل الله(١).

أما فيما يتعلق بخطيئة آدم عليه السلام، فإنه قد تبنى وجهة النظر المسيحية في هذا الشأن؛ فالله تعالى سمح بهذه الخطيئة ليتجلى فضل الله تعالى على عباده بإرسال ابنه المسيح عيسى فادياً البشرية جمعاء بصلبه(٢)، وفضل الله تعالى نابع عن كونه محكوماً بالأصلح(٣).

---

(١) *Theodicy: G.W. Leibniz, p١١١,* وانظر الفلسفة الحديثة : د. إبراهيم، ص ٢٣٥.

(٢) *Theodicy: G.W. Leibniz,p١٠١.*

(٣) *Leibniz:New Essays Concerning the Human Understanding:John Dewey,p٢٢٩.*

المطلب السادس

جان جاك روسو Rousseau (١٧١٢ – ١٧٧٨) [١]

فقدَ أمه وهي تضعه، وهجره أبوه وهوفي العاشرة من العمر، فوجد لنفسه ملاذاً من الحياة في أحلامه، والتمس العزلة في أحضان الطبيعة التي كانت أعظم معلم له[٢]، وكان لهذا أثر في فكرة الرجوع إلى حياة الطبيعة البدائية التي دعا إليها، وعلى فكرته بأنّ الإنسان خيّر بطبيعته[٣].

الله – من وجهة نظر **روسو**– موجود، وهوذوعقل وقوة وإرادة، ولكن قوته محدودة، والله تعالى ليس مسؤولاً عن الشر الذي يرجع لاختيار الإنسان الحر(شر أخلاقي)، يقول**روسو** :"أزيلوا تقدمنا المشؤوم،أزيلوا أخطاءنا وعيوبنا، أزيلوا ما صنع الإنسان، حينئذ يصبح كل شيء علىما يرام "[٤].

فالله الخالق خلق كل شيء صالحاً، ولكن يد البشر هي التي قلبت هذا الصلاح إلى فساد " يخرج كل شيء من يد الخالق صالحاً، وكل شيء في أيدي البشر يلحقهالاضمحلال... يقلب كل شيء، ويشوّهكل شيء "[٥].

يتناول **روسو** في كتابه (عقيدة أسقف سافوا) مسألة الدين الطبيعي، ويتحدث عنها بلغة العاطفة والوجدان، ويذهب إلى أن الله هوسند الأنا وعونها، وفتنة العقول ودهشتها،وأن مشكلة الشر تثير القلق وتبعث الشُّبَه في وثوق الأنا بالله، كيف تطمئن النفس إلى العناية الربانية وتثق بها، والشرور تملأ الدنيا؟ وقد وجد **روسو** أن حل هذه المشكلة يرجع إلى حرية الإنسان التي هي مصدر الشر، وإن في وسعهذه الحرية أن تتبع قوانين النظام والعدل أوتحيد عنها، غير أنه لا بد من أن يظفر الحق، وتنتصر العدالة، ويتحقق جزاء الأعمال الحاضرة في عالم آخر، فينال المحسن ثواب إحسانه، ويعاقب المسيء على إساءته، وهذه العقيدة العاطفية تطمئن الأنا، وتعيد الثقة إلى النفوس، ويمكن اتخاذ مبدئها مبدأ السلوك العملي في الحياة [٦].

---

(١) جان جاك روسو : كاتب وفيلسوف فرنسي، قضى حياته متنقلاً من بلد إلى بلد ومن عقيدة إلى عقيدة ومن عمل إلى عمل، وغالباً ما كان في صحة سيئة، اشتهر بنظرية العقد الاجتماعي، من أشهر مؤلفاته رواية (إميل) وهي من أعظم ما كتب في التربية،و (الاعترافات) .انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة مؤلفين، ص١٦٩.

(٢) أفكار روسوالحية : رومان رولان ، ت: محمود يوسف زايد، ص ١٤ ، وانظر روسو:حياته ، فلسفته ، منتخبات: كريسون، ص١٤٥– ١٤٧.

(٣) انظر جان جاك روسو: نجيب المستكاوي، ص ١٥٥ .

(٤) تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث : أندريه كريسون، ت: نهاد رضا، ص ١٦١.

(٥) إميل : روسو،ت: د.نظمي لوقا، ص ٢٤.

(٦) انظر تاريخ الفلسفة:برييه، ٢٠٨/٥، وانظر المذاهب الأخلاقية عرض ونقد:د.عادل العوا، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨.

ومن القصور– برأيه – أن نتمسك بلوم لله على معاناة الناس من الزلازل التي حدثت في (لشبونة)، لأنّ الله لم يؤسس مدناً بُنيت منازلها بصورة سيئة، ولم يدفع الناس إلى ترك تأمين البلدة وتجميع أنفسهم في ظروف حياة مدنية غير صحية. ويعتقد **روسو** أن قوة الله محدودة لكي يبرئه من المسؤولية عن الشر[1].

أما ما نراه من تفاوت بين الناس في الثروات، فإن هذا راجع إلى الملكية التي هي أساس التفاوت؛ وهذا التفاوت بدوره هو منبع كل شر، لذلك دعا **روسو** إلى شبه مساواة في الملكية لتخفيف الفروق الواسعة بين الغني والفقير، وهذا من شأنه أيضاً إلغاء الترف وما يتبعه من فساد وانحلال[2]، وسيأتي معنا تفصيل أكثر لموقف **روسو**من مشكلة الشر من خلال نقل ما حصل بينه وبين **فولتير** بشأن زلزال (لشبونة) .

(1) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ت: محمود سيد أحمد ص٢٣٣.

(2) انظر جان جاك روسو(حياته، مؤلفاته، غرامياته) : نجيب المستكاوي، ص ١٧٨ .

المطلب السابع

كانط Kant (١٧٢٤ – ١٨٠٤) [١]

يرفض هذا الفيلسوف دليل الغائية على وجود الله، فإذا كانت الطبيعة حقاً تبدورائعة الجمال في كثير من نواحيها — مما قد يحملنا على القول أنها تسير إلى قصد معين مدبر– فينبغي أن نذكر أنها من ناحية أخرى تبدي كثيراً من دلائل العبث والفوضى ... نعم إن في الطبيعة جمالاً ولكن على حساب كثير من ألوان التعذيب والموت، فالطبيعة لا تبالي بما تتلفه في سبيل الوصولإلى أغراضها، فكم من بذرة ضاعت لتنبت زهرة واحدة، وكم من آلام يقاسيها الكائن الحي لكي يخرج إلى الوجود حياة واحدة[٢].

إذاً فمظهر الكون الخارجي وتناسقه وإبداعه ليس هوبالبرهان القاطع على وجود الله، فعلى رجال اللاهوت الذين يعتمدون في دليلهم على فكرة النظام أن ينبذوها، كما أن على رجال العلم أن يستردوها، لأنها– مع ذلك – مفتاح جليل يؤدي إلى كشف كثير من الجوانب الغامضة[٣].

فطريقة الاستدلال بما في العالم من دلائل القصد والنظام يتعارض مع مظاهر الشرور الجزئية التي يزخر بها الكون، فلا يمكننا الاستدلال بالعقل النظري على وجود الله، لذلك لجأ **كانط** إلى العقل العملي (الضمير) ليستدل به على ذلك[٤].

فالقانون الأخلاقي الذي يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر يدل على حرية الإرادة، وحرية الإرادة تدل على حياة أخرى، ويوم الدين يدل على وجود الديّان الحكم العدل القادر الذي هوالله تعالى؛ فالضرورة العملية للقوانين الأخلاقية التي توجد في أعماق قلوبنا هي التي تسوقنا — برأيه – إلى أن نفترض علة قائمة بذاتها أومدبراً للعالم حكيماً، لكي نعطي لهذه القوانين آثارها [٥].

أما كارثة زلزال (لشبونة) فقد هزته كما هزت **فولتير**، ولكنه لم يكن حينها قد دخل في مرحلة دراسة اللاهوت فكتب ثلاث رسائل عن الزلازل، وبعد أن اتسعت دائرة اهتماماته أرسل إلى المطبعة رسائل قصيرة عن موضوع التفاؤل، وبعد ذلك انتقل إلى دراسة اللاهوت برسالة سماها (الدعامة الوحيدة الممكنة للبرهنة على وجود الله)[٦].

---

(١) كانط (عمانوئيل):ولد في (بروسيا)، كانت حياته منظمة كالآلة، لم يتزوج، كان فيلسوفا وعالما طبيعيا ورياضيا وفيزيائيا، بالإضافة إلى علوم أخرى برع كالميكانيك والجغرافيا،اشتهر بنظرية الإلزام الخلقي،من أشهر كتبه (نقد العقل الخالص)و(نقد العقل العملي)و(تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق). انظر موسوعة الفلسفةوالفلاسفة:د.عبدالمنعم الحفني، ١١١٥/٢ ، ١١١٦.

(٢) انظر المفكرون من سقراط إلى سارتر:هنري ودانالي توماس، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٣) انظر قصة الفلسفة الحديثة :د.زكي محمود وأحمد أمين ،ص ٣٠٣ ،وانظر قصة الفلسفة : ديورانت، ص ٣٥٥.

(٤) انظر فلسفة كانط :إميل بوترو ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦، وقارن قصة الإيمان : نديم الجسر، ص ١٦٩.

(٥) انظر نقد العقل المحض : كانط، ص ٣٩٤ ، ٣٩٥، وانظر رواد المثالية في الفلسفة الغربية : د.عثمان أمين، ص ١٠٤ .

(٦) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت، ٣٨/ ٣٠٢.

اشتهر **كانط** بفكرة الشر الجذري أوالمتأصل في محاولته حل مشكلة الشر الخلقي، ومعنى هذه الفكرة عنده أن الإنسان خيّر بطبيعته أوشرير بطبيعته، أي أن الإنسان يملك أساساً أولياً لتبني القواعد الخيرة أوالشريرة، فالنزوع الطبيعي نحوالشر يدل على أن الإنسان مسؤول عن هذا النزوع، لذلك نسميه شراً جذرياً متأصلاً في الطبيعة البشرية[١].

فالإنسان شرير بالمعنى الجذري من حيث إنه يستطيع أن يكون شريراً، فنحن الذين نجلب هذا الشر لأنفسنا، أما الشر بمعنى الذنب فإنه يتأتى لدى الإنسان من خلال اتخاذه قواعد سيئة أساساً لأفعاله، أي عندما لا يسلكالإنسان وفقاًللواجب، وإنما بدافع من بعض المغرِيات،وهوليس مسؤولاً عن حريته وإنما عن إساءة استخدام هذه الحرية[٢]. فهذا الشر الأخلاقي معلول حتمي عن استعمال الإرادة الحرة[٣].

أما فيما يتعلق بالخطيئة الأصلية، فإن **كانط** يرفض المعتقد المسيحي فيها، ويرفض كل محاولة ترمي إلى إخضاع الإنسان لنير خطيئة لم يتسبب هوفي جلبها على نفسه، فأفسدُ تفسيرٍ لأصل الشر الأخلاقي القول بخطيئة أولى انتقلت بالوراثة من الآباء إلى الأبناء،ويستند في رفضه للخطيئة الأولى إلى التحليل العقلي وتأويل نصوص الكتاب المقدس التي تؤكد حدوثها، وينظر إلى قصة السقوط باعتبارها صورة مجازية تصور ما نفعله نحن كل يوم عندما نغلّب بإرادتنا دوافع حسية على ما يقضي به القانون الأخلاقي[٤].

لقد امتاز **كانط** عن غيره من الفلاسفة بعقلانية جعلته يرفض تبرير الشر من وجهة النظر المسيحية، كما أنه أكد فشل جميع المحاولات الفلسفية في تبرير العدل الإلهي، لذلك أتى مقاله (عن فشل جميع المحاولات الفلسفية في العدل الإلهي) تعبيراً جديداً عن طريقته النقدية، حيث واصل التأكيد على أن فكرة الله لا تنتمي إلا إلى مجال الأخلاق، وقام بتفنيد محاولات **ليبنتز**وغيره للبرهنة على العدالة الإلهية في العالم، وكأنهم عالمون بطبيعة المقصد الإلهي وواقفون على طريقة أعمالهتعالى وحكمته[٥].

بحسب **كانط**، إن للعقل حدوداً لا ينبغي تجاوزها، ومن ثم فإن جميع المحاولات التي تخوض في عالم ما بعد الطبيعة عندما تسعى إلى تبين طبيعة المقصد الإلهي وحكمته هي محاولات فاشلة[٦].

---

(١)*See Religion Within the Limits of Reason Alone:Kant,p*٢٠،٢١,
See also A Companion to Kant: Graham Bird,p ٢٦.

(٢) انظر كانط : أوفي شولتز، ت : د. أسعد رزوق، ٢١٤ ، ٢١٣ .

(٣) انظرتأسيس ميتافيزيقا الأخلاق:كانط،ص١٢٩،وانظر الدين والسلام عند كانط:د.فريال حسن خليفة،ص٩٣ .

(٤) انظر كانط : أوفي شولتز، ت : د. أسعد رزوق، ص ٢١٤.

(٥) انظر مدخل إلى فلسفة الدين : محمد عثمان الخشت،ص١٣٤ ، ١٣٥.

(٦) انظر رواد المثالية :د.عثمان أمين، ص ٢٥٥.

المطلب الثامن

وليـم جيمس *James* (١٨٤٢ – ١٩١٠)[١]

يؤمن **جيمس** – وهومن أعلام البراغماتية[٢] **المعروفين** – بوجود الله " وهكذا فللقول بوجود الله، بقطع النظر عن الأدلة الخارجية، مكان طبيعي في نفوسنا، منسجم مع طبيعة عقولنا كمفكرين "[٣]، ولكنه، وإن اعترف بوجود الله، إلا أنه جعله محدود العلم، فالذات الإلهية قد تجهل أشياء تعرفها ذوات إنسانية[٤].

وقد وصف **جيمس** الله بالشخصية، أي أنّ الله والإنسان من طبيعة واحدة، وأنّ الاختلاف في الدرجة فحسب. وأهم فكرة متضمنة في فكرة الشخصية عند الله هي أنّ الله رفيق الإنسان وصديق له ومعين له على الوصول إلى كماله، مساعد له في التغلب على الشر الذي في العالم، فالله ليس مصدر خوف لنا أورهبة، وإنما مصدر حبنا، لأنه رمز تفاؤلنا في هذه الحياة [٥].

وقد أدى به وجود الشر في العالم، كما أدى **بجون ستيوارت مل**، إلى الإقرار بأنّ الله محدود القوة، وأنّ له محيطاً خارجياً، وأنّه متناه في المعرفة أوفي القوة أوفيهما معاً[٦].

التفاؤل الخلقي (**المليورزم** *Meliorism*):هواصطلاح يصطنعه **جيمس** للدلالة على الموقف القائل:إنّ العالم ليس خيراً في ذاته وليس شراً في ذاته، وإنما يمكننا أن نجعله خيراً بمكافحتنا الشر الذي فيه، والشر ليس عنصراً أساسياً من عناصر الكون، ولكنه شيء يمكن التغلب عليه[٧]، وإذا بذلنا خير ما نستطيع– وكذلك فعلت القوى الأخرى – حقّق العالم الكمال المنشود[٨].

ومهما يكن من أمر، فإن **جيمس** يرى أنّ الإنسان هومصدر الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، فالخير خير بالنسبة له والشر شر بالقياس إليه، يقول في هذا :" إنّ الإنسان هوالخالق الوحيد للقيم في ذلك العالم،وليس للأشياء من قيمة خلقية إلا باعتباره هو"[٩].

---

(١) جيمس (وليم) :فيلسوف أمريكي من أصل إيرلندي، أسس أول معمل لعلم النفس في (أمريكا)، نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد، وعلّم فيها حتى وفاته، من أشهر كتبه (مبادئ علم النفس) و (إرادة الاعتقاد) و (الفلسفة العملية)، يعد من أشهر الفلاسفة البراغماتيين في العصر الحديث.انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة: د. عبدالمنعم الحفني ، ٤٩٦/١ ، ٤٩٧ .

(٢)البراغماتية: هي فلسفة أمريكية نشأت عام ١٨٧٢م على يد تشارلز بيرس، ثم تطورت من بعده على يد كل من جون ديوي ووليم جيمس، وهي منهج فلسفي يعنى بالتوضيح والتحليل والبحث، تؤكد هذه الفلسفة على أهمية النتائج من حيث إنها اختبار لصلاحية الأفكار، انظر أعلام الفكر الفلسفي المعاصر: فؤاد كامل، ص ٩٧–١٠٠.

(٣) الصواب في "كمفكرين" أن يقال بصفتنا مفكرين .

(٤) العقل والدين : وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد : وليم جيمس ، ص٨٥ .

(٥) انظر وليم جيمس: محمود زيدان، ١٧٨ ، ١٧٩.

(٦) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٤٨٣، وانظر*A Syllabus of Systematic Theology:David S.Clark,p٨٧.*

(٧) انظر وليم جيمس : محمود زيدان، ص١٨٣ ، ١٨٤.

(٨) انظر ملحق (الإيمان وحق الاعتقاد)ضمن كتاب بعض مشكلات الفلسفة : وليم جيمس، ص ١٩٣ .

(٩) *Essays in Pragmatism: James.p.* ٢٩.

وهكذا التفاؤل والتشاؤم من الحياة، فهما عنده شيئان إنسانيان، أي أنّ الإنسان إذا اعتقد أنّ العالم خير وسلك في حياته وفق اعتقاده هذا فإنّ العالم يصبح خيراً حقّاً،وإذا اعتقد بالتشاؤم، أي أن العالم شر وسلك وفق ذاك فإن العالم يصبح شراًحقيقياً[١]، يقول **جيمس**:"اعتقد أن العالم خير واسلك وفق اعتقادك ستجد أنه خير، لأنك لو اعتقدت أن العالم شر وسلكت وفق ذاك الاعتقاد فإنك تخلق بذلك عواطف اليأس والعجزوالقنوط، وسيصبح العالم شراً حقيقياً ...إن العالم خير، يجب أن نقول ذلك ما دام هوعبارة عما نصنعه فيه، وسنصنع فيه الخير"[٢].

فالتفاؤل هوالذي يحل مشكلة الشر في الكون عنده، ويقرر أن مشكلة الشر مستحيلة الحل على الأساس الميتافيزيقي، وإنما يمكن حلها على أساس عملي، فهولم يسأل: ما الشر، وما دلالته ؟ وإنما سأل كيف نتغلبعليه[٣].

ويعتقد هذا الفيلسوف أيضاً أن الإنسان السليم العقل ينظر إلى الأشياء على أنها حسنة وخيرة، وأما الإنسان المريض فإنه ينظر إليها على أنها شر في ذاتها، فعلى الإنسان أن يعتقد أن الشر شيء غير موجود، أوعلى الأقل يحاول تجاهل الشر، ليتجنب الاضطراب والقلق. بل إن **جيمس** يقول أكثر من ذلك:" إن معظم ما نسميه شراً يرجع إلى النحوالذي يأخذ الناس به الظواهر، يمكنك أن تجعل الشر خيراً بتغيير بسيط في الموقف الداخلي للإنسان المتوقع للشر: من موقف الخوف منه إلى موقف نضاله، وستصبح لذعة الشر حلاوة إذا قبلنا مواجهته بطربوابتهاج. أنكرْ ما في الوقائع من سوء واحتقرْ شبح سوئها، وأدرْ ظهرك لها، فإن الشر الذي فيها قد يزول "[٤].

خلاصة كلام **جيمس** أن العالم ليس شراً محضاً كما يزعم أنصار التشاؤم، وليس هوخيراً محضاً كما يزعم دعاة التفاؤل، بل هوحقيقة مرنة قابلة للتحسن، بشرط أن تصح عزيمتنا على أن نستخلص منه خير ما فيه، والتحسن الذي يذهب إليه لا يعني استئصال شأفة الشر، بل إن معناه قهره أوالتغلب عليه[٥]، و ذلك لأن الشر مكوّن أساسي من مكونات الحياة، والحياة تصبح مستحيلة بدون الآلام والعذابات[٦].

يؤمن **جيمس** بأن الإنسان مختار في أفعاله ليس مجبراً عليها، ونظريته في الحرية الإنسانية مكمل أساسي لمذهب التفاؤل الخلقي الذي يتبناه[٧].

---

(١) انظر وليم جيمس : زيدان، ١٨٤.

(٢) *Essays in Pragmatism: James,p٣١.*

(٣) انظر وليم جيمس : زيدان، ص ١٨٦.

(٤) المرجع السابق : ص ١٨٦.

(٥) انظر دراسات في الفلسفة المعاصرة :د. زكريا إبراهيم، ص ٤٥.

(٦) *Essays in Pragmatism: James,p٣٠.*

(٧) قضايا فلسفية : د.ميلاد زكي غالي وآخرون، ص ٢٩٠.

المطلب التاسع

جوزيا رويس Royce (١٨٥٥ – ١٩١٦) [١]

لا يؤمن **رويس** بوجود الله فحسب، بل إنه يجعل الشعور الحقيقي للإنسان هوشعوره بالله، يقول في كتابه الجانب الديني للفلسفة:" فأنت لا ترى أوتسمع أوتلمس أوتشعر بشيء إلا الله، ولا تعامل أوتحب إلا الله "[٢].

ولله عند **رويس** أعلى صفات الكمال، حتى مع وجود هذه الشرور كلها، فإن كمال الله سيبقى كمالاً لا تشوبه شائبة نقص، يقول في ذلك: " إن الله الحق الذي وجدناه ليس إلهاً ناقصاً، أونشفق عليه في صراعه معالشر "[٣].

لا ينكر هذا الفيلسوف وجود الشر، فهويصر بشدة على الوجود الأصيل للشر، إذ من المستحيل عليه أن ينكر وجوده أو يعده مجرد وهم بعد الذي قدمه **شوبنهور**من دراسات، ولكن هذه الشرور لم يردها الله بطريقة عابثة، بل أرادها الله لكي ينتج الخير الأعظم الذي لولاه لما تحقق[٤].

يعترف **رويس** بصعوبة أن يحيط العقل البشري المحدود بفهم مشكلة الشر، ولذلك ينبغي لنا أن نسلم أنها أمور فوق إدراكنا، ولكنها أشياء واضحة بالنسبة إلى الله " الموت وآلام الحياة ...وانهيار الآمال وقسوة القدر، كلها أمور، يجب أن نتعلم أن ننظر لأيها بوصفها أموراً غامضةً بالنسبة لنا، وواضحةًومبررةً منطقياً بالنسبة لله، لأنه يعرفها معرفةًكاملةً "[٥].

وإن كان العالم زاخراً بكل هذه الشرور فهذا لا يجعل من العالم عالم شرٍّ " إن وجود أي مقدار من الألم أوالشر أوالجريمة في العالم، كما نراه، لا يعد دليلاً على عدم الخيرية المطلقة للأشياء، بل يعد ضمانا لها "[٦].فهذا الشر الموجود هوسبيل لتحصيل الخير الآتي "الخير هوالغاية البعيدة لكل شر"[٧].

ولم يذهب **رويس** إلى ما ذهب إليه الفلاسفة المتشائمون من أن العدم خير من هذه الحياة " لكل شيء قيمته أمامك، حتى الشرير والحقير، لهما دورهما في الصراع، ترى في أنانيتنا وفرديتنا حياة أفضل من العدم الذيلا حياة فيه "[٨].

والذي جعله ينظر هذه النظرة المتفائلة للحياة بما فيها من شرور وآلام هو إيمانه بالله واليوم الآخر " دعنا ننسَ للحظة حياتنا ووجودنا المحدود، بكل شكوكه ومشكلاته،ونتطلع لتصور الحياة اللامتناهية، ففي هذه الحياة تحيا كل الحقائق في وحدة وفي لحظة أبدية

---

(١) جوزيا رويس : ولد في (كاليفورنيا)، يعد من أهم الناطقين بلسان المذهب المثالي في أمريكا،كان غزير الإنتاج لدرجة أنّ سانتيانا وصف مؤلفاته بأنها كالنهر إبان فيضانه، لبّ الفلسفة السليمة عنده هوالدراسة الواضحة للمعنى، من أشهر كتبه (الجانب الديني للفلسفة).انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة:مجموعة مؤلفين،ص ١٧٠.

(٢) ص ٣١٤.

(٣) المرجع السابق : ص ٣١٥ .

(٤) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧.

(٥) الجانب الديني للفلسفة : رويس، ص ٣٢٠.

(٦) المرجع السابق : ص ٣١٦ .

(٧) روح الفلسفة الحديثة : رويس، ص ٤٧٣.

(٨) الجانب الديني للفلسفة : رويس، ص ٣١٤.

واحدة "[1].ويقدم **رويس** أمثلةً متعددةً ليشرح من خلالها دور الشر في الحياة، منها افرض أنا سمعنا بعض الأنغام الحادة عند عزف سيمفونية، جعلتنا لا نستطيع أن نفهم بقية القطعة الموسيقية، فإن هذه الأنغام الحادة سوف تبدولنا أنها شر تام، أما بالنسبة لله أوالمطلق، من ناحية أخرى، فإنه يخبر الكون كله، ماضيه، وحاضره، ومستقبله، بطريقة أزلية، ويجد فيه متعة منذ الأزل، ومن ثم تبريراً لكل الشرور العارضة من حيث إنها أجزاء ضرورية من الخير الأزلي الدائم[2]، يقول **رويس** : " هذه الشرور ما هي إلا جزء من طبيعة الوجود وأحداثه، ولا يحق لنا التذمر منها، ما دمنا نعلم أن الله يعرفها بوصفها عناصر في حياته الكاملة المطلقة "[3].

أما الشر الخلقي،فإن **رويس**يبدأ كلامه عنه باعترافه أن المعاصي شيء لا ينبغي أن يكون أبداً" الرذيلة شيء مؤسف شيطاني، ويجب أن تختفي من الوجود، أولا توجد أصلاً "[4].

إذاً الخطيئة موجودة، وعلى الإنسان أن يجاهد نفسه كيلا يقع فيها، " إن العالم الخيّر ليس عالم البراءة الكاملة، ولا يتجاهل الشر، وإنما يحويه ويتغلب عليه "[5].

ومجاهدة النفس وحملها على الصبر كي لا تقع في الشر والمعصية يجعلها نفساً خيرّة، يقول **رويس**:" البصيرة الخلقية ترفض الشر وتسعى لقهره،ولكنها أثناء محاولة قهره، والتغلب عليه، تشكّل هي وهذا الشر المقهور الكلّ العضوي الذي يشكل الإرادة الخيرة "[6].

بل إن الإرادة الخيرة لا يمكن أن تظهر إلا إن كان هناك صراع بينها وبين الشر، ومن ثم انتصارها على الشر" الإرادة الطيبة لا وجود لها إلا من خلال هذا الانتصار الداخلي على الاتجاهات الشريرة "[7].

ويقدم **رويس** أمثلة أخلاقية أيضاً، فالنبي يوسفعليه السلام، في القصة التي يرويها الكتاب المقدس، خانه إخوته، لكن هذه الخيانة جعلت في نهاية الأمر مهمةَ يوسف الناجحة في مصر ولمّ شمل الأسرة أكثرَ سعادة مما لولم تحدث الخيانة على الإطلاق. ولا تزال خيانة (يهوذا) لـ(يسوع) أكثر إذهالاً ودهشة، إذ لولا هذا العمل الشرير لما حدث موت (يسوع) على الصليب،لكن (يسوع) مات، وأياً ما كانت التفسيرات التاريخية والعلمية الصحيحة، فإن أتباع(يسوع) أصبحوا الآن يؤمنون بقوة بقيامته، وبلغت الكنيسة الأولى نتيجة للإيمان المشترك (بالإله) الذي رُفع تجربةً دينيةً أكثر ثراء مما كان يمكن أن تصل إليه لولا خيانة (يهوذا) [8].

---

(1) الجانب الديني للفلسفة: رويس، ص٣١٤.

(2) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٤٦١.

(3) الجانب الديني للفلسفة : رويس، ص ٣٢٠.

(4) روح الفلسفة الحديثة:رويس، ص ٤٨٢.

(5) المرجع السابق، ص ٤٨٣ .

(6) الجانب الديني للفلسفة : رويس، ص ٣٢٠ .

(7) المرجع السابق، ص ٣٢٠ .

(8) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٤٦١ .

ولا ينجم عن ذلك أن كل خاطئ ينبغي أن يكون راضياً عن نفسه في اعتقاد أن ما فعله من شر هومساهمة في السرور الإلهي. حقاً إن الله يسمح للمخطئ بأن يخطئ، ويحوّل الله هذا الشر إلى خير دائم عن طريق خدمات أرواح أخرى متناهية، لكنّ المخطئ يُلام ويُدان على نحو أزلي بسبب الشر الذي ارتكبه[1].

ولئن كان **رويس** قد تأثر بأفكار **شوبنهور** بخصوص الوجود الأصيل للشر في الكون، غير أنه لم يدعُ للتشاؤم من الحياة ورفضها كما فعل **شوبنهور**، فكل منا ينبغي أن يبتهج بشدائده وكربه الخاصة، ويتغلب عليها ويحولها إلى الخير في حياته الشخصية الحاضرة، وتكون تلك الشرور بالنسبة له – الآن وباستمرار– جزءاً من بهجة الله المباركة والمظفرة التي سيشارك فيها الإنسان في نهاية الأمر[2]، يقول **رويس**:" إن التفاؤل يعني أن الشر مهما كان مؤلماً للكائن المحدود، ومكروهاً من وجهة النظر المحدودة والمتناهية، فإن له مكانه في الكمال النهائي للذات"[3].

فالإنسان شريك لله في القضاء على الشر وتحقيق الخير في هذا العالم " نستطيع أن نشارك في النظام الإلهي بوصفنا رسلاً للخير، وصناعاً له، نخدم الخير ولا نقضي عليه، ونشارك فيه ولا نتمرد، ويحبنا الله ولا ينفر منا "[4].

([1])انظر تاريخ الفلسفة الحديثة: رايت، ص ٤٦١.

([2])انظر المرجع السابق، ص ٤٦١.

([3]) روح الفلسفة الحديثة : رويس، ص ٤٧٨.

([4]) المرجع السابق، ص ٤٨٤ .

المطلب العاشر

بول ريكور *Paul Riqueur* (١٩١٣م-)[١]

ريكور فيلسوف وجودي مسيحي تأثر بأخيه في المذهب **هوسرل** *Husserl*(ت: ١٩٣٨م) [٢]، وأدى به ذلك إلى طرح مشروعه الفلسفي:(التأويلية)، التي ارتكز عليها في حل مسألة الشر، تلك المشكلة التي عدّها أكبر التحديات التي تواجه الفلسفة واللاهوت في آنٍ معاً[٣]؛ إذ هي الأزمة الكبرى للدين[٤]، وما يجعل مسألة الشر لغزاً صعباً هو أنها تطلق على أكثر من مصطلح؛ الخطيئة والتألم والموت[٥].

نشأت فكرة التأويلية عنده حينما شعر بقصور معالجته الأولى لمعضلة الشر، فقد جاء كتاباه (الإنسان الخطّاء) و(رمزية الشر) دون المستوى المطلوب لحلها، وأدرك أنه لا سبيل إلى ذلك إلا بعد انعطافة تأويلية صوب **فرويد**(ت:١٩٣٩م)؛ وذلك من خلال نظرية التحليل النفسي التي اشتهر بها هذا الأخير[٦].

لقد أفاد **ريكور** من **فرويد**، وخاصةً من كتابه الذي أحدث ضجةً عالميةً "تفسير الأحلام"، هذا الكتاب الذي حدد نظرية **فرويد** الخاصة بالتأويل؛ أن يقوم المرء بالتأويل هو أن يذهب من معنى جلي إلى معنى خفي[٧]، ولا بد لهذا التأويل من الإفادة من تطبيقات التحليل النفسي، لذلك ذهب **ريكور** أن" التأويل هو ما يسجله التحليل النفسي في الثقافة"[٨].

وقد حاول**ريكور**أن يقوم بكشف تاريخي عن اللاوعي الإنساني مستفيداً من نظرية التحليل النفسي،وذلك من خلال دراسة الأبعاد الرمزية للأسطورة؛ إذ" الأساطير ليست حكاية خرافية"[٩] كما يظن كثير من الناس،فكل أسطورة هي تأويل لقصة

---

(١) بول ريكور: فيلسوف معاصر ولد في (فالنس) في (فرنسا)، حصل على الدكتوراه سنة ١٩٥٠م عن كتابه "فلسفة الإرادة"، درّس في عدة جامعات فرنسية وأمريكية، ترجمت أعماله إلى أغلب اللغات الحية، ومنح شهادات دكتوراه فخرية وجوائز أكاديمية عديدة، من أبرز مؤلفاته"التناهي والعقاب"و"فرويد والفلسفة"و"صراع التأويلات". انظر صراع التأويلات:ريكور، مقدمة الكتاب .

(٢) انظر عصر البنيوية : إديث كريزويل، ت: جابر عصفور، ص ١٣٧ .

(٣) انظر فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : ريكور، (ملحق)، ص ٢١٩ .

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٤ .

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٠ .

(٦) تعني هذه النظرية أن أفعال الإنسان ما هي إلا تعبيرات عضوية عن صدمات مكبوتة، وصراعات نفسية لا شعورية ترجع إلى الطفولة، وقد حاول فرويد تطبيق تحليله النفسي هذا في تفسير نشأة الدين والمجتمع والحضارة، فوصل إلى نتائج شاذة، منها الزعم أن كل سلوك الإنسان يرجع إلى دافع وحيد، هو الدافع الجنسي، انظر كواشف زيوف : عبدالرحمن الميداني، ص ٢٨٩-٢٩٣ .

(٧) انظر صراع التأويلات ..دراسات هرمنيوطيقية : ريكور، ص ١٨٨ ، ١٨٩.

(٨) انظر المرجع السابق، ص ١٨٤ .

(٩) المرجع السابق، ص ١٨٨ .

سابقة[١]،والأساطير تحوي على فائض معنى، لأنها إن جُردت من أسطوريتها أصبحت هي نفسها رموزاً، وكلا الرمز والأسطورة يبعثان على التفكير، وتحليل الأساطير يساعد على تبين حقيقة الأفعال الإنسانية وتفسيرها بإعادة بناء المعنى فيها[٢].

إن الأسطورة رمز ناضج وموسع، وهي قصة تحكي عن عذابات الإنسان في صراعاته العاطفية، لقد توسل **ريكور** المنهج التأويلي لفهم الأساطير وصولاً إلى تحليل مسألة الخطيئة ورموزها، لأنه من غير الممكن "مناقشة الشر والخطيئة دون وضع الرمزية في اعتبارنا"[٣]، ومجال هذه الرمزية – في نظره – لا ينفتح إلا بمعونة الأساطير، وعلى الخصوص تلك التي لا نزال نجد فيها أصداء نفوسنا،لذلك يسهب هذا الفيلسوف في تقديم الأمثلة من الإنجيل والأساطير اليونانية ليستخرج منها مقاصد كل مفهوم للشر والغفران، وليظهر الكيفية التي تتشابك بها الخطيئة والرحمة تشابكاً لا فكاك منه[٤].

ويؤكد **ريكور** أننا إذا عدنا بالذاكرة إلى الماضي السحيق، فإننا سنجد هذه الرموز الأولية حاضرة في تلك القصص الأسطورية التي تحكي لنا قصة بدء الشر: أي كيف تنازعت الآلهة في بداية الزمان، أو كيف هبطت النفس إلى الجسد الحقير، أو كيفية غواية الإنسان البدائي وانتهاكه المحرمات من بعد ذلك ليصبح عاصياً منفياً، ومن خلال تخليص الرموز الدينية من طابعها الأسطوري عمل على إثبات وجود الله على نحو علمي، ابتداءً من أسطورة الخطيئة الأولى، خطيئة آدم وحواء، وانتهاءً بأساطير الشرق الأوسط القديم عند اليونان وبني إسرائيل[٥].

كما حاول هذا الفيلسوف الإجابة عن كيفية انتقال الإنسان من إمكانية الخطأ إلى واقع الخطأ، فتساءل بدايةً عن معنى أن يكون الإنسان خطّاءً، فوجدأولاً أن إمكانية الشر منقوشة في تكوين الإنسان، لأن هذا المخلوق غير متطابق مع ذاته[٦]، وذلك لأنه يملك بين جناحيه عاطفة مزدوجة، تحاول – عبثاً– لمّ صدع الثنائية الإنسانية، ثنائية الحياة والفكر، ولذلك تبدوعلى شكل صراع أوجراح[٧].

والسبب الثاني هو المحدودية النوعية للإنسان التي تجعل الشر ممكناً، فالإنسان مركز الواقع، وجامع أقصى أضداد الواقع، وهو قادر على الأمرين: الصواب والخطأ، الخير والشر[٨]، إذ " ليست اللاعصمة سوى إمكانية الشر"[٩]، واللاعصمة– فوق ذلك– هي شرط الشر، على الرغم من أن الشر هو كاشف للاعصمة[١٠]، أما السبب الثالث للوقوع في الخطأ فهو الإرادة السيئة التي هي فعل بشري محض[١١].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ٤٠٥ .

(٢) انظر فلسفة الإرادة ..الإنسان الخطاء : بول ريكور، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) *From Existentialism to the Philosophy of Language:Riceur,p٩٠.*

(٤) انظر عصر البنيوية: إديث كريزويل، ت: جابر عصفور، ص ١٤٥، وانظر في التفسير : ريكور، ص٢٢ .

(٥) انظر عصر البنيوية : : إديث كريزويل، ت: جابر عصفور، ص ١٤٤-١٤٦ .

(٦) انظر فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : ريكور، مقدمة المحقق عدنان نجيب الدين، ص ١٠ .

(٧) انظر الإنسان المعرض للخطأ: ريكور، ص ١٣٣، وانظر الفكر الوجودي عبر مصطلحه:بن ذريل، ص ١٥٣ .

(٨) انظر فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : ريكور، ص ٢١١.

(٩) المرجع السابق، ص ٢١٣ .

(١٠) انظر المرجع السابق، ص ٢١٥.

(١١) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٩ .

أما عن ماهية الشر، فالشر – برأيه – هو هذا الذي نصارعه، وليس لنا أي علاقة معه سوى علاقة صراع وضدية، والشر كذلك هو هذا الموجود الذي ما كان يجب أن يوجد، ولا نستطيع تفسير وجوده، والإنسان ليس أصل الشر؛ لأن الإنسان صادفه واستأنفه، ولأن الشر قديم قدم كل الكائنات، والشر هو ماضي الكائنات، وهو ما هزم بإنشاء العالم، وأن الإله هو مستقبل الكائنات[١].

ويميز **ريكور** بين نوعين من الشر، هما: الشر المرتكب: أي الذنب، والشر المتلقى: أي الألم[٢]، ولكنه ينفي أي علاقة بين هذين النوعين؛ فليس الشر المتلقى (الألم) نتيجة لما يرتكبه الناس من ذنوب وخطايا، يقول في هذا:" ما المشترك بين التألم من العقاب، وارتكاب الخطأ؟ وكيف يستطيع الشر المادي أن يعادل، ويعوض، ويلغي شراً أخلاقياً[٣]؟، وهذا أيوب عليه السلام يتألم، ولكنه لم يتلق أي تفسير يتعلق بمعنى هذا الألم الذي أصابه[٤].

كانت العدالة هاجساً لا يفارقه، فكانت فلسفته السياسية مبنية على مبدأ العدل، لذلك دعا إلى التعددية وإلى إقامة حوار بين المجتمعات، وكان مشغول البال بما يجري من ظلم البشر بعضهم بعضاً، كما تكلم في بعض الأزمات المعاصرة؛ مثل الصراع العربي–الإسرائيلي، وأسهمبنصيب وافر في تقديم حلول حضارية لمواجهة شرور مستشرية مثل التعصب الديني والقمع والتخلف على المستويات كافةً، ودعا إلى الحد من العنف، فكل فعل أخلاقي أوسياسي ينقص العنف الذي يمارسه بعضهم ضد بعض ينقص معدل التألم في العالم[٥].

بقي أن نشير إلى أن **ريكور**فيلسوف أميل إلى التفاؤل منه إلى التشاؤم، وذلك أنه يؤمن بالفرح، وأن الإيمان شاعرية الإرادة[٦]، فهويرى الأمل في علامات الشر، حتى لولم يكن هذا الأمل منطقياً أو أخروياً.ويترتب على ذلك أن يصبح وجود الكفارة مع وجود الشر أشبه بالمبرر لانبثاق الخير، على نحوتفضي فيه تناقضات الشر نفسها إلىالهداية[٧]. فهو ، وإن كان قد اعترف بفشل جميع اللاهوتيات والفلسفات على مر الأزمنة في حل مشكلة الشر، فإنه لم ييأس ولم يستسلم[٨]، بل قدم دراسةً وافيةً عن مشكلة الشر.

وخير ما نختتم به دراستنا عن هذا الفيلسوف هو قوله:" إن اللاهوت الذي يعترف للشر بحقيقة غير قابلة للتصالح مع خيرية الله وخيرية الخلق هو لاهوت محطم"[٩] .

---

(١) انظر مقدمة فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : بول ريكور، ص ١٠ ، ١١ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ٤١١ ، ٤١٢ .

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٤٠٦ .

(٥) انظر مقالة (مسألة الشر في فلسفة ريكور)،*www.neelwafurat.com*.

(٦) انظر الفكر الوجودي عبر مصطلحه : عدنان بن ذريل، ص ٦١ .

(٧) انظر عصر البنيوية : : إديث كريزويل، ت: جابر عصفور، ص ١٤٦ .

(٨) انظر فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : ريكور، ص ٢٤١ .

(٩) المرجع السابق، ص ٢٣٨ .

المبحث الثاني:

الاتجاه اللاديني

وفيه عشرة مطالب

المطلب الأول: فولتير

المطلب الثاني: دولباخ

المطلب الثالث: هيوم

المطلب الرابع: جون ستيوارت مل

المطلب الخامس: شوبنهور

المطلب السادس: دستوفسكي

المطلب السابع: نيتشه

المطلب الثامن: برتراند رسل

المطلب التاسع: ألبير كامو

المطلب العاشر: سارتر

رأينا في المبحث السابق أن وجود الشر في العالم لم يدفع أولئك المفكرين إلى إنكار وجود الله أوالكفر بالأديان، أما في مبحثنا هذا فإننا سنجد أنفسنا أمام فلاسفة أدّى بهم وجود الشر في الكون إلى كفر بالله وجحود لعنايته، فبعضهم أنكر وجود الله أصلاً، وآخرون لم ينكروا وجوده ولكنهم جعلوا قدرته محدودة.

والخيط الذي يجمع فلاسفة هذا الاتجاه هوالنظرة السلبية للدين بما يشمله من نبوة ومعجزات ووحي وغير ذلك، فالدين عند أغلب هؤلاء الفلاسفة هوخرافة توارثتها الإنسانية جيلاً بعد جيل، وهذه آراء بعض هؤلاء الفلاسفة تبين لنا موقفهم بوضوح من الأديان كافةً.

ونبدأ بـ**هيوم** الذي يعتقد أنّ الدين لم ينشأ في الأصل بصفته نتاجاً لتأمل فلسفي، فقد تحرى الناس عن أرواح غير مرئية ملائمة، تخيلوا أنّها موجودة حولهم، لكي تكفل حاجاتهم الشخصية، وافترضوا بصورة تدريجية أنّ بعضاً من هذه الأرواح أكثر أهمية في أذهانهم من بقية الأرواح الأخرى، وهكذا نشأت آلهة التعدد العظيمة. وفي مرحلة متأخرة، تصوّر الناس الآلهة المتبقية على أنّها تابعةٌ لإله واحد، ومن ثمّ أصبح (زيوس) عند اليونان، و (يهوه) عند العبرانيين إلهاً أسمى. وهكذا نشأت ديانة التوحيد[١].

ومثل **هيوم دولباخ** الذي يذهب إلى أن الفلسفة يجب أن تحل محل الدين، فالدين ينصح بالزهد، ويريد من الإنسان ألا يشتهي ما من طبيعته أن يشتهيه، فمثل هذه المبادئ لا تؤتي نتيجة، ولا تفعل أكثر من أن تزج الإنسان في لجة اليأس لما تؤججه من صراع مستديم بين أهواء قلبه وعاداته وبين المخاوف الوهمية التي شاءت الخرافة تكبيله بها؛ مبادئاعتسافية صرف لا أساس لها سوى الإرادات الوهمية لموجود فائق للطبيعة[٢].

أما **برتراند رسل**، فإنه يعزو إقبال الناس على الدين وتمسكهم به إلى غريزة الخوف من المجهول والموت والهزيمة[٣]، والسبب الرئيس الذي يجعل الناسيؤمنون بالله – برأيه – ليس أدلة علميةً أو منطقيةً على الإطلاق، إنما هو التلقين الذي يتلقاه الناس في سن مبكرة، أما السبب الثاني وراء إيمان البشر بالله هو أمنية الإنسانبالسلامة؛ إنه الشعور بأن لك أخاً أكبر يقوم برعايتك وحراستك. وهذا يلعب دوراًهائلاً في التأثير في رغبة الناس في إيمانهم بالله[٤] .

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٤١٢.

(٢) انظر تاريخ الفلسفة : برييه، ١٦٠/٥ ، ١٦١.

(٣) See Why I Am Not a Christian: Russell, p٢٠.

(٤) See Ibid,p١٣،١٤ .

ونختم بـ**نيتشه** الذي صبّ جام غضبه على الأديان كلها، وخاصة المسيحية التي انحازت –كما يرى– إلى الضعفاء والفاشلين من حيث إنها دعت إلى السلبية في الحياة وإماتة الغرائز البشرية[١] ، يضاف إلى ما سبق، أن الديانة المسيحية بما دعت إليه أخلاق لا تلامس الواقع في أية نقطة[٢]، لذلك عدّ **نيتشه** البوذية– على ما فيها من نقائص– أفضل من المسيحية[٣]، وفي سياق المقارنة بين المسيحية والإسلام أبدى **نيتشه** احترامه للإسلام على حساب المسيحية[٤] .

(١) انظر عدو المسيح : نيتشه، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤٩ .

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٦٠ .

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١٧٩ .

المطلب الأول:

فولتير *Voltaire* (١٦٩٤ – ١٧٧٨)[١]

كان **فولتير** في بداية أمره مؤلهاً طبيعيّاً[٢]في الدين، إذ وجد أنّ هناك نظاماً كافياً في الطبيعة يؤدي بنا- مثلما رأى **نيوتن** *Newton*(ت:١٧٢٧م)- إلى الإيمان بالله، ومما يدل على اعترافه بوجود صانع للطبيعة قوله:" وترانا مدينين كثيراً لصانع الطبيعة الذي أناط السأم بالسكون كيما يلزمنا أن نكون نافعين للقريب ولأنفسنا"[٣]، وكان إنساناً متفائلاً، ولم تشغله مشكلة الشر، بل كان يرد على الملحدين الذين يثيرونها قائلاً: إن ما هوشر بالإضافة إليك، هوخير في النظام العام[٤].

وبعد فترة آمن بأنّ المادة-كالإله- وجدت منذ الأزل، وأنّ قوة الله محدودة،وذلك يفسّر الشرور الطبيعية مثل زلزال (لشبونة)، ذلك الزلزال الرهيب الذي جعل منه إنساناً آخر[٥]، فأنكر العناية الإلهية، أوبالأحرى انتقص منها لأنها لا تهتم بالجزئيات، وإنما بالكليات فقط[٦]. ولهذا سخر من ادّعاء **ليبنتز** بأنّ عالمنا أفضل العوالم الممكنة. وقد استشعر خطورة مشكلة الشر وغيرها من مسائل الغيب فذهب إلى أن "إعطاء جواب يحيط بالمسائل جميعها ويرد على مسألة الشر لأمر فوق إمكاناتنا "[٧].

وإذا كان **فولتير** يعترف بصعوبة حل مشكلة الشر بالعقول البشرية المحدودة، فإنه لم يرق له حل الكنيسة لها، وعده حلاً مناقضاً للعقل السليم، فنجده يقول: " يا له من انسجام جميل حينما نسأل الكنيسة المشورة حول مسألة العون الرباني وطريقة فعله، وحول مشكلة الشر ووجوده في عالم تتحكم فيه العناية الربانية الصالحة كل الصلاح، وحول الخطايا العرضية(الصغائر)والخطايا المميتة (الكبائر) التي تعرّض الإنسان للهلاك الأبدي. حقاً إن المسيحية تطلب إلينا أن نصدق ما هومخالف للعقل وغير قابل للتصديق"[٨].

ومع اعترافه بوجود الله، إلا أنه يعبّر عن جهله وحيرته فيما يتعلق بما وراء ذلك، فهذا العالم الذي يخيم عليه الشقاء والشر جعل مسألة وجود الله ليس من السهل تقريرها، وليسمن السهل كذلك إنكار وجود الله بسبب هذا الشر " إننا نعرف الله معرفة يقينية تقريباً في الماورائيات،ونعرف أيضاً بالحدس الفوري ما العدل والظلم، ما الخير والشر، ونجهل الباقي كيف وُجدت الخليقة؟ لعل الكون خالد

---

(١) فولتير : ولد في (باريس) ، شبّ على المطالعة والبحث، وبدأ بمناقشة الأمور اللاهوتية وهوفي الثانية عشرة من عمره، نفي إلى (إنكلترة) فأعجب هناك بالديمقراطية، كما أثار إعجابه المفكرون والعلماء، انتخب عضواً في المجمع الفرنسي، حارب رجال الدين واختصم مع روسو، من أشهر كتبه(القاموس الفلسفي)و(كانديد). انظر موسوعة الفلاسفة:د.فيصل عباس، ص ١١٤ ، ١١٥.

(٢) انظر الكلام عن الدين الطبيعي في هذه الرسالةص ٩٩.

(٣) الرسائل الفلسفية : فولتير ، ت: عادل زعيتر ص ١٥٤، وانظر البحث عن الحقيقة الكبرى: عصام القصاب، ص ١٧٠ ،١٧١.

(٤) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص ١٩٠.

(٥) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٢٢٥.

(٦) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم، ص ١٧٩.

(٧) انظر فولتير : كريسون، ص ٦٩.

(٨) تيارات الفكر الفلسفي : كريسون، ص ١٤٩.

كخالقه "، أما الشر فهواللغز الأكبر بالنسبة له " ما مصدر الشر؟ ليس من رد ممكن، لكن لعل كلمة (شر) ليس لها معنى إلا بالنسبة إلينا لا بالنسبة إلى الله. على كل، إن وجود الشر يجب ألا يكفي لدفعنا إلى الشك في ما يثبته عقلنا في مجالآخر "[١].

ويتأمل **فولتير** عالم الحياة فيجده مبنياً على فكرة التنازع على البقاء حيث يلقى فيه كل كائن حتفه إن عاجلاً أو آجلاً:" إن الصقر الضاري ينقضّ على فريسته المخلوعة الفؤادويتلذذ مبتهجاً بالتهام أوصالها الدامية، وكل شيء يبدوفي نظره على ما يرام، ولكن سرعان ما يأتي نسر كاسر يلتهم بمنقاره الحاد الصقر "، والإنسان يأخذ دوره في هذه العملية "ثم يعاجل الإنسان هذا النسر المتكبر بطلقة تصيب منه مقتلاً، ويتوسد الإنسان التراب على أرض المعركة ينزف الدم، وقد أثخنته الضربات وسط كومة من الموتى " وحتى بعد أن يموت هذا الإنسان، فإن عملية التنازع لا تنتهي حيث يكون الإنسان بعد ذلك " غذاءً رهيباً للطيور النهمة "، فكل المخلوقات إنما وجدت بنظره " لتشقى وتعاني، ويكون مصيرها الموت المتبادل، وفي هذه الفوضى القاتلة يُبنى على شقاء بعض المخلوقات سعادة المجموع، أية سعادة هذه؟ أيها المخلوق الفاني الضعيف البائس، إنك تصيح في نغمة حزينة " إن كل شيء حسن على ما يرام " ...فلنعترف بأن الشر ملأ الأرض واستشرى فيها"[٢].

يزعم **فولتير** أن الحرية الإلهية مقيدة، ولا بد من ضرورة تحدد النشاط الإلهي " لقد صدر العالم دائماً عن هذه العلة الأولى الضرورية مثلما يصدر الضوء عن الشمس، بطريقة الصدور الأبدي الضروري"، بمعنى أن الله لم يخلق العالم بطريق الخلق الحر كما تعلمنا المسيحية[٣]، وهذا يعني حتمية مفروضة على الأفعال الإلهية، فالله تعالى ليس مسؤولاً عن الشر لأنه مُرغم على فعله[٤].

وكما عبّر **فولتير** عن حيرته تجاه الشر الطبيعي وعناية الله، نجد كذلك أن حيرته قدامتدت لتشمل الشر الخلقي وما يتفرع عنه كمسألة القضاء والقدر، وكيف نوفق بين علم الله الأزلي وحرية البشر فيما يفعلون، فمصطلح حرية الإرادة هوتعبير لا معنى له، وهو يعتقد أن هذه الشبهة لم ولن تحل " إذا كان الله قد أدرك أن البشر سيفعلون الشر، ترتب عليه أن لا يكون خلقهم، وهذه حجة قديمة لم ينجح أحد في الجواب عليها، وليس من سبيل إلى إضعافها "[٥].

أما فيما يتعلق بفكرة الخطيئة الأولى والفداء، فإن **فولتير** يرفض هذه العقائد ويعدها إهانةً لله واتهاماً له بالبربرية والتناقض، وذلك للتجرؤ على القول أنه خلق الأجيال البشريةوعذّبها إلى الأبد لأن أباهم الأول قد أكل فاكهة من حديقته[٦].

---

(١) المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٢) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت، ١٧٢/٣٨ ، وانظر *The Philosophical Dictionary: Voltaire, (Nature)www.history.hanover.edu.*

(٣) انظر الله في الفلسفة الحديثة : كوليز ،ت: فؤاد كامل، ص ٢١٣.

(٤) انظر العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص): د. أحمد طعان، ص ٨٣.

(٥)انظر تيارات الفكر الفلسفي : كريسون، ص ٨٠ ، وانظر *The Philosophical Dictionary:Voltaire:Free Willwww.history.hanover.edu*

(٦) *The Philosophical Dictionary:Voltaire:Original Sin.www.history.hanover.edu.*

وانظر قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر : د. حسن حنفي١٠٢/٢ .

بقي أن نشير إلى ما حصل بين **روسو** و**فولتير** من مراسلات بشأن زلزال (لشبونة)، إذ إن هذا العرض يعطينا تصوراً أوضح لما يعتنقه هذان المفكران من عقائد تتعلق بالله تعالى وعنايته، وموقفهما من مشكلة الشر، كما أن ما سننقله يمثل مواقف المفكرين من كلا الاتجاهين؛ الديني واللاديني .

في عام ١٧٥٥م ترددت أنباء زلزال (لشبونة) الذي أطاح بثلاثين ألفاً من البشر، وطمر كثيراً من الضحايا، لقوا حتفهم تحت الأنقاض وهم يؤدون الصلاة. فقد حدث الزلزال يوم اجتماع القديسين، والكنائس تغصّ بالمصلين، وألقى أحد القساوسة موعظةً عن أسباب الزلازلوعلاجها وقال فيها : " إن الخطيئة هي السبب المعنوي للزلازل مهما كان سببها الطبيعي ...إن الزلازل هي نتيجة اللعنة التي صبتها على الأرض خطيئة آدم وحواء الأولى "، واستشاط **فولتير** غضباً لهذه التفسيرات، وأخذ ينظر إلى العالم نظرة جديدة، وأخذت كتاباته لوناً أكثر سوداويةً، فنظم قصيدة بعنوان (كارثة لشبونة اختبار للحقيقة المقررة"كل شيء حسن")، ومما قاله في هذه القصيدة: "آه، أيتها المخلوقات الفانية التعسة، أيها الأرض المحزنة، أيها الجمع الرهيب منالبشر ...أيها الحكماء الحمقى الذين ينادون بأعلى صوت: كل شيء حسن، تعالوا وتأملوا هذه الخرائب والأطلال الرهيبة، وهذا الحطام وأشلاء ورماد جثث بني جنسكم، وانظروا إلى النساء والأطفال الذين حصدهم الموت بالجملة ...ولكن أية جريمة وأي خطأ ارتكب هؤلاء الأطفال الذين اغتالهم الزلزال وسالت دماؤهم وهم في أحضان أمهاتهم؟ ...ألم يكن في مقدور الله العليم الخبير أن يصنع عالماً ليس فيه هذا الشقاء الذي لا معنى له ؟ "[١].

وصلت قصائد **فولتير** إلى **روسو**، فغضب الثاني من موقف الأول، وهاجمه قائلاً: " إن **فولتير** الذي يبدودائماً مؤمناً بالله لا يؤمن في حقيقة الأمر بأي شيء غير الشيطان، لأن الإله الذي يتظاهر بالإيمان به كائن شرير يجد – فيما يرى – كل متعته في عمل الشر، وسخافة مثل هذا المذهب تدعو إلى الاشمئزاز وخاصة إذا كان المؤمن به رجلاً يستمتع بكل أطايب الحياة، ويحاول رغم ما يعيش فيه من هناءة وسعادة أن يملأ قلوب الناس باليأس والقنوط، وذلك عن طريق رسم صورة قاسية ومروعة للمصائب والنوازل الخطيرة التي هوفي مأمن منها، وبرهن له أن تلك الآفات جمعاء ليس بينهن آفة واحدة إلا والله بريء منها، لأنهن نشأن عن غلوالإنسان في مؤهلاته أكثر مما نشأن عن الطبيعة نفسها[٢].

ثم أرسل **روسو** إلى **فولتير** رسالة في العناية الإلهية مناشداً إياه فيها ألا يلوم العناية الإلهية على مصائب البشر، فمعظم الشرور راجع لحماقتنا أوخطيئتنا أو إجرامنا " لاحظ أن الطبيعة لم تحشد عشرين ألف بيت من ستة طوابق أوسبعة، وأنه لوكان سكان تلك المدينة الكبرى موزعين توزيعاً أكثر توازناً في مساكن أقل تكاثفاً ، لكانت الخسارة أقل كثيراً، أوربما انعدمت،ولكان كل أهلها قد هربوا عند أول هزة، ولرأيناهم في الغد على بعد عشرين فرسخاً، مرحين كأن شيئاً لم يصبهم "، وكان **فولتير** قد كتب رداً على هذا الكلام : " قلة من الناس من يودون أن يولدوا من جديد في الظروف نفسها " فردّ**روسو**بأن هذا لا يَصدُق إلا على الأثرياء الذين أتخموا باللذات، وملّوا الحياة، وأعوزهم الإيمان ...والذي يجعل من الحياة معضلة لنا هو إساءة استعمالها، ثم إنّ شر الجزء قد يكون خير الكل، فموت الفرد يتيح الحياة المتجددة للنوع، والعناية الإلهية عامة لا خاصة ...وقد يكون الموت المبكر نعمةً كذلك الذي أصاب أطفال (لشبونة)، وهوعلى أية حال غير ذي بال ما دام هناك إله، لأنه تعالى سيكافئ الجميع على ماأصابهم من معاناة لايستحقونها، ومسألة وجود الله لا

---

(١) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت، ٣٨/ ١٧١ ، ١٧٢، وانظر جان جاك روسو : نجيب مستكاوي، ص١٨٧.

(٢) انظر الاعترافات: روسو، ت:خليل رامز سركيس، ٢/ ٤٠٠، وانظر الإلحاد في الغرب: رمسيس عوض، ص ١٨١.

تجاوز الحل بالعقل ... أما عن نفسي، فقد عانيت في هذهالحياة كثيراً، لهذايملؤنيالرجاءفيحياةأخرى، وكلدقائقالميتافيزيقا لاتشككني لحظة فيوجود عناية خيّرة وفي خلودالنفس، إنني أحس هذا، وأؤمن به، وأتمناه ... وسأدافع عن هذه المعتقدات إلى آخرنسمة من حياتي"[١].

كتب **فولتير** إقراراً مهذباً بوصول رسالة **روسو**، ودعاه للنزول ضيفاً عليه، ولم يبذل محاولة منظمة لتفنيد حججه، ولكنه ردّ عليها بطريق غير مباشر بروايته الساخرة (كانديد أوالتفاؤل)، وهي من الروايات العالمية المشهورة، أراد أن يثبت من خلالها أنّ العالم الذي نعيش فيه قد أوفى من السوء على غاية لم يبلغها غيره من العوالم، يخيّم على هذه الرواية جومن الظلام والتشاؤم، وتُعد بحقّ إنجيل التشاؤم[٢].

نجد في هذه الرواية أن بنغلوس – أحد شخصياتها– يلقي سلواناً في نفوس الناس بشان ما حصل لهم من أرزاء وبلايا، مؤكداً لهم أن الأمور لم تكن لتحدث على غير ما تم قائلاً: " وذلك لأن جميع ما حدث هو أحسن ما يكون، وذلك لأنه إذا وجد بركان في أشبونة لم يمكن أن يكون في مكان آخر، وذلك لأن من المحال أن تقع الأمور في مكان غير الذي وقعت فيه، وذلك لأن كل شيء حسن " ولكن آخر يجيبه معترضاً: " يظهر أن هذا السيد لا يؤمن بالخطيئة الأصلية، فإذا كان كل شيء على أحسن ما يكون لم تكن هنالك زلة ولا جزاء "[٣].

ويقول كنديد في نفسه مذعوراً مرتجفاً: " إذا كان هنا أحسن ما يمكن من العوالم، فما تكون العوالم الأخرى ؟!"[٤].

---

(١) انظر جان جاك روسو : نجيب المستكاوي، ص١٩١، وانظر قصة الحضارة : ديورانت، ٣٨/ ١٧٣ ، ١٧٤.

(٢) انظر المفكرون من سقراط إلى سارتر : هنري توماس ودانالي توماس، ص ٢٤٦.

(٣) كانديد : فولتير، ص ٤٣ ، ٤٤.

(٤) المرجع السابق : ص ٤٦ .

المطلب الثاني

دولباخ Holbach (١٧٢٣ – ١٧٨٩ م)[١]

كان **دولباخ** فيلسوفاً مادياً يعتقد أن الإنسان موجود مادي، لأن عملياته الذهنية ليست سوى حركات في مخه، وكل الأفعال البشرية محددة تحديداً آلياً كاملاً مثل الأحداث الطبيعية الأخرى، فالإنسان يتوهم أنه يتمتع بحرية الاختيار في حين أنه في كل لحظة من لحظات حياته ما هو إلا مجرد أداة سلبية في يد القدر، كما سبقه في ذلك **اسبينوزا**[٢]. والإيمان بالحرية ينكر ضرورة نظام الكون[٣].

كان من الفلاسفة الموسوعيين[٤]، ومن كتبه المشهورة (نظام الطبيعة) الذي يعد أشمل وأصرح عرض للمادية والإلحاد في تاريخ الفلسفة بأسرها[٥]. هاجم –بشدة – الحجج الفلسفية على وجود الله، فوجود الله– برأيه– خرافة فرضها الحكام والكهنة على ما لدى الناس من سرعة تصديق لكي يستطيعوا استغلالهم بسهولة أكبر[٦].ينكر هذا الفيلسوف الغائية في الطبيعة؛ فليست العين مصنوعة للرؤية، ولا القدم للمشي، ولكن المشي والرؤية نتيجتان لاجتماع أجزاء المادة[٧].

أما فيما يتعلق بمشكلة الشر فإن **دولباخ** يصرّح أنه لم يجد حلاً لها عند من سبقوه من كبار الفلاسفة والباحثين "لقد انتظرت أفضل العقول أكثر من ألفي سنة حلاً عقلياً لهذه الصعوبات"[٨]، ومن ثم يستدل على نفي وجود الله بوجود الشر في العالم وعدم قدرة الله على تحقيق ما يريد فيقول: " ما هوهذا الإله الصالح الذي يغضب في استمرار، هذا الإله الكلي القدرة ولا ينجز أبداً مراميه ومقاصده، هذا الإله المتناهي السعادة، والذي تتكدر غبطته في استمرار، هذا الإله الذي يحب النظام، ولا يتمكن أبداً من المحافظة عليه، هذا الإله العادل، والذي يسمح بأن يتعرض عباده الأبرار للظلم الدائم؟ "[٩].

---

(١) دولباخ (بول هنري تيري):ولد في (ألمانيا) ، يعد من أبرز فلاسفة المادية الملحدة وأشد فلاسفة التنوير إنكاراً للدين وتهجماً عليه، تصدى جمع كبير من الفلاسفة للرد عليه لجرأته إلى حد الوقاحة .من أشهر كتبه (نظام الطبيعة)و(التاريخ النقدي للمسيح عيسى)، انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة : د.الحفني، ١٤٩٠/٢، وانظر *The Encyclopedia Americana*:١٤/٢٨ .

(٢) انظر تاريخ الإلحاد في الغرب : رمسيس عوض، ص ١٣٥.

(٣) انظر المذاهب الفلسفية : د. عادل العوا، ص ٢٧٦.

(٤) نسبة إلى (موسوعة العلوم والفنون) التي كان يشرف عليها طائفة من الأدباء والعلماء والفلاسفة : عدت الموسوعة بؤرة زندقة وإلحاد في نظر كثير من المعاصرين، مما أثار سخط رجال الدين الذين قاوموا رجال الموسوعة بشدة. انظر المذاهب الفلسفية(هامش): د.عادل العوا، ص ٢٧٥، وانظر *The Internet Encyclopedia of Philosophy, p* ٢٧٧ .

(٥) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت، ٣٨ / ١٥٦.

(٦) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٢٢٨.

(٧) انظر تاريخ الفلسفة: إميل برييه، ٥/ ١٥٩، وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة:يوسف كرم، ص ١٩٢.

(٨) تكوين العقل الحديث :راندل، ص ٤٤١.

(٩) تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث : أندريه كريسون، ت: نهاد رضا، ص ١٧٠.

ذدولباخ يرى أن غضب الله يتناقض مع صلاحه، وأن وقوع الظلم على الناس في الحياة الدنيا دليل على عدم وجود إله عادل، ثم يتابع قائلاً:" ما هوالكائن الكلي القدرة والذي لا يستطيعأبداً أن ينقل إلى مخلوقاته ما يريد لها من كمال؟ ما هوالكائن المتحلي بجميع المزايا الإلهية والذي يتصرف دائماً تصرف البشر؟ ما هوالكائن القادر على كل شيء ولا ينجح في أي شيء، ولا يتصرف أبداً تصرفاً يليق بمقامه؟"[1].

إن الجواب يفرض نفسه، هذا الكائن غير موجود " فلنخلص إذاً إلى القول: إن كلمة (الله) وكلمة (خَلَقَ) أيضاً، لا تمثلان بالنسبة إلى الذهن أي فكرة حقيقية، لذلك يجب حذفهما من لغة من يريد الكلام من أجل التفاهم"[2].

إن هذا الفيلسوف لا ينكر مجرد فكرة الله، بل إن لفظة (الإله) و(الخلق) ينبغي أن تختفيا من قواميس اللغة لأنهما –برأيه– من ابتداع الجهلة[3]، لأن هذا العالم المليء بالشرور لا يمكن أن يكون من خلق إله.

(١)تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث : أندريه كريسون، ت: نهاد رضا، ص ١٧٠ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٠.

(٣) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت، ٣٨/ ١٤٧.

المطلب الثالث:

هيوم*Hume*(١٧١١ – ١٧٧٦ م)[١]

انطلق **هيوم** في اعتقاده بما وراء الحواس والأفكار من أصله أن الخبرة الحسية هي مصدر معرفتنا الوحيد، فما دامت معرفتنا محدودة بحدود الحواس والأفكار فلا ينبغي لنا أن نقرر أي شيء يختص بما وراءها[٢].

وكان لهذا الأصل السابق دور في شكه بالعالم الخارجي، فالإنسان لا يعرف عن العالم الخارجي إلا ما كان في ذهنه من مدركات حسية، وانتهى به ذلك إلى الشك في كل شيء حتى عرف بالشاك[٣]، لذلك كانت مسألة وجود الله وصفاته محل شك عنده، ففي كتابه (محاورات في الدين الطبيعي) يجري محاورة في مسألة وجود الله وصفاته على لسان ثلاثة من المتحاورين، والذي يظهر من هذه المحاورة أنّ المتحاورين الثلاثة (المتشكك ديمان والمتدين كلينثيز والعقلاني فيلون) متفقون على وجود الله، إنما الخلاف بينهم هومدى ما يعلمه الإنسان عن طبيعة الله وخصائصه[٤].

ويعد **هيوم** من أكثر الفلاسفة الذين كان لكتاباته عن الإله والشر تأثير في الجدل الذي دار بين الفلاسفة بعده، فأغلب من جاء بعده من الفلاسفة اعتمدوا على محاوراته في مشكلات الدين والألوهية والشر وغير ذلك من مسائل[٥].

وقد اختلف مؤرخوالفلسفة فيمن يمثل **هيوم** من هؤلاء الأشخاص الثلاثة، فيذهب **رايت***Wright* إلى أن **هيوم** " يتأرجح بين رأيين من آراء المتحاورين، وهما كلينثيز وفيلون "[٦]،ويرجح زكي نجيب محمود أن كلينثيز هومن يمثل **هيوم** في هذه المحاورات، وكلينثيز يجعل للعقل حق البحث في خصائص الله، أما وجود الله فحقيقة لا مندوحة عنها[٧].

وإحدى أهم العقبات التي تعترض كمال صفات الخالق مشكلة الشر، فيبدأ ديمان القول: إننا – أي البشر- مخلوقات تعسة، ولا ملاذ لنا بين أرزاء الحياة التي لا حصر لها، ويسأل ديمان عن دور الدين في تخفيف هذه الأهوال التي تزعزعنا وتعذبنا على الدوام[٨].

ويوافق فيلون على ما يطرحه ديمان ويزيد عليه قائلاً:" إن بلايا الحياة وشقاء الإنسان، والمفاسد العامة في طبيعتنا...هذه العبارات قد غدت – على الأغلب – مضرب المثل في جميع اللغات"[٩].

---

(١) هيوم (ديفيد): ولد في (اسكتلنده)، كان أديباً ورجلاً من رجال المجتمع ، يعد في قمة الفلاسفة التجريبيينالإنكليز، ومع أنه لم يعترف قط بإلحاده فقد كان شكاكاً وخصماً للأديان كافةً واشتهر بزندقته، من كتبه (رسالة في الطبيعة الإنسانية) و(محاورات في الدين الطبيعي).انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة مؤلفين،ص٤٠١.

(٢) انظر الفلسفة الحديثة : إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص ٣٢١.

(٣) انظر تاريخ الفكر الفلسفي (الفلسفة الحديثة):د. محمد علي أبوريان : ٢١٣/٤، وانظر كواشف زيوف : الميداني، ص ٤٥٤.

(٤) انظر ديفيد هيوم : د.زكي نجيب محمود، ص ١٦٥.

(٥) *The Reality of God and the Problem of Evil:Davise , p ٣.*

(٦) تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٢٠٩.

(٧) ديفيد هيوم : د.زكي نجيب محمود، ص١٦٤.

(٨) انظر محاورات في الدين الطبيعي : هيوم، ص ١٠٧.

(٩) المرجع السابق، ص ١٠٨.

ويعود دميان ليقول إن الأرض برمتها ملعونة مدنسة، وثمة حرب دائمة مضطربة بين المخلوقات الحية جميعاً، وإن الضعف والضنك تصحب كل مرحلة من مراحل تلك الحياة البائسة، ثم تكون الخاتمة النزع والفزع. ويتكلم فيلون باللهجة نفسها فتراه يذكر مكائد الطبيعة الغريبة لتنغيص كل موجود حي، فالقوي يفترس الضعيف، والضعيف لا يني عن إغاظة القوي والتحرش به[١]، أما الكدح والفقر – بنظر دميان – فهما الزاد الحقيقي لأكبر عدد من الناس، أما الموسرون فإنهم لا يبلغون الرضا التام أوالنعيم الصادق[٢].

وخلال هذا الحوار يعيد **هيوم** الحجة الأبيقورية القديمة على لسان فيلون قائلاً عن الإله: " أهومريد لاجتناب الشر، ولكنه غير قادر على ذلك؟ وإذاً فهل هوعاجز؟ أهوقادر ولكنه غير مريد؟ وإذاً فهوحقود. أهوقادر مريد معاً؟ فمن أين أتى الشر إذاً ؟ "[٣].

ويأتي الآن دور كلينثيز المتدين الذي يعارض كلاً من فيلون ودميان، فينكر إنكاراً مطلقاً شقاء الإنسان وإثمه، ويرى أن الصحة أعم من السقم، واللذة أكثر من الألم، والسعادة أغلب من الشقاء، وإن كدراً واحداً نلقاه ندرك معه مئة من المباهج. إنه لأمر مؤكد ألا يعجب الكلام السابق من كلينثيز فيلون، فيرد الثاني على الأول قائلاً: " إن الألم إذا كان أقلتكرراً من اللذة فهو أشد وأقسى بما لا يُحد. إن ساعةً من الألم لخليقة أن تعدل – في الغالب- يوماً، أو أسبوعاً، أوشهراً، من مباهجنا العامة التافهة "[٤].

ويردف فيلون إنه حتى لوسلمنا بأن سعادة البشر في هذه الحياة تفوق شقاءهم، فهذا ليس ما نتوقعه من إله كلي القدرة والحكمة والخير ما دام في العالم شقاء[٥]. وأما دليل العلة الغائية الذي يستدل به المتدينون على وجود الله تعالى، فينقضه نظرات عديدة إلى العالم وأجزائه، فالعالم من وجهة نظره طافح بالشر والنقص[٦]، ويرد كلينثيز على فيلون بأنه من الممكن تفسير الشر الطبيعيوالخلقي تفسيراً مقنعاً، وعند ذلك يمكن اختيار شر أقل لتجنب شر أعظم، وتحمل المشاق لإدراك الغاية المرومة[٧].

ولكنّ فيلون يصر على فكرته، ويضرب مثلاً حسياً يؤيد به كلامه فيقول: " إذا وجدتَ نقائصأوعيوباً في البناء، للُمتَ المهندس دائماً دون أن تدخل في تفصيل ما"، ويعتقد فيلون أنه ليس ثمة شر واحد يبدوللعقل البشري ضرورياً أولا محيد عنه[٨].

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن مجرى الطبيعة – وإن افترض منتظماً انتظاماً دقيقاً- فإنه لا يبدولنا كذلك، وإن كثيراً من أحداث الطبيعة يخيب توقعاتنا[٩]، وإن الأب الكريم ليزوّد المخلوق بمجموعة عظيمة كي يصونه من الأحداث، ويضمن له السعادة والرفاهية في أسوأ الظروف، ويتمنى فيلون بعد ذلك لو أن ذلك الإله- بما أن قدرته محدودة- " أن يخلق عدداً أقل من المخلوقات، ويمدها بمواهب

---

(١) محاورات في الدين الطبيعي: هيوم، ص١١٠.

(٢) المرجع السابق ،ص١١٢.

(٣) المرجع السابق، ص ١١٧، وانظر أيضاً *God and Evil : H.J.McGloskey,p٢٢-٢٣*.

(٤) انظر محاورات في الدين الطبيعي : هيوم، ١١٩ ، ١٢٠.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ١٢١.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ١٢٢.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ١٢٣ ، ١٢٤.

(٨) انظر المرجع السابق، ص ١٢٦ ، ١٢٧.

(٩) المرجع السابق، ص ١٢٨.

أكثر، لسعادتها وبقائها. إننا لا نعدّ البنّاء الذي يقوم ببناء يعدوما لديه من مواد تمكنه من إنهائه، أقول : إننا لا نعدّ هذا البنّاء متحوّطاً "[1].

ومن الأمور التي ينشأ منها شقاء العالم وشره – بنظر فيلون – عمل الطبيعة غير المنضبط، فثمة أجزاء قليلة من العالم يبدو أنه لا فائدة منها لأحد من المخلوقات، وبالتالي فإن محوها لن يؤدي إلى نقص بيّن في مجموع الكون، فالرياح لازمة لحمل الأبخرة على طول سطح الكرة ولمساعدة الناس في الملاحة، ولكن كم تصير وبيلة إذ ترتفع إلى عواصف وأعاصير مدمرة؟ فليس ثمة شيء مفيد في العالم، إلا واستحال خراباً ودماراً في أحيان كثيرة بإفراطه أوتفريطه[2].

والشأن نفسه في الطبيعة البشرية، فعند التأمل في أحوال البشر نجدهم مختصمين يدمر بعضهم بعضاً، وكم يعجز هذا الإنسان العاقل عن إسعاد نفسه وبني جنسه، إن هذه المخلوقات البشرية لا تمثل إلا طبيعة عمياء انبث فيها مبدأ حيوي عظيم، ولفظت من حجرها أطفالها المبتورين العاجزين دون فطنة أورعاية أبوية[3].

ونشير هنا إلى أن **هيوم** كرّر هذه الفكرة في كتابه (التاريخ الطبيعي للدين) حيث أعلن أن "العالم كلّه إنما يمثل فكرة طبيعية عمياء ...تُلقي من حجرها دون تمييز أورعاية أبوية بأبنائها المشوهين والمجهضين " ومما أُثر عنه أيضاً أن هذا الإله لا بد أن يكون فيه عيوب بشرية، وأهم هذه العيوب الإغضاء التام عن المخلوقات التي تقل عنه شأناً[4] .أما الشر الخلقي فهوكالشر الطبيعي، فإذا ما اتفقنا أن الفضيلة في الجنس البشري أرفع من الرذيلة، فإنه ما دامت الرذيلةموجودة في هذا العالم فعليكم أن تلتمسوا تفسيراً لها[5].

وعلى الرغم من كل ما سبق من تشكيك فيلون بالذات الإلهية من حيث القدرة والحكمة فإنه ما زال يعترف بوجود الله فيقول : "كل العلوم تكاد تقودنا – عن وعي منا – إلى التسليم بصانع أول"[6].

بعد هذا الاستطراد من فيلون يبرز كلينثيز المدافع عن العدالة والحكمة الإلهيتين، فيعلن مخاطباً فيلون إننا –البشر– من خلق الإله الكامل في خيره وحكمته وقدرته، وهذا الإله خلقنا للسعادة، ونحن جميعاً في كنفه ورعايته[7].

أما موقف **هيوم** من الحرية الإنسانية فهوموقف غريب؛ إذ إنه يعتقد أن الإنسان مجبر في سلوكه ومختار فيه أيضاً باعتبارين مختلفين؛ فهومختار لأنه ليس هناك سلطة عليا أو إرادة سالبة تفرض عليه أن يفعل شيئاً، بمعنى أن الله لا يمارس تأثيراً في عبد من عباده بأن يفعل أويترك، وهومجبر لأن الإنسان– بحكم تركيبته النفسية وتكوينه الفسيولوجي – لا يستطيع أن يفعل غير ما تحتمه عليه هذه التكوينة النفسية والفسيولوجية[8]، واشتهر في هذا الشأن قوله:" إن شعورنا بالحرية ليس إلا وهماً وخداعاً "[9].

---

(١) محاورات في الدين الطبيعي: هيوم، ص ١٣٠ ، ١٣١.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٣٢ ، ١٣٣، وانظر الإلحاد في الغرب:رمسيس عوض، ص ١٢٨.

(٣) انظر محاورات في الدين الطبيعي : هيوم، ص ١٣٥.

(٤) انظر المفكرون من سقراط إلى سارتر : هنري ودانالي توماس، ص ٢١٧ ، ٢١٨.

(٥) انظر محاورات في الدين الطبيعي : هيوم، ص ١٣٧.

(٦) المرجع السابق، ص ١٤١ .

(٧) انظر المرجع السابق، ص١٥٦.

(٨) انظر قضايا فلسفية : د.حياة محمد إبراهيم، ص ٢٨٩.

(٩) مقالة (القيم الأخلاقية عبر العصور) ، *www.themar.ahlamontada.net* .

المطلب الرابع:

جون ستيوارت مل *Stewart Mill* (١٨٠٦ – ١٨٧٣)[١]

كان هجوم **مل** على الكنيسة جزءاً من اتجاه عام احتضنه عدد كبير من مفكري القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكان يعتقد أنه لا يمكن بحال من الأحوال إقامة الدليل على صحة أي دين[٢]، لذلك للإنسان حرية اختيار العقيدة أوالدين الذي يعجبه[٣].

لـ**ستيوارتمل** مقالاتٌ ثلاثٌ عن الدين نُشرت بعد وفاته تعبر عن آرائه الأخيرة في فلسفة الدين، يذهب في مقاله الأول الذي هوبعنوان (الطبيعة) إلى أننا لا نملك يقيناً في أن نظام الطبيعة قد خلقه إلهٌ محبٌّ للخير قادرٌ على كل شيء؛ فالطبيعة تفتك بالكائنات الحية بعد أن تخضعها ابتداء لمعاناة شديدة بتعريضها للحرّ والبرد والجوع، على نحويفوق ما يفعله شرار الخلق[٤]، فعلى الرغم من أن الطبيعة تعجب **ستيوارتمل** من حيث اتساعها وعظمتها، هي غير أخلاقية من ألفها إلى يائها؛ فهي تقتل مخلوقاتها بفعل الأعاصير والزلازل والبراكين والأمراض والجوع والبرد دون أدنى رحمة أوشفقة، وكذلك فإن الطبيعة توزع بلاءها ونوازلها دون تمييز بين أشد الناس نبلاً وأكثرهم انحطاطاً[٥] .

من خلال ما سبق من هجوم هذا الفيلسوف على الطبيعة تتبين لنا نزعته التشاؤمية تجاه ما يصيب الإنسان في حياته من مصائب طبيعية، وفوق ذلك نجده يحتقر الذين يعدون هذه المصائب أسراراً قدسية أوعلوية. أما الله تعالى– في نظره – فهو إما أن يريد شقاء البشر، أو أنه عاجز عن وضع حد لشرور الطبيعة. وهويخالف **روسو** في براءة الطبيعة البشرية وطهارتها، إذ يجد أن حياة الإنسان البدائي تتسم بالوحشية والشر[٦] .

وفي مقاله الثالث (مذهب التأليه) يقوم باستبعاد الأدلة العقلية التي قدمها **ديكارت** و**كانط** على وجود الله، وعلى الرغم من أنه يتمسك بدليل التدبير والنظام في الاستدلال على وجوده إلا أنه لا يرى في هذا الدليل ما يدل على وجود إله لا متناه، خالق كل شيء، فثمة شرور كثيرة ونقائص موجودة في العالم، فالجسم البشري– على سبيل المثال– آلة رائعة، لكنها تحتوي على عيوب كثيرة فادحة[٧] .

إن **مل** يشك بخلق الله للمادة أوالقوة، أو أنهما يقعان تحت سيطرته تماماً، ذلك أن الدليل يفترض وجود إله تحده المادة والقوة[١]؛ فقوته عظيمة للغاية، بيد أنها متناهية، وذكاؤه يفوق خيالنا، وربما يكون علمه كذلك أيضاً؛ فهويرغب ويهتم بسعادة مخلوقاته التي ينبغي

---

(١) جون ستيوارت مل : ولد في (لندن) ، وتلقى تعليمه في بيته على يد أبيه جيمس مل ، عانى في سن العشرين من أزمة عقلية أعقبتها فترة طويلة من الكآبة،يعد من أشهر من تبنى مذهب اللذة، وكان من أنصار حقوق المرأة والطبقات العاملة ، من كتبه (استعباد النساء) و(مقال عن الحرية)و(الاقتصاد السياسي)، انظرالموسوعة الفلسفية المختصرة : مجموعة كتاب ، ص ٣٣٣.

(٢) انظر الإلحاد في الغرب : رمسيس عوض ، ص ٢٠٥.

(٣) انظر بحث في الحرية: ستيوارت مل ، ص ٣٤– ٣٦ .

(٤) See Nature:Mill,from Philosophy of Religion:Abernethy and Langford,p٢٢٧،٢٢٨.

وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٤١٦.

(٥) See Nature:Mill,from Philosophy of Religion:Abernethy and Langford, p٢٢٧-٢٢٨.

(٦) انظر الإلحاد في الغرب : رمسيس عوض ، ص ٢٠٥.

(٧) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٤١٧.

أن تتعاون معه بمجهوداتها لكي تجعل العالم أفضل، غير أنه يبدو أن له أغراضاً أخرى في الكون أيضاً. وأخيراً إن تصورات **مل** عن الإله كان لها تأثير في من جاء بعده من الفلاسفة، ك**وليم جيمس** وغيره، وخاصة في فكرة محدودية الإله[٢].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ٤١٧ ، ٤١٨، وانظر*A Syllabus of Systematic Theology:David S.Clark,p٨٧*.

(٢) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ٤١٨ .

المطلب الخامس:

شوبنهور *Schopenhauer* (١٧٨٨ – ١٨٦٠)[١]

هو فيلسوف ألماني ينحدر من عائلة غنية، ومع ذلك كان ذا نزعة تشاؤمية، هو الذي فتح عيوننا – كما يقول أورماند *Ormand*– على حقيقة الشر وخطورته في العالم[٢]، وذُكر في تشاؤمه سببان؛ الأول وباء الكوليرا الذي حدث في برلين عام ١٨٣١م وكان سبب وفاة **هيجل** وهجرته إلى فرانكفورت، والثاني خذلان الأحرار في ألمانيا عقب فشل ثورة ١٨٤٨ م[٣] .

ولعلّ رؤيته لمحنة الفقراء في أوربا الوسطى أثناء الكساد الاقتصادي الذي أعقب الحروب النابليونية جعله متشائماً، ويضاف إلى ما سبق زيارته لسجون فرنسا وتأمله للبؤس والتعاسة والفقر الذي يعيش فيه السجناء، ومشاهدته عملية إعدام في لندن[٤]. تأثر بفلسفة بوذا الذي أدّت به شفقته من معاناة البشر إلى التشاؤم، ومناداته بطريقة للهروب من الوجود إلى (النرفانا) [٥] .

كان والد **شوبنهور** يغضب لأتفه الأسباب، وأهم ما كان يتصف به الضجر والتشاؤم، ويبدو أنه قد ورث شيئاً من ذلك، فيقول:" غمرني، وعمري لم يتجاوز السابعة عشر، الشعور بتعاسة الحياة كما شعر بوذا في صباه عندما اكتشف وجود المرض والشيخوخة والموت"[٦].

نظر هذا الفيلسوف إلى السعادة الدنيوية على أنها وهم خادع، وأن الحياة بطبعها شر، وبالتالي لم يجعل من الشر واقعة عارضة أو طارئة على العالم، بل واقعة جوهرية وضرورية لها أسس تقوم عليها، ومن هنا استحق **شوبنهور** لقب(رسول الشقاء) أو (فيلسوف التشاؤم) [٧].

وأقام **شوبنهور** نتائجه التشاؤمية على تحليل حقيقة العالم، فالعالم في حقيقته إرادة، وبالتالي لا بد أن يكون هذا العالم مليئاً بالألم والعذاب، والإرادة والرغبة هما في الحقيقة شيء واحد، ومن المعلوم أن الرغبة لا نهاية لها؛ ففي إشباع رغبة يطل من ورائها عشرات الرغبات التي تطلب إشباعها وتحقيقها، ومن المتعذر إشباعها جميعها، إنها كالصدقة التي ندفعها للفقير، تغنيه عن الجوع اليوم ليواجه البؤس والفقر غداً[٨].

---

(١) شوبنهور(آرثر): ولد في (ألمانيا)، اشتهر بمقالاته اللاذعة وبكتابه الرئيس (العالم إرادة وفكرة)، لم يكن في مقدوره أن يعيش مع أمه على وفاق، عاصر فشته وتأثر به، وأعجب بكانط وأفلاطون كثيراً ، كان أول فيلسوف أوربي اتخذ من الإلحاد موضوعاً، تأثر بالبوذية تأثراً عميقاً، انظر الموسوعة الفلسفية المختصرة: مجموعة مؤلفين، ص ١٩٥، ١٩٦ .

(٢) انظر العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم : د. ثائر الحلاق، ص ٣٦٩ .

(٣) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٣٣٥ .

(٤) انظر أعلام في الأدب العالمي : علي عبد الفتاح ، ص٨٢ .

(٥) *See The World As Will and Idea: Schopenhauer, ٣/١٨٩.*

(٦) انظر أعلام في الأدب العالمي : علي عبد الفتاح ، ص ٨٢ .

(٧) انظر ميتافيزيقا الفن عند شوبنهور : محمد سعيد توفيق ، ص ٣١ .

(٨) انظر قصة الفلسفة : ول ديورانت، ص ٤١٥ .

وما دامت الإرادة تطغى وتملأ شعورنا، وما دمنا خاضعين لتجمع الرغبات وآمالها ومخاوفها الدائمة، وما دمنا خاضعين للإرادة، فلن نبلغ السعادة الدائمة أو السلام إطلاقاً، هذا بالإضافة إلى أن تحقيق الرغبات لا يستتبع القناعة. إن إشباع العاطفة يؤدي في الغالب إلى الشقاء بدلاً من السعادة لأن حاجاتها كثيراً ما تتعارض مع مصلحة صاحبها إلى أن ينتهي الأمر بالقضاء على هذه المصلحة. ويسبّب الإشباع المستمر للرغبات سأماً وملالاً دائماً[١].

كان يسخر من عبارة **ليبنتز** أن عالمنا أفضل العوالم الممكنة فنجده يقول : " وإذا كان علينا أن نستحضر أمام بصر الإنسان ذينك الشقاء والبؤس الرهيبين اللذين تتعرض لهما حياته باستمرار، لاستبد به الفزع، ولو أنه كان علينا أن نقود المتفائل الراسخ في تفاؤله إلى المستشفيات وملاجئ العجزة وغرف العملياتالجراحية، وأدخلناه السجون وغرف التعذيب وأوجار العبيد ...ولو سمحنا له أن يطل على كهوف الجائعين ...لفهم أخيراً طبيعة هذا العالم الذي هو أفضل العوالم الممكنة، ومن ثم من أين استقى دانتي ملحمته عن الجحيم؟ "[٢].

إن الأصل في الحياة – كما يزعم هذا الفيلسوف- هو العذاب والألم، أما اللذة والسعادة، فما هي إلا رفع للألم وليست شيئاً إيجابياً، وإنما هي أمر سلبي، ولا يكاد الإنسان يشعر براحة من الألم حتى يتملكه شعور بالسآمة والملل[٣]، وكل موجود حي يرتفع في سلم الرقي فإن عذابه يزداد، لأن إحساسه قد ازداد وهو يتذكر عذاب الماضي ويتنبأ بآلام المستقبل، وشيء واحد حلو يستتبع عمراً من الآلام[٤].

وحتى عالم الحيوان لا يخلو من الألم والشقاء، هذا إذا لم يكن الألم هو جوهر حياة الحيوانات؛ فإذا ما أجال الإنسان نظره في عالم الحيوان فإنه لن يرى إلا ساحة قتال فيها مفترِس ومفترَس، فالكلاب الوحشية تعيش على الحيوانات الأضعف منها كالسلاحف البحرية وغيرها، وهذه الكلاب بدورها كثيراً ما تكون فريسة سهلة المنال للنمور الأقوى منها، وهكذا تفترس إرادة الحياة نفسها في كل مكان[٥].

ومهما فعل الإنسان البائس في حياته، فإنه لن يغيّر شيئاً من واقع الحياة، فلو ازداد الإنسان نجاحاً لازداد مللاً، ولو ارتقى كذلك علماً ومعرفةً فإنه سيزداد ما يحسه من الألم، لذلك نجد أن العبقري الموهوب هو أشد الناس مقاساةً للألم، كما أن ذاكرة الإنسان وبعد نظره يزيدان في آلامه، لأن إحساسه قد ازداد وهو يتذكر عذاب الماضي ويتنبأ بآلام المستقبل[٦] .

---

(١) *See The World As Will and Idea: Schopenhauer,* ٣/ ٢٥٩.

(٢) *Ibid,* ١/٤١٩.

(٣) انظر قصة الفلسفة : ديورانت، ص ٤١٦، وانظر*The World As Will and Idea: Schopenhauer,* ١/٤١٣

(٤) انظر قصة الفلسفة : ديورانت، ص ٤١٧ .

(٥) *See The World As Will and Idea: Schopenhauer,* ٣/٧٨.

(٦) انظر قصة الفلسفة : ديورانت، ص ٤١٧ .

نحن تعساء في زواجنا، وفي عزوبتنا، تعساء في وحدتنا، تعساء في اجتماعنا بالناس، إننا كالقنافذ تقترب من بعضها لتشعر بالدفء، ولكنها لا تشعر بالراحة إذا اشتد التصاقها، إن الحياة مضحكة، ولكنه ضحك كالبكاء، فلو استعرضنا حياة الفرد في مجموعها وأمعنا النظر في أبرز معالمها فقط لوجدناها مأساة في الحقيقة، أما إذا تناولناها في تفصيلها لوجدناها ملهاة مضحكة[١] .

إن الإنسان يتألم من فكرة الموت أكثر من الموت نفسه[٢]، إن الموت ليعد بحقّ الهدف الحقيقي للحياة؛ ففي لحظة الموت يشعر الإنسان أن حياته ما كانت إلا تمهيداً لهذه النهاية المحتومة، الإنسان وحده الذي يتذوق كأس المنية القاسي[٣]، وإذا كان ذلك كذلك، فأنّى للإنسان أن يشعر بالأمان أو السعادة ما دام الموت بانتظاره، إنه من غير المعقول أن تخالط السعادة قلب إنسان عمره الخوف من الموت[٤] .

الحياة شر لأنها حرب، أينما وليت وجهك لا تقع عينك إلا على صراع ونزاع، وتبادل انتحاري بين الهزيمة والنصر، فالأصل في هذه الحياة هو الاقتتال، وما السلام إلا فترات شاذة واستثنائية من القاعدة العامة للحياة التي هي الحروب والدمار[٥] .

يطلق **شوبنهور** على الدين (إنكار إرادة الحياة)، وينكر وجود إله شخصي يعتني بالعالم ويهتم بالناس، وقام بنقد محاولات بعض الفلاسفة في إثبات وجود الله كدليل **كانط** الأخلاقي وغيره. وإرادة العالم تخلو تماماً من الغرض والذكاء، ويسميها قوى الطبيعة العمياء التي أرادت بصورة عمياء وغبية هذا الكون الذي نحيا فيه[٦]، وبالتالي فإن الشيء الذي يجب علينا فعله هو أن نهرب مما نحن فيه، وأن نساعد في إنهاء العالم ذاته لو كان ذلك ممكناً. اتهم هذا الفيلسوف بأنه مسؤول عن كثير من الانتحارات في صفوف الشباب الذين تأثروا بفلسفته[٧]، كيف لا وهو القائل" إنما يود من يطلب الموت بالانتحار أن يحيا "[٨] .

ويقرر أن إرادة الحياة حرة لا يحددها أي شيء، وتلك الإرادة هي نحن في طبيعتنا الباطنية، ومن ثم فإننا مثل تلك الإرادة مسؤولون عن الشر الموجود في العالم، وتكمن خطيئتنا الأصلية في أننا وُلدنا أفراداً متناهين، مزودين بأنانية تتضمنها الفردية المتناهية بالضرورة[٩] .

أما خطيئة– آدم عليه السلام– وسقوطه بعد ذلك فيرى فيها دليلاً قاطعاً على أفكاره التشاؤمية، فهو يجد في هذه القصة أن الإنسان يدفع ثمن خطأ لم يرتكبه، إذ ينتظره موت بعد عراك مستمر مع العذاب والشقاء[١٠] ، والحل – برأيه – أن نهرب من العالم إن

---

(١) انظر قصة الفلسفة: ول ديورانت، ص ٤١٩ .

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤١٧ .

(٣) See The World As Will and Idea: Schopenhauer, ٣/٣١٢.

(٤) See Ibid, ٣/١٦٧.

(٥) انظر قصة الفلسفة : ول ديورانت، ص ٤١٧ .

(٦) See The New Encyclopedia Britannica: Benton, ١٦/٣٥.

(٧) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٣٥٢-٣٥٣ .

(٨) انظر المذاهب الأخلاقية : د. عادل العوا ، ص٤٨٤ .

(٩) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٣٥٢ .

(١٠)See The World As Will and Idea: Schopenhauer, ١/٤٢٤

وانظر المقدمة في فلسفة الدين : أديب صعب ، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤.

استطعنا، أو نحاول تحطيمه إن كان ذلك ممكناً، وإن لم يتحقق ذلك فينبغي لنا أن نكبت رغباتنا، وأن نحرص على حياة تأملية كي نستطيع أن نحظى بحالة سعيدة في هذا الوجود، ولا يخفى على الناظر في هذه الأفكار أنها تشبه إلى حد كبير أفكار البوذية ونظرتها للعالم[1] .

كما لا يخفى أيضاً تأثره بالفلسفة البوذية وفكرتها الأساسية، وهي قضية شقاء الإنسان ومعاناته في هذه الحياة، وأن جميع مظاهر الحياة تصطبغ بالمعاناة كالموت والميلاد والمرض ووجود ما نكره والانفصال عما نحب وعدم حصول ما نشتهي ...إلخ، ولأجل ذلك ينبغي لأنصار هذه الفلسفة أن يسعوا لتحقيق (النرفانا)؛ والتي تعني حالة من العدم والفناء والسمو المطلق، الذي يصل إليه البوذي بعد التوقف عن أي رغبة، فيتحقق له السلام والطمأنينة، وتفارقه الأهواء وأسباب الشقاء، ويشعر بنوع من الفوقية على العالم، فالحاصل على (النرفانا) يتحرر من كل أشكال الجهل والألم والشقاء، ويسعى لسعادة جميع الكائنات[2] .

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٣٥٤ .

(٢) انظر تاريخ الأديان : محمد خليفة حسن ، ص ٨٧-٨٩ ، وانظر :
A Syllabus of Systematic Theology:David S.Clark,p٨٦-٨٧.

المطلب السادس:

دستوفسكي *Dostoevski* (١٨٢١ – ١٨٨١)[١]

روائي روسي اتخذ من موهبته الأدبية وسيلةً للتعبير عن فلسفته الحياتية ومنها مسألة الشر، ولا بد لنا حتى نفهم حقيقة موقفه من شرور الحياة ومصائبها ووجود الله تعالى من أن نقوم بنظرة سريعة على أحداث حياته وما عاناه فيها لنعلم بعد ذلك مدى تأثير هذه الأحداث في فلسفته.

لا شك أنّ حياة هذا الأديب الفيلسوف في مدينة (بطرسبرج) قد قادته إلى معايشة الواقع المؤلم الذي يعاني منه الفقراء والتناقضات الطبقية الحادة في المجتمع والبطل الضائع دون رحمة، المنهار بلا أمل في تغيير هذه الظروف القاسية المؤلمة، فكانت روايته (الفقراء) عبارة عن مشاهد بائسة من هذا الواقع عن موظف الحكومة المعدَم الذي يتعاطف مع أحد المنبوذين في المجتمع[٢].

إن منظر العبيد البائسين كان دائماً عالقاً في ذاكرته[٣] . ماتت أمه وعمرها سبعة وثلاثون عاماً، وبعد شهر قُتل الشاعر بوشكين[٤]فكان لموته تأثير بالغ فيه فوضع شارة الحداد[٥]. ورأى مرة رجلاً في عربة ينهال صفعاً على الحوذي المسكين الذي يجلس بجانب هذا السيد، وكلما ازدادت الصفعات ازدادت ضربات الحوذي على الجياد التي سارت تنهب الأرض لتتقي اللسعات المؤلمة،وقد كتب **دستوفسكي** فيما بعد في (يوميات كاتب): " لقد ظلتهذه الصورة المؤلمةمحفورةً في قلبي طوال حياتي "، وبعد مدة فشل أخوه ميشال في الامتحان ونجح هو،فحزن كثيراًلفراق أخيه ورفيقدربه[٦].

عانى كثيراً من بخل والده عليه حتى بالنفقات الضرورية، وحين أزف موعد الامتحان لم ينجح باجتيازه فازداد غمهوهمه[٧].قُتل أبوه بطريقة شنيعة على يد بعض العبيد بسبب ظلمه لهم[٨]. وكانت حياته خلال دراستهمضطربة لا هدف لها[٩].

---

(١) دستوفسكي : ولد في (روسيا) ، فيلسوف وأديب، عرف بثورته على الظلم والاستبداد فسجن في سيبيريا أربع سنوات عانى فيها معاناة شديدة،ومن أشهر رواياته (مذكرات سرية) و (الجريمة والعقاب) و (الإخوة كارازاموف) و (علامات في أدب التمرد) . انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة : د. عبدالمنعم الحفني ، ١/ ٥٧٩.

(٢) أعلام في الأدب العالمي :علي عبد الفتاح ، ص ١٦٠ .

(٣) دوستويفسكي : هنري ترويا ، ت: بهيج شعبان،ص ١٣.

(٤) ألكسندربوشكين (١٧٩٩-١٨٣٧م): أديب روسي كبير، هو صوت الحرية الذي انتهى بظهوره عصر الجمود والتخلف والصنعة في الأدب، كان داعية للأدب الملتزم، وذلك بالدفاع عن الإنسان المقهور ومقاومة العنف والطغيان، من أبرز أعماله "الوليمة" و "الضيف الحجري"، انظر أعلام في الأدب العالمي : عبد الفتاح، ص١٠٠ .

(٥) دوستويفسكي : هنري ترويا ، ت: بهيج شعبان،ص ١٦.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ١٧ ، ١٨.

(٧) المرجع السابق : ص ٢٠-٢٢.

(٨) انظر أعلام في الأدب العالمي : علي عبد الفتاح ، ص ١٥٩.

(٩) دستوفسكي : ترويا ، ص ٢٦.

كانت الديون تتراكم على عاتقه، والدائنون يلاحقونه " إن الدين الدائم هوعلامة عبوديتي "[١]. سُجن **دستوفسكي** وحكم عليه القيصر بالإعدام ثم خفف الحكم في اللحظات الأخيرة إلى حكم بالأشغال الشاقة ثم النفي إلى مستعمرة في سيبيريا لمدة أربع سنوات، وكان سجنه في سيبيريا جحيماً لا يطاق، ثم انتدب للخدمة في صفوف الجيش فابتعد عن العاصمة وحياة الأدب والفكر لمدة عشر سنوات[٢].

كان القلق صديقه الوحيد الذي لا يفارقه " إنني أتخبط كسمكة تحت الجليد "[٣]، ماتتزوجته ماري التي كان يحبها حباً جماً "لا أستطيع التصور كم ستكون حياتي مؤلمةً فارغةً بعد دفنها"، وبعد ثلاثة أشهر مات أخوه ميشال " لقد بقيت وحدي وأنا خائف "[٤].

عانى كثيراً من نوبات الصرع التي كانت تلاحقه أينما حلّ[٥]. رُزق بطفلة أحبها حباً عظيماً يقرب من العبادة، ولم يدم سروره بها طويلاً فقد اختطفتها يد المنية من بين يديه فكان حزنه عليها لا يعرف حدوداً " إنني لن أنسى ولن أنقطع عن الشعور بالعذاب ... لم أستطع أن أفهم لماذا زالت من الوجود، ولماذا لا أراها مرة أخرى "[٦].

ورزق بولد آخر، فذاق طعم السعادة التي لم تستمر كثيراً، حيث تعرض هذا الولد لنوبة صرع مات على إثرها، فكانت الضربة ساحقةً لم يستطع احتمالها، وعدّ نفسه مجرماً لأن الطفل مات بمرض وراثي، إذ كان يشكومن انتفاخ في الرئة يتبعه نزلة تسد مسالك التنفس، ولم تستطع المصحات أن تشفيه من مرضه الذي أصبح مصدر قلق دائم له، ومن ثم أوضح فكرته القائلة:" إن البراءة كلمة باطلة وكل منا مجرم أمام الجميع "[٧]. وبعد موت طفله رأى **دستوفسكي** أن الفوضى في كل مكان، وكذلك القلق، وليس المرض هوالذي يعذب الكائنات ولا الخوف من الغد، بل هوالله[٨].

كان هذا الأديب من قبل يرى عظمة الخالق في عظمة هذا الكون، لكنه وقف على ما يجري للأطفال من عاهات وأمراض لهم فيها عذاب طويل وآلام مبرحة ولا ذنب لهم، فتزحزح إيمانه بالعدل الإلهي ومال إلى الإلحاد[٩].

وفي روايته المشهورة (الأخوة كارامازوف) يروي إيفان كارامازوف لأخيه أليوشا قصةً عن قائد روسي تحت إمرته ألفا عبدٍ أو أكثر، ومعه مئات من كلاب الصيد، يأتي طفل صغير لم يتجاوز عمره ثماني سنوات فيرمي حجرة يؤذي بها الكلب المفضل لدى ذلك

---

(١) دستوفسكي: ترويا، ص٤٦.

(٢) انظر أعلام في الأدب العالمي : علي عبد الفتاح ، ص ١٦٠.

(٣) انظر دستوفسكي : ترويا ، ص ٤٦.

(٤) المرجع السابق : ص ١٣٠.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٦) المرجع السابق : ص ١٥٠.

(٧) المرجع السابق ص ١٧٤.

(٨) انظر المرجع السابق : ص ١٧٧- ١٧٩.

(٩)انظر مقالة (الخير والشر) :*www.leblover.com*.

القائد، فما كان منه إلا أن أمر بالطفل فأُخذ من أمه ورمي في زنزانة وحيداً، وفي الصباح، عُرّي هذا الغلام المرتعب من ثيابه، وأُحضر للقائد الذي أمره بالجري، ومن ثم أطلق هذا القائد كلابه المتوحشة وراءه، فأمسكت به الكلاب، وقطعته إرباً إرباً أمام عيني أمه[١].

إن هذه الحادثة الرهيبة التي تهز وجدان كل ذي لبٍّ، جعلت أليوشا يقول:"إذا كانت معاناة الأطفال تزيد من حجم المعاناة التي كان من الضروري دفعها ثمناً للحقيقة، فإني عندئذٍ سأعارض هذه الحقيقة التي لا تستحق ثمناً كهذا، أنا لا أريد أن تعانق الأم ذلك المستبد الذي رمى بابنها إلى الكلاب[٢]،إنها لن تجرؤ أبداً على أن تصفح عنه"[٣].

موت هذا الطفل الصغير بهذه الطريقة الوحشية جعل إيفان كارامازوف يتساءل أيضاً عن إمكانية أن يكون للتاريخ معنى أوهدف في الوقت الذي لا يهتم فيه هذا التاريخ بمصير الإنسان الواحد، إن رفض إيفان كارامازوف أن يشيد بناء المصير البشري على دمعة طفل " بهدف إسعاد الناس في النهاية " ليعدّ تمرداً على الله الذي أوجد الشر، وعلى علم اللاهوت الذي يفسر وجود الشر في العالم بالخطيئة الأولى، وعلى النبوءات المسيحية بمملكة المسيح في آخر الزمان[٤].

إنّ هذه المعاناة التي عايشها **دستوفسكي** في السجن والمنفى أثّرت في حياته الفكرية تأثيراً خطيراً، فأصبح يفكر في مصير البشر وأقدارهم، والعدالة الاجتماعية، وموقف الإنسان من الموت والنظم والعقائد الدينية، وانعكس هذا على أعماله الأدبية، وخاصة تلك التي كانت بعد المنفى كرواية (في سردابي) حيث يعيش البطل القوي في سرداب بعيداً عن عالم مخدوع خائن، ثم يهاجم الرومانسية وكل ما هوجميل وراق، يقول هذا البطل : " لقد فقدنا جميعاً عادة الحياة، كلنا يمشي مكباً على وجهه متعثراً قليلاً أوكثيراً، لقد شبنا دون أن نتعود على الحياة بحيث إننا نشعر تجاه الحياة الحقيقية بالاشمئزاز، ولا نحب أن يذكّرنا بها أحد، ولقد وصلنا إلى درجة نعدّ فيها الحياة الواقعيةمحنةً شاقةً "[٥].

أصبح **دستوفسكي**إذاً رجلاً متشائماً، وبثّ أفكاره التشاؤمية هذه في أعماله الأدبية كافةً، فناقش في رواياته الشعور بالحياة بوصفها مأساةً وصراعاً، وعدم الثقة بإمكانية تغيير العالموالحياة[٦]، وكان ينظر إلى الإنسان على أنه كائن متناقض وتراجيدي؛ تعيس وشقي إلى أبعد حدود التعاسة والشقاء[٧]. لذلك نجده يشير في كتابه (ملحوظات من تحت الأرض) إلى فكرة ثقل الحياة على الإنسان، وأن هذه الحياة جحيم، وأن هذه المدنية قد كبّلت الإنسان وحدّت من حريته[٨].

---

(١) *See The Brothers Karamazov:Dostoevski,p٤٩٨.*

(٢) يقصد بهذا أنه حتى لو افترضنا صلحاً عالمياً في نهاية الحياة، فإن هذه الأم لن تتصالح مع ذلك المجرم الذي فعل بابنها ما فعل، ولو كانت هذه المصالحة في خير البشرية جمعاء.

(٣) *The Brothers Karamazov:Dostoevski ,p ٥٠٣.*

(٤) انظر دوستويفسكي :مجموعة مؤلفين ، ص ٢٣١.

(٥) انظر أعلام في الأدب العالمي : علي عبد الفتاح ، ص ١٦١.

(٦) انظر دستوفسكي (دراسات في أدبه وفكره) : آ.لاتينيا ، ت:نزار عيون السود ، ص ٢١٤.

(٧) انظر المرجع السابق، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤.

(٨) انظر مذاهب فلسفية كبرى في مواجهة بدائل بناء وهدم المحتوى : د. محمد محمد بالروين ، ص ١٥٨ ، وانظر
Existentialism For Dummies: Panza and Gale , p ٣٤٤.

أما أشهر رواياته (الجريمة والعقاب)، فإن بطل الرواية راسكولنيكوف يرتكب جريمة قتل بحق امرأة عجوز مرابية وأختها، مع أنه ليس شريراً أومجرماً في حقيقة الأمر، وبعد ارتكابه لهاتين الجريمتين يشعر بندم رهيب في أعماق نفسه، وفي الخارج يتلقّى عقاباً قاسياً؛ إذ اتهم بالجنون، وانفصل عن بقية البشر، وصار يحدّث نفسه بالانتحار. وكثيراً ما كان يتساءل: لماذا يعيش الأشرار السفَلَة؟ لماذا يتألم العادلون البررة؟ ألا يمكن للعقل البشري أن يدير العالم بصورةأفضل[1] ؟.

وحل الانتحار هذا نجده في رواية (الحكم)، فبطلها يقول قبل إقدامه على الانتحار:" بما أنني أجد هذه الملهاة سخيفة جداً من جانب الطبيعة، وبما أنني أعتقد أن احتمال هذه المهزلة من جانبي أمر غير مقبول بل ومهين، لذا ...أحكم على هذه الطبيعة التي دفعتني بوقاحة وفظاظة إلى المعاناة والألم، وعلى نفسي بالهلاك، وبما أنني لا أستطيع القضاء على هذه الطبيعة، لذا فسأقضي على نفسي وحدي، فقط لمجرد سأم احتمال استبداد ليس له من مسبب"[2].

(١) انظر دستوفسكي (دراسات في أدبه وفكره) : آ.لاتينيا ، ت:نزار عيون السود، ص ٢٤٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٥٧.

المطلب السابع

نيتشه*Nietzsche* (١٨٤٤ – ١٩٠٠م)[١]

كان **نيتشه** عليل الصحة، ذا بنية جسمية ضعيفة، مصاباً بداء العظمة إلى حد تأليه النفس، بدأ بمرحلة الشك منذ بداية حياته[٢]، وعندما التحق بخدمة التمريض في الحربالبروسية – الفرنسية عام(١٨٧٠م) مرض مرضاً شديداً، وخلّف له المرض آلاماً حادة في الرأس والمعدة والعينين حتى تركه شبه أعمى، وربما تكون رؤيته للمعاناة المفزعة للجرحى الذين أحاطهم برعايته قد أصابته بصدمة عصبية[٣].

وكان لما سبق أثر كبير فيه فأصبح إنساناً متشائماً يائساً، ومن ثم فقدَ الإيمان بوجود إله خالق مدبر للكون " أيكون إلهاً خيّراً ذلك الذي يعلم كل شيء، ويقدر على كل شيء، ولا يعبأ مع ذلك بأن تكون مقاصده مفهومة لمخلوقاته؟ ألا يكون إلهاً شريراً ذلك الذي يملك الحقيقة، ويرى ذلك العذاب الأليم الذي تعانيه البشرية من الوصول إليها ؟"[٤].

وقرأ بعد ذلك كتب **شوبنهور**، و لا سيما كتاب (العالم إرادة وتمثل) وتأثر بفلسفته الإلحادية التشاؤمية:"يا لمبلغ ما نتحمل، في الواقع، من أنواع البؤس والحرمان والاضطرابوالعاهات والهموم والوحشية ...ولكن هبيني من حينلآخر – إذا كان لك أيتها العنايات الإلهية من وجودٍ خارجَ ميادين الخير والشر– هبيني نظرة أستطيع أن ألقيها على كائن مطلق الكمال"[٥].

ثم استرسل في شكه، فرفض المسيحية بكل ما فيها من عقائد وأفكار، ومنها فكرة الخطيئة، وعدها أمراً مناقضاً للتفكير السليم[٦]. بدأ يعادي أصدقاءه تباعاً حتى أصبح في عزلة تامة، وتفرق أصدقاؤه وانفضوا من حوله واحداً تلوالآخر فكتب إلى أخته قائلاً: " كم أشعر بالوحدة اليوم! أيتها السماء! لم يعد إلى جانبي إنسان أجالسه، وأضحك معه، وأشرب برفقته كأس شاي، ما من شخص يواسيني مواساة الصديق للصديق"[٧]. وازداد بعد ذلك جنون العظمة في نفسه حتى حلّ به جنون مطبق، وبقي كذلك حتى موته[٨].

ينكر هذا الفيلسوف وجود علةٍ غائيةٍ تسيّر العالم فيقول:" إنه–أي العالم– لم ينشأ لغايةٍ ما بكل تأكيد "[٩]،فطبيعة هذا الكون هي الفوضى منذ الأزل، وأما هذا النظام البادي لنا في سير الكواكب إنما هوفي حقيقته استثناء، ولذلك فليس هناك عناية إلهية ترعى

---

(١) نيتشه(فريدريك) : ولد في (بروسيا)، كان له أثر عميق في فلسفة القارة الأوربية وأدبها، كان صديقاً لفاغنر (الموسيقي المعروف) ثم هجره ، أصيب بانهيار عقلي وجثماني عام ١٨٨٩ م وبقي مجنوناً حتى وفاته، من كتبه (مولد المأساة)و(إنساني إلى أقصى حد) و (هكذا تكلم زرادشت). انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة :د.عبدالمنعم الحفني،١٤٣٧/٢ ، ١٤٣٨.

(٢) انظر المفكرون من سقراط إلى سارتر :هنري ودانالي توماس، ت:عثمان نويّه،ص ٣٩٧ ، ٣٩٨.

(٣) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٣٥٩.

(٤) انظر (هل وجود الله ينفي وجود الشر ؟) :كارمن ، مقالة نشرت في منتدى سوريا.

(٥) أصل الأخلاق وفصلها : نيتشه ، ت: حسن قبيسي،ص ٣٨ ، ٣٩.

(٦) انظر العلم المرح :نيتشه ، ت:حسان بورقية ومحمد الناجي، ص ١٣٠.

(٧) المذاهب الفلسفية : د.عادل العوا ، ص ٣٣٨.

(٨) انظر كواشف زيوف : د.عبدالرحمن الميداني ، ص ٤٦٧.

(٩) العلم المرح :نيتشه ص ١٢٢.

المخلوقات كما يتوهم كثير من الناس[١]، فـ"ما أوجدت العوالم الأخرى في هذا العالم سوى الآلام والشعور بالعجز .." [٢]، وما دام الناس قد وُجدوا في هذه الحياة فلا مهرب لهم من الشقاء والتعاسة " أين المفر من نهر الحياة الجارف ...ما الحياة إلا عبارة عن عقاب "[٣]،والوافدون الجدد إلى هذه الدنيا لا دور لهم إلا زيادة الشقاء" كل مولود جديد يأتي برجس إلى العالم "[٤]، ويحكي عن نفسه أن مشكلة الشر حيّرته مذ كان عمره ثلاثة عشر عاماً[٥].

كان يرفض فكرة الألوهية لأنها " عقبة تحول دون تأكيد الإنسان ذاته، وطالما أن فوق البشر آلهة يؤمنون بها، فسوف يكون هذا الإيمان على حساب تقدير البشر لأنفسهم، وثقتهم بها، فلا بد من إزاحة هذه العقبة لرفع شأن الإنسان، حتى يصبح هذا الإنسان عينه أسمى الكائنات جميعاً"[٦]، ثم يهتاج حماسه أكثر فيصيح: " مات الإله[٧]، وقد قتلناه، وإن الإنسانية اليوم تشيعه بمأتمٍ حافلٍ"[٨].

ويذهب **نيتشه** إلى أن الإنسان الذي يصبر على شرور الحياة وآلامها طامعاً بحياة أخرى خالدة ينال فيها جزاءً عادلاً هو إنسان مخطئ؛ إذ هو أشبه ما يكون بالعبد الذليل الضعيف أمام سيده، يقول:"إنما العبد وحده يعترف بوجود سيده ويتعزى عن آلامه الأرضية إذ يحلم بعدالة سامية مطلقة، وبجزاء وفاق في عالم الخلود "[٩]، ويقول أيضا:" لا تصدقوا من يمنونكم بآمال تتعالى فوقها(أي الأرض)،إنهم يعللونكم بالمحال فيدسون لكم السم"[١٠].

وبما أنه ليس هناك إله أو آخرة ، فالأخلاق نسبية إلى حد كبير؛ فما هوصحيح لإنسان أولعصر ما قد يكونخاطئاً بالنسبة لإنسان آخر أولعصر آخر، فليست هناك معايير أخلاقية ثابتة، وللناس الحرية في أن يبحثوا عن الخير لأنفسهم وفقاً لأحكامهم الخاصة " ليست هناك حقائق أخلاقية، ليست الأخلاق إلا تفسيراً خاطئاً لبعضالظواهر"[١١].

---

(١) العلم المرح: نيتشه، ص ٢٢٣.

(٢) هكذا تكلم زرادشت : نيتشه ،ت:فليكس فارس ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٨.

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤٥.

(٥) انظر أصل الأخلاق وفصلها : نيتشه، ص ١١ .

(٦) انظر المذاهب الفلسفية:د.عادل العوا، ص٣٤٣، وانظر *A Companion to Nietzsche:Keith Ansell Pearson , P ١٦.*

(٧) من كتبه (غروب الآلهة) وفيه يعلن نيتشه أن الآلهة قد ماتت ، ويطالب الإنسان بأن يخرج الآلهة من قلبه ويقبرها في حفرة عميقة ويضع على بابها حجراً ثقيلاً حتى لا تخرج ثانية فتفسد حياة الإنسان .انظر(المفكر الغربي نيتشه:نقد علمي لفكره): سليمان الخراشي، مقالة نشرت في منتدى التوحيد،*www.eltwhed.com*.

(٨) المذاهب الفلسفية :د.عادل العوا ، ص ٣٤٤.

(٩) انظر المرجع السابق، ص ٣٤٥.

(١٠) هكذا تكلم زرادشت : نيتشه، ص ٦.

(١١) أفول الأصنام : نيتشه ، ص ٥٧ ، وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة :رايت ، ص ٣٦٣.

يصف **نيتشه** إلهه بصفات عديدة تلخص موقفه من فكرة الشر، فيقول شعراً:" هاأنذا طريحٌ أتلوى بعذاب الأبد تحت ضرباتك، أيها الصياد العاتي، أنت أيها الإله المجهول ...أفما مللت عذاب بني الإنسان ...لماذا تعذبني أيها الإله الساخر المجهول؟...فيالك من حسود...أنت أيها الإله الجلّاد...إنك ترهقني بتعذيبك "(١).

وعلى الرغم من كل ما سبق من اتهامه للإله بأنه شرير وظالم وجلّاد وحسود...إلخ، فإنه في كتابه(إنساني..إنساني إلى أقصى درجة) يقول:" إننا لا نتهم الطبيعة بأنها لا أخلاقية عندما ترسل لنا عواصف رعدية وتجعلنا مبللين، ولكن لماذا ندعوالإنسان المؤذي لا أخلاقياً؟ لأننا في الحالة الأولى نحن أمام حتمية، وفي الحالة الثانية نحن أمام استخدام طوعي للإرادة الحرة "(٢)، ويقول في الكتاب نفسه:" عندما يصيبنا سوء حظ، فبإمكاننا أن نتغلب عليه إما بإزالة سببه، أوبتغيير أثره في أحاسيسنا "(٣).

---

(١) هكذا تكلم زرادشت : نيتشه ، ص ٢١٣ ، ٢١٤.

(٢) *P١٠٢,from:If God is all powerful and good, where does evil come from?: Wayne Ferguson,www.kheper.net.*

(٣) *Ibid,p١٠٨.*

المطلب الثامن:

برتراند رسل *Russell* (١٨٧٢ – ١٩٧٠ م)[١]

يُعد **رسل** من أكبر رواد الفلسفة والسلام في القرن العشرين. وثق بالعقل وثوقاً مطلقاً فجعله مقياسه الذي يحتكم إليه في كل شيء، قاس به الأخلاق والقيم والعقائد الدينية والسلوك والغرائز والعواطف[٢]. وقاده عقله إلى رفض المسيحية؛ إذ وجد فيها كثيراً مما يستعصي على المنطق الرياضي فنبذها، ولم يبقِ منها إلا على قانونها الأخلاقي[٣].

في سيرته التي كتبها عن نفسه، يخبرنا أنه كان يؤمن بوجود الله إلى أن قرأ كلاماً لـ**ستيوارت مل** شكك فيه بوجود الله، فاستقر منه الرأي – عندئذ – أن برهان العلة الأولى الذي كان يعتمد عليه في إثبات وجود الله برهان باطل[٤]. وهو لا يعد هذا الإنكار لوجود الله خطأً، إذ يقول:" يجب أن نسلم بأننا لا نستطيع أبداً أن نبرهن على وجود أشياء غير ذواتنا وإدراكاتنا، ولا ينتج أي خطأ منطقي من افتراض أن العالم يتكون من ذاتي وأفكاري وشعوري وإحساسي، وأن كل ما عداي مجرد خيال "[٥].

نظر **رسل** في الكون فلم يسغ أن يكون ثمت إله في مثل هذا العالم المتناقض الذي هو جدير أن يكون صنيعة شيطان هازل، والرجل الحر- برأيه – لن يعبد قوى العالم الخارجي الغشوم (القوى العمياء) التي تتابع هجومها دون رحمة، وليست تقصد من هجومها إلى غاية معلومة، فهي تقوض له كل ما يبني من دور وكل ما يشيد من مدن، ولكنه سيعبد ما في باطنه من قوى خلاقة مبدعة، إنه لمن المثير للشجن ولشدة الإحساس بالهوان، ذاك التاريخ الطويل من القسوة والقهر، من الإذلال والتضحيات الإنسانية الكبيرة، الذي تم تحمله على أمل إرضاء الآلهة[٦] .

في كتابه " فلسفتي ..كيف تطورت " سئل : وماذا لو كان هناك إله يا **رسل**، وستقف أمامه وستحاسب؟ فأجاب: لو كان هناك إله سأقول له: سيدي، لماذا أخفيت نفسك خلف كل هذا الشر الموجود في العالم[٧]؟ وردّ على **ليبنتز** في قولته المشهورة أن عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة[٨] .

لقد رأى **رسل** في وجود الشر الطبيعي برهاناً ساطعاً على عدم وجود إله، ومن ثم سخر من أولئك الذين يجدون في هذا العالم مع ما فيه من شرور ومثالب دليلاً على وجود إله كامل القدرة والمعرفة، فلو كان هذا الإله يملك هذه الصفات لما احتاج إلى ملايين السنين

---

(١) رسل(برتراند) : ولد في (إنكلترة) من أسرة عريقة، فقد أبويه وعمره لم يتجاوز الثلاث سنين، درس الرياضيات والتربية والفلسفة والأخلاق والفلسفة ، قاد سنة ١٩٦١م دعوة إلى حظر السلاح النووي، ظل طوال عمره داعية للسلام ، من أشهر كتبه (مشاكل الفلسفة) و (فلسفتي ..كيف تطورت) انظر موسوعة الفلاسفة:د.فيصل عباس، ص٢٣٩-٢٤٠ .

(٢) انظر أدباء فازوا بجائزة نوبل : د.أنيس فهمي إقلاديوس ، ص ٩٩ .

(٣) انظر قصة الفلسفة الحديثة : د. زكي نجيب محمود واحمد أمين ، ص ٥٩٥ .

(٤) *See Why I Am Not a Christian: Bertrand Russell,p*١٦.٦ وانظر رسل : د.زكي نجيب محمود ، ص ١٥ ،

(٥) مشاكل الفلسفة : رسل ، ص ٢٢ .

(٦) انظر عبادة الإنسان الحر: رسل، ت: محمد قدري عمارة ، ص ١١ .

(٧) انظر مقالة (لماذا خلق الله الشر؟) ، منتدى حراس العقيدة، *www.Hurras.com* .

(٨) *A Critical Exposition of the Philosophy of Leibniz: Russell,p*١٨٤.

لصنع عالمٍ على هذا النحو، فالعالم إذاً، يقف وراء مصادفة بحتة لا قصد إلهي، ولو افترضناه نتيجة قصد ما، فلا بد أن يكون قصد عدو حاقد[١] .

ويقرر أنه إن كان بالإمكان شرح الشر الناجم عن الخطيئة بأنه نتيجة حرية الإرادة، فإن هذا لا يحل مشكلة وجود الشر في العالم السابق على وجود الإنسان، ويقصد الشر الطبيعي الذي لا يتوقف حدوثه على حرية الإنسان أو عدمها[٢]. ويستدل من هذا الذي سبق على أن خالق الكون فيه جزء من الشر فيقول:" إن الكائن القادر على كل شيء، والذي خلق عالماً يحتوي على الشر الذي لا يرجع إلى الخطيئة، لا بد وأن يحتوي هو نفسه على قدر من الشر "[٣] .

ولئن كان الشر الطبيعي وحده كافياً عنده لينفي وجود الإله، فإنه مع ذلك يركّز أكثر على الشر الخلقي بمظاهره المختلفة، خصوصاً ظلم الناس بعضهم لبعض الذي يبلغ ذروته في الحروب، إذ" تنفق الدول المتحضرة أكثر من نصف مداخيلها على تعزيز آلة الدمار"[٤]. ويزيد **رسل**معترضاً على من يستدل بجمال الكون وتنظيمه على وجود خالقٍ له، لماذا لم ينجب هذا الإله أفضل من الفاشيين، أو السير وينستون تشرتشل؟[٥].

لم يبق إلا أن نشير إلى أن **رسل** فيلسوف متشائم، فيقول عن نفسه:" أنا لم أُولد سعيداً، وكطفل[٦]كانت ترنيمتي المفضلة (تعبت من الأرض وأثقلتني الخطايا)" [٧] . ويقول أيضاً: " إن صرخات الألم تتردد أصداؤها في قلبي. إنّ وجود أطفال يتضورون جوعاً، وضحايا يتعذبون على أيدي الطغاة، وشيوخ عاجزين قد أصبحوا عبئاً مقيتاً على أبنائهم، إن وجود عالم من الوحدة والبؤس والألم لممّا يحيل الحياة الإنسانية – كما ينبغي أن تكون – إلى سخريةٍ للساخرين. إنني أتوق إلى تخفيف وطأة الشر، ولكنني لا أستطيع، فإنني أعاني منه أنا الآخر"[٨].

وحياة الإنسان هي مشوار طويل عبر الليل، مليء بالمتاعب والآلام، تحيطه الأشباح غير المرئية[٩]. وبلغ به التشاؤم حدّاً جعله يقرر أن الحيوان أكثر سعادة من بني الإنسان[١٠] .

---

(١) انظر مقدمة في فلسفة الدين: أديب صعب، ص ٢٠٣.

(٢) انظر الدين والعلم : رسل ، ص ١٩٣ .

(٣) المرجع السابق : ص ١٩٤ .

(٤) انظر آمال جديدة في عالم متغير:رسل،ص ٢ ، ٣،وانظر مقدمة في فلسفة الدين:أديب صعب،ص٢٠٣ .

(٥) *See Why I Am Not a Christian:Russell,p٩.*

(٦) الصواب أن يقال بصفتي طفلاً.

(٧) الفوز بالسعادة : رسل ، ص ٢٥ .

(٨) *Augustine and the Problem of Evil: Giedrius Saulytis,p١.* ٢٢ . وانظر أعلام الفكر الفلسفي المعاصر : فؤاد كامل، ص .

(٩) عبادة الإنسان الحر: رسل، ص ١٨.

(١٠) انظر الله بين الإيمان والإلحاد : صدر الدين القبانجي، ص ٨٩ .

المطلب التاسع:

ألبير كامو Camus (١٩١٣ – ١٩٦٠)[١]

يعد **كامو** من أبرز رواد مذهب العبث، فقد هزّ عقله وقلبه–بتصوره– عبث الحياة وتفاهتها وعدم خضوعها لمنطق العقل. لم يكن قد أكمل عامه الأول عندما مات أبوه نتيجة إصابته في الحرب العالمية الأولى، فتيتّم الطفل، ونشأ بعد ذلك في معمعة فظائع الحرب، يقول عن نشأته هذه:" نشأت كما نشأ كل من هم في سني، على طبول الحرب، ولم يتوقف تاريخنا منذ ذلك الحين عن أن يكون سلسلة من القتل والظلم والعنف "[٢].

عرف هذا الغلام الصغير بعد موت أبيه البؤس والحرمان إلى أن أصيب في عام (١٩٣٠م) بالسلّ، فازداد بؤسه وشقاؤه وعانى من المرض عناءً شديداً[٣]، وكان لهذا أثره في حياته وطريقة تفكيره وتعاطفه مع الشعوب المقهورة والمظلومة.

عاش هذا الأديب في (وهران) الجزائرية يبث نوعاً من الآداب التي تبعث على التشاؤم في الأذهان، وكتب في قصصه ومسرحياته ومقالاته كلمات تدعو إلى مقاومة الظلم والعبث، وأن هذه السخرية التي تحيط بنا ترغمنا على الانتحار والضياع والموت دون ثمن[٤].

المشكلة الكبرى في نظر **كامو** هي مشكلة الشر في العالم، وإنه ليشعر بشعور مشابه لشعور القديس **أوغسطين** قبل اعتناقه المسيحية عندما قال: " كنت أبحث من أين أتى الشر، فلم أخرج من ذلك بطائل "، وبما أن **كامو** غير مؤمن فإن المشكلة تصبح عنده :كيف يحارب الإنسان الشر " دون أن يرفع رأسه إلى السماء حيث الله صامت "؟[٥] ، هذا الشر الذي لا يمكن للعقل أوالقلب تبريره بحال من الأحوال[٦].

أول أعماله المسرحية كانت (كاليجولا) وفيها يُصدم كاليجولا – الإمبراطور الروماني القديم – صدمة قوية أثّرت في تفكيره وفي وجهة نظره في الحياة تأثيراً خطيراً، ومن ثم اكتشف أن هذا العالم على حالته هذه غير مرض، فالناس يموتون وهم غير سعداء، " إن العالم على ما هوعليه لا يُطاق "[٧].

ومن أعماله المشهورة (أسطورة سيزيف)، وهي أسطورة إغريقية قديمة،فيها تحكم الآلهة على سيزيف بأن يحمل حجراً ثقيلاً ويصعد به إلى قمة الجبل، ولكن قبل أن يصل سيزيف إلى قمة الجبل يهوي الحجر من بين يديه إلى سفح الجبل، فيضطر للنزول إلى الأرض

---

(١)ألبير كامو : ولد في (الجزائر) ، وجودي فرنسي، انخرط في المقاومة الفرنسية أثناء الاحتلال الألماني، كان من المدافعين عن حق الشعوب في تقرير مصيرها، تقوم فلسفته على كتابين أسطورة سيزيف والمتمرد ،ومن رواياته المشهورة (الطاعون)و(الغريب) اشتهر بنزعته العبثية، توفي بحادث سيارة. انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة : د. عبدالمنعم الحفني ، ٢/ ١٠٧٩.

(٢) انظر أدباء فازوا بجائزة نوبل: د. أنيس فهمي إقلاديوس، ص ١١٧.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ١١٨.

(٤) انظر أعلام في الأدب العالمي : علي عبدالفتاح، ص ٣٢٨ ، ٣٢٩.

(٥) انظر دراسات في الفلسفة الوجودية : د.عبدالرحمن بدوي، ص ٢١٧.

(٦) انظر كاموالتمرد: روبيردولوبيه، ت: سهيل إدريس، ص ٩٤ .

(٧) انظر أدباء فازوا بجائزة نوبل : د.أنيس فهمي إقلاديوس، ص ١٢٠.

ليلتقط الحجر ويصعد به إلى القمة مرة أخرى، وتتكرر المأساة ثانية فيسقط منه الحجر، وهكذا يظل سيزيف صاعداً الجبل وهابطاً منه إلى ما لا نهاية، دون أن يصل إلى وضع الحجر على قمة الجبل[١].

وربما كانت هذه الرواية أول إعلان من جانب **كامو**عن عبثية الحياة؛ هذه الحياة التي يتعب فيها الإنسان ويكدح لتحقيق هدفه ولكن دون جدوى، لذلك ينصح الناسَ ألا ينتظروا شيئاً من الحياة، وأن يتقبلوا عبثها وينهمكوا فيه[٢] .

أما (الطاعون) فهي أكثر رواية عالج فيها مشكلة الشر من خلال وصف وباء الطاعون الذي حلّ بمدينة وهران، وتعد من أشهر رواياته التي أكّد فيها فكرة القدرية[٣]والعبثية؛ فالمرء في عالم لا معقول، ولا جدوى من النضال أوالكفاح أوحتى الصراع مع الحياة، فليس أمام الإنسان إلا الاستسلام، وفكرة الرواية الرئيسة هي العذاب والآلام التي تحيق بالبشر.

الأب بانلو – أحد شخصيات المسرحية – كان يلقي الخطب والدروس ليحمل الناس على الصبر والتمسك بالدين، محاولاً تقديم وجهة نظر دينية بأن هذا الطاعون غضب من الله، وأن فهم ذلك يتجاوز حدود العقل البشري. والذي حمل الكاهن بانلوعلى هذا التفسير هومحاولته التوفيق بين وجود الله وقدرته، ووجود هذا الطاعون الذي أدى بكثير من الناس إلى التشكيك بوجود الله أوقدرته، وخاصة الطبيب ريو – صديق الكاهن – الذي أبى أن يحب نظام هذا الكون الذي يتعرض فيه الأطفال للتعذيب " إن فكرتي عن الحب بعيدة عن ذلك " يقصد ذاك الحب النابع من الإيمان بالله، ثم يتابع قائلاً : " سأظل حتى الممات أرفض أن أحب هذا العالم الذي يُلقى فيه بالأطفال تحت عجلات التعذيب "[٤]،وأخيراً يعتذر الطبيب ريوللكاهن بأنه لو آمن بإله كلي القدرة، لكفّ عن شفاء المرضى مسنداً تلك المهمة إليه [٥].

ويبدو أن الأب بانلوقد تأثر بأفكار الطبيب ريو، لذلك فإننا نلحظ في لهجته وخطابه اعتراضاً على قدر الله وخاصة في مسألة موت الأطفال: " إنه لا ينبغي لنا أن نحاول تفسير ظاهرة الطاعون، ولكن يجب علينا أن نلج في استنباط ما تنطوي عليه من دروس"،ويتابع الأب بانلوحديثه عن صعوبة تفسير الشر، وخاصة تعذيب وموت الأطفال فيقول:" إنه توجد أشياء من الممكن تفسيرها بالنسبة لله، وأخرى لا يمكن تفسيرها ... ولكن الصعوبة تبدأ حينما يتعلق الأمر بالشر وحده، فهناك مثلاً الشر الذي يبدوضرورياً، والشر الذي يبدوعديم الفائدة ... هناك موت أحد الأطفال ... فليس هناك ما يبرر تعذيب الطفل، والحقيقة أنه ليس هناك على ظهر الأرض ما هو أهم من تعذيب طفل"[٦].

---

(١)*See Existentialism For Dummies: Panza and Gale, p ١٠٣.*

(٢) *See Between Absurdity and the Playwright: William I. Oliver,p ٢٢٥*

وانظر دستوفسكي: دراسات في أدبه وفكره :غيورغي فريدلندر وآخرون، ت: نزار عيون السود، ص ٢٥٤.

(٣) فكرة القدرية التي يعبر عنها ألبير كامو أقرتها من قبل المذاهب اليونانية وعبر عنها الأدب اليوناني في أعمال سوفوكليس (الملك أوديب) وغيرها، حيث يظهر الإنسان خلالها بلا إرادة أوقوة ، فكل شيء قد تقرر في الغيب ولا يملك الإنسان الحرية الكاملة لرفض واقعه،انظر أعلام في الأدب العالمي:علي عبد الفتاح، ص٣٢٨.

(٤) الطاعون : ألبير كامو، ت:كوثر عبدالسلام البحيري ، ص ٢٨٢.

(٥) انظر كاموالتمرد: روبيردولوبيه، ت: سهيل إدريس، ص ٩٧.

(٦) الطاعون : ألبير كامي ، ت:كوثر عبدالسلام البحيري، ص ٢٨٨.

من رواياته المشهورة أيضاً رواية (الغريب) التي حصل بسببها على جائزة نوبل للآداب، يبث **كامو**فيها شكواه من هذا العالم الذي خلا من الإله وامتلأ بالأحزان قائلاً: " في عالم خبا فيه الوهم فجأة وانطفأ الضياء، يشعر الإنسان بالاغتراب فلا ذكريات هنالك ولا وطن مفقود ...ولا أمل في الوصول إلى أرض موعودة، كل شيء جائز طالما أن الإنسان يموت وأن الله غير موجود "[١].

ويعبّر **كامو**في روايته هذه عن عبثية هذا العالم، تلك العبثية التي جعلته يتمنى أن لوكان جماداً أوحيواناً حتى يستطيع التخلص من أعباء الحياة العبثية، فعندما يكون شيئاً ما جماداً أوحيواناً –مثلاً – فلن يكون هناك مجال لأن يفكر أويتألم من صعوبة الحياة " لست أعرف ما إذا كان لهذا العالم معنى يتجاوزه، غير أنني لا أعرف ذلك المعنى وأنه من المستحيل عليّ أن أعرفه... لوكنت شجرة بين الأشجار، قطة بين الحيوانات، لكان يمكن أن يكون لهذه الحياة معنى "[٢].

إن امتلاء هذا العالم بالشرور التي تحيق بالإنسان من كل جانب من جهة، وعبثية هذا الواقع المحيط بالإنسان من جهة أخرى، هذان العاملان يجعلان مسألة الانتحار طموحاً طبيعياً عند هذا الإنسان الذي يعيش في حياة لا معنى لها أبداً[٣].

وأختم الحديث عن **كامو**بقول له يلخص نظرته في قيمة الحياة، التي هي بنظره حياة تافهة لا تستحق أيّ قدر من العناية من هذا الإنسان الضعيف أمام المحن والمصائب، وما دام هذا الإنسان لا حول له ولا قوة أمام نوائب الدهر فليهدأ وليستسلم :" الحياة لا تستحق هذا العناء، تريث يا صديقي واهدأ، ليس هناك ما هوغالٍ أومثمر أوجديرٌ بالاهتمام، نحن نطفوعلى موجة القدر، وتسحقنا المحن فلا نملك أن نردها، وتذبحنا الكوارث فنهوي منعلٌ ممزقين "[٤].

---

(١) انظر الإسلام بين الشرق والغرب : بيجوفيتش، ص ١٣٢.

(٢) الغريب : ألبير كامو ، ت: فوزي عطوي ونديم مرعشلي ص٢١٧.

(٣) انظر دوستويفسكي : دراسات في أدبه وفكره :غيورغي فريدلندر وآخرون ، ت: نزار عيون السود، ص ٢٥٦.

(٤) أعلام في الأدب العالمي : علي عبدالفتاح، ص ٣٢٨.

المطلب العاشر:

سارتر Sartre (١٩٠٥ – ١٩٨٠ م)[١]

عندما احتلت الجيوش الألمانية فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، امتلأت تلك البلاد بالمعذبين، وكان من أكثرهم عذاباً رجل في أواسط الثلاثينيات من العمر،ذلك الرجل هو**سارتر** الذي اعتنق الفلسفة الوجودية فاقترنت باسمه. لم يكد **سارتر** يبلغ الثانية من العمر حتى توفي والده، ثم تزوجت أمه بعد ذلك تاركة طفلها لجده[٢].

اتخذ من الفن الروائي المسرحي وسيلة للتعبير عن أفكاره فيما يتعلق بالإله والكون والحياة. أول ما نلحظه في فلسفته أنه لا يعد مسألة وجود الله أوعدم وجوده مسألة ذات شأن، وهذا أبرز ما تتصف به وجوديته حيث إنها لا ترتكز على إثبات وجود الله أوعدمه ولا تكترث له[٣].

ولكنه كثيراً ما كان يصرّح بإلحاده مستدلاً بوجود الشر في الكون، ففي روايته(الغثيان) يذكر على لسان (روكنتان) أحد أبطال الرواية عدم وجود الله، ويذكر أن سبب الغثيان ليس بسبب الإفراط في الأكل والشرب الزائد عن حاجتنا فقط، بل بسبب وجود أشياء في الكون، ومنها الشر، ينبغي ألا توجد، ومن ثم فإن أي تبرير للشر ليس إلا تبريراً لعالم عبثي. والإيمان بالله يتخذ لدى بعض الناس ذريعة للهروب من تحمل أعباء الحرية، فالله في نظره غير موجود أوهوميت، وعلى الإنسان أن يتحمل – بعد أن حكم عليه أن يكون حراً – تبعات ذلك[٤].

إن الطابع العام لأعماله الأدبية من روايات ومسرحيات هوطابع اليأس والتشاؤم وعبثية هذه الحياة بكل ما فيها، وكل هذه الأفكار نجدها في رواية (الغثيان)، لذلك سنذكر بعض النصوص من هذه الرواية تبين لنا فكر هذا الفيلسوف.

وقبل أن ننقل هذه النصوص لا بد من أن نعرف شيئاً عنها، إن الهدف الرئيس من رواية "الغثيان" هوتسليط الضوء على الضجر والملل من عبث الوجود مع شعور بالخوف من الحياة وما فيها من مفاجآت، يصور سارتر بطل الرواية (روكنتان) كيف أضاع حوالي ثلاث سنوات من عمره قضاها في غثيان قاتل، وكيف كان يعد أيامه الزائلة يوماً تلوالآخر إلى أن وصل لمرحلة تمنى فيها لو أنه يستطيع أن يتوقف عن التفكير حتى يتوقف الوجود، فما كان منه إلا أن دخل في غثيان من جديد، ويحاول هذا البطل أن يتخلص من هذا الغثيان الرهيب من خلال التقرب من صديقته (آني) فهي الملاذ الأول والأخير له، لكنه تفاجأ أن صديقته لم تعره أي اهتمام وقابلته – بعد حوالي خمس سنوات من العذاب – بقسوة كبيرة حتى انتهت المقابلة بالطرد المباشر، فعاد إلى الغثيان من جديد.

---

(١) سارتر(جان بول) : ولد في (باريس)،أبرز فلاسفة الوجودية في عصره، كان روائياً ومسرحياً معروفاً، من أشهر أعماله الأدبية (الغثيان) و (الذباب) و (دروب الحرية)، وأهم أعماله الفلسفية على الإطلاق(الوجود والعدم) .انظر موسوعة الفلسفة والفلاسفة : د. عبدالمنعم الحفني ،٦٩٩/١ ، ٧٠٠.

(٢) انظر أدباء فازوا بجائزة نوبل : د.أنيس فهمي إقلاديوس ، ص ١٣٥.

(٣) انظر الفلسفة لكل الناس : د. عادل بكري،ص١٣٣.

(٤) انظر أقدم لك سارتر:فيليب تودي، هوارد ريد، ت:د.إمام عبد الفتاح إمام،ص٢٢–٣٣،وانظر قراءة نقدية في وجودية سارتر:د.علي حنفي محمود، ص ٣٣.

إن القارئ لروايته (الغثيان) يشعر بملل كبير أوبالأحرى بغثيان رهيب لا يستطيع معه أن يكمل الرواية، وهذا ليس غريباً؛ إذ إن هدف الرواية هوتصوير كم هي الطبيعة مملة وكذلك الحياة والناس، وكيف أن العلاقات الاجتماعية قائمة على الزيف، وبتعبير موجز : كل ما في الرواية يثير في النفس الإنسانية الغثيان[١] .

في النص الأول يقول **سارتر** :" كنت هنا جامداً مثلجاً غارقاً في نشوة فظيعة، ولكن في وسط هذه النشوة بالذات،كان شيء جديد يظهر، كنت أفهم الغثيان وأمتلكه...الشيء الجوهري هوعدم لزوم الوجود...وأحسب أن هناك أشخاصاً قد فهموا ذلك غير أنهم حاولوا أن يتغلبوا على عدم لزوم الوجود هذا بأن يخترعوا كائناً ضرورياً وسبباً لنفسه ....إن عدم لزوم الوجود ليس وهماً، ليس مظهراً يمكن تبديده ...وإذا اتفق لك أن أدركت هذا غار قلبك وأخذ كل شيء يعوم ...ذلك هوالغثيان "[٢]، في هذا النص تظهر فكرة اليأس والملل بوضوح، وكيف أن هذا اليأس من العالم دفع بعض الناس إلى اختراع إله يكون هوالعلة الأولى لجميع الموجودات، ففكرة وجود الله إذاً – برأي **سارتر**– قد اخترعها البشر لأسباب نفسية.

أما في النص الثاني فيصف **سارتر**غثيانه قائلاً" إن الغثيان ليس فيّ، فأنا أحسه هناك على الجدار،على الرافعتين،حولي في كل مكان "[٣]، فهنا يخيّم الغثيان؛ التشاؤم واليأس والملل، على الوجود كله،فهو مشاهد في كل مكان، حتى الجمادات التي لا تعقل قد أصابها شيء من هذا الغثيان القاتل .

ويؤكد في النص الثالث فكرة العبثية فيقول:" إن كلمة العبثية تُولد الآن تحت قلمي ...لم تكن العبثية فكرة في رأسي ولا لهاث صوت، وإنما كانت هذه الحية الطويلة الميتة عند قدمي، هذه الحية الخشبية.حية أوظفر أوجذر أومخلب نسر،كل هذا سواء ... إني وجدت مفتاح الكينونة، مفتاح غثياني، مفتاح حياتي نفسها، والواقع أن كل ما استطعت أن ألتقطه فيما بعد، تلخّص في هذه العبثية الأساسية"[٤].

في هذا النص الأخير ل**سارتر** تظهر فكرة العبثية واضحة جلية، فهي الأساس الذي بنيت عليه حياتنا، فلا معنى للحياة، إنما هي عبث في عبث، وليس هناك محل للسعادة في هذا الكون، ويلخص فكرة سارتر عن الناس وتشاؤمه من الحياة والتعايش معهم قولته المشهورةالتي أصبحت علماً عليه:" الجحيم هوالآخرون "[٥] .

فلسفة **سارتر** باختصار هي تعبير عن يأس الإنسان الأوربي في فترة ما بعد الحرب، وهذه الفلسفة تصور العالم عند كائن بلا إيمان أوعقيدة، بلا عائلة، وبغير هدف في الحياة[٦].

---

(١) انظر أدباء فازوا بجائزة نوبل : د.أنيس فهمي إقلاديوس، ص ١٣٩.

(٢) الغثيان : سارتر ، ص ١٨٥ ، ١٨٦.

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٢.

(٤) المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٣.

(٥) انظر الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر : جان فال، ص ١٦٢.

(٦) الفلسفة المعاصرة في أوربا : إ.م.بوشنسكي،ت: د.عزت قرني،ص٢٣٠.

في ختام هذا المبحث نجد أن فلاسفة الغرب قاموا بمحاولات لتفسير معضلة الشر، ونجد في هذه المحاولات من التباين ما يدعو للعجب، إذ نرى من بين هذه الحلول ما يدعونا إلى أن ننفي وجود الله بصراحة وجرأة شديدتين، زعماً من أصحابه أنه الحل الأسهل للمشكلة، ولا يعلم هؤلاء أنهم أثاروا إشكالات أعظم بإنكارهم وجود الله الذي منه تنبع حقائق الكون الأخرى، بينما نجد أن آخرين اعترفوا بوجود الإله الخالق البارئ ذي العلم المطلق والقدرة المطلقة، وطرف ثالث توسط بين الفريقين فطرح دعاته فكرة ألوهية محدودة.

وفي جانب آخر، نجد من بين أولئك الفلاسفة من قامت أفكاره كلها على التشاؤم من الحياة الدنيا بكل ما فيها من خيرات وشرور، ونرى أن آخرين نبذوا الدعوة إلى التشاؤم بإنكارهم وجود الشر وحضوا على التفاؤل حتى في أحلك الظروف، وطرف ثالث توسط بين التفاؤل والتشاؤم، فاعترفوا بوجود الشر وحضوا على مقاومته والعمل على تقليله.

وفي الفصل التالي سأقوم بمناقشة ما سبق من كلام الفلاسفة السابقين، حيث سأناقش فيه أهم الأفكار والآراء والحلول والاعتراضات الواردة في كلامهم، مع نقد وتحليل لأفكار المتشائمين، وسيكون هناك مقارنة بين الآراء والأفكار المتشابهة من جانب، ومقارنة مع وجهة النظر الإسلامية من جانب آخر، ومن ثم تحليل لأهم أسباب الخلاف.

الفصل الثاني:

التحليل والنقد

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: تمهيد في الفلسفة والدين

المبحث الثاني: مشكلة الشر وقضايا الألوهية

المبحث الثالث: حلول مشكلة الشر

المبحث الأول:

تمهيد في الفلسفة والدين

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الميتافيزيقا بين الفلسفة والدين

المطلب الثاني: موقف الفلاسفة من ظاهرة الوحي

المطلب الثالث: الدين الطبيعي

المطلب الرابع: موقف الإسلام من الفلسفة

لا بد قبل البدء بالمناقشة والردمن مقدمة نتناول فيها أصل الخلاف في حل المشكلات الميتافيزيقية (الغيبية) في الفلسفة والدين بين الفكرين الإسلامي والغربي، ومن ثم سيعلم القارئ الأسباب الحقيقية في الاختلاف الكبير بين الحل الإسلامي من جهة، والحلول الغربية الفلسفية واللاهوتية لمشكلة الشر من جهة أخرى.

المطلب الأول:

الميتافيزيقا بين الفلسفة والدين

بما أن مشكلة الشر تدخل ضمن بحوث الميتافيزيقا، فلا بد من كلمة عن كيفية تعامل كل من الفلسفة الغربية والعقيدة الإسلامية مع تلك المسائل.والميتافيزيقا أو (علم ما وراء الطبيعة) يقابل علم الغيبيات في العقيدة الإسلامية، وتشير هذه المصطلحات جميعاً إلى ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداهة العقل [١].

ولا بد لنا من عودة إلى القرون الوسطى[٢]، لندرك حقيقة العلاقة بين الدين والفلسفة، فحينما انحسرت سيطرة الكنيسة على الحياة بجوانبها كافة، صارت الفلسفة تتحرك في حرية تكاد تصل إلى حد الفوضى في اتخاذ المواقف ووضع النظريات[٣]، وظهر من المفكرين من نادى بأن مصدر الأديان والمعتقدات هوالإنسان نفسه، وعد هؤلاء الفلاسفة أنفسهم رجال علمٍ لا علاقة لهم بالدين، ولذلك فقد أباحوا لأنفسهم – باسم العلم – أن يقرروا ما يشاؤون من القضايا التي يرفضها الدين، فالدين بنظرهم له مجاله والعقل له مجاله، ولا يتدخل أحدهما في شؤون الآخر، لأن العناصر الغيبية في الدين ليست معقولة [٤].

---

(١)انظر مبادئ العقيدة الإسلامية: د. مصطفى الخن، ص ٢٨٥.

(٢) القرون الوسطى: أطلق المؤرخون الأوربيون اصطلاح "القرون الوسطى" على العصور التاريخية التي عاشتها أوربا منذ بداية القرن الرابع الميلادي حتى نهاية القرن الخامس عشر، انتقلت السلطة السياسية والدينية في روما إلى البابا"أسقف روما"، و قام الاقتصاد الزراعي في النظام الإقطاعي على استغلال طبقة أقنان الأرض، وطبعت التعاليم المسيحية الحياة السياسية والفكرية بطابعها الاستبدادي والخرافي، وذلك من خلال ملاحقة العلماء، والخلاصة كانت العصور الوسطى في أوربا عصور جهل وظلام، خلافاً للحضارة الإسلامية ذاك الوقت، انظر الحضارة الأوربية في العصور الوسطى: د.نعيم فرح، ص٩، ١٠.

(٣)انظر مصادر المعرفة في الدين والفلسفة:د. عبدالرحمن الزنيري، ص ١٢٤، وانظر قصة النزاع بين الفلسفة والدين:توفيق الطويل، ص ١٦٦ ، ١٦٧.

(٤)انظر تجديد الفكر العربي : د.زكي نجيب محمود ، ص ١٣٥.

المطلب الثاني:

موقف الفلاسفة من ظاهرة الوحي

وهناك أقوال لبعض فلاسفة الغرب تبين لنا بوضوح موقفهم من ظاهرة الوحي، فهذا **جون لوك***Locke* يتحدث عن موقفه من الوحي فيقول:" لم تبقَ حاجة أونفع للوحي في مثل هذه الأمور كلها، طالما أن الله أعطانا وسائل طبيعية أكثر يقيناً لنتوصل بها إلى معرفة هذه الأمور" [١]. ويقول **برتراند رسل** في كتابه مشاكل الفلسفة:" يبدو أن المعرفة التي تتعلق بالعالم ككل، لا يمكن أن نحصل عليها عن طريق الميتافيزيقا " [٢].

ويصرّح **ستيوارت مل** في مقاله (فائدة الدين) الذي نشر بعد وفاته: " إن الإيمان بما هومجاوز للطبيعة لم يعد ضرورياً، لكي يساعدنا على معرفة ما هوصحيح، أولكي يزودنا بدوافع لفعله"[٣]. أما**اسبينوزا**فإن غاية الوحي عنده محبة الله تعالى بصدق وإخلاص، ومحبة الناس وفعل الخير[٤]، أما مَن الذي يحدد فعل الخير، وما صفات الله ﷻ؟ وكيف نؤمن به؟ فليس الوحي هوالذي يحدد ذلك إنما هوالعقل[٥].

بينما اعتمد**كانط** على عقله في الإيمان الأخلاقي الذي جاء به على حساب الإيمان الديني النابع من الوحي الغيبي [٦]، في الوقت الذي لا يعترف فيه **هيوم** إلا بالحس مصدراً وحيداً للمعرفة، ولا يقرّ بأي مصدر آخر للمعارف سوى هذا المصدر المادي المحدود [٧].

---

(١) تكوين العقل الحديث: راندل،ت:د. جورج طعمة، ص٤٢٠، وانظر: *Rutherford,p١٠١ Early Modern Philosophy :*

(٢)ص ١٢١.

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٤١٧.

(٤) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة : اسبينوزا ، ص ١٩٥.

(٥) انظر المرجع السابق ، ص ٣٦٠.

(٦) انظر فلسفة كانط :إميل بوترو ، ص ٣٧٥ ، ٣٧٦.

(٧) انظر قصة الفلسفة الحديثة : زكي نجيب محمود وأحمد أمين،١/ ٢٣٣.

المطلب الثالث:

الدين الطبيعي [1]

تجدر الإشارة هنا إلى أن مذهباً دينياً ظهر في العالم الغربي، وتبناه عدد من الفلاسفة، هوالدين الطبيعي الذي يعتمد الإيمان به على قوانين الطبيعة وليس على أية ظواهر فوق طبيعية [2]. فالدين الطبيعي هو أي دين تقضي به طبيعة العقل وتؤيده، في مقابلة الدين التقليدي الذي يعتمد في أساسه على السلطة[3]، والفكرة الرئيسة التي يقوم عليها هذا المذهب هي رفض الوحي السماوي، ويضم الدين الطبيعي أو (دين التأليه أوالمؤلهة الطبيعيين) عدداً من الفلاسفة، أهمهم **لوك** و**فولتير** و**روسو**[4].

هذه هي نظرة بعض الفلاسفة الغربيين للوحي، وإن كنا نجد بينهم من يؤمن بالوحي، ويعتمد عليه في حل المشكلات الميتافيزيقية والفكرية التي تواجههم كـ**ديكارت** و**مالبرانش** و**ليبنتز** وغيرهم، إلا أن السمة الغالبة على التفكير الفلسفي الغربي هي رفض الوحي، والاعتماد على المصادر البشرية المحدودة، كالعقل والحس.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن بعض الفلاسفة ممن اعترفوا بعجزهم عن درك الحقائق الميتافيزيقية، لم يقبلوا طريقاً آخر لمعرفة مثل هذه المسائل كالوحي مثلاً، ودعا إلى هذه الفكرة دعاة مذهب الظواهر، إذ رأى هؤلاء أننا لا نستطيع أن نعرف شيئاً عن الحقيقة النهائية، فنحن لا نعرف إلا الظواهر[5].

---

(١)هو أبعد المذاهب الفلسفة الإلهية كلها عن التحديد ، وهومرادف لمذهب الإلحاد ؛ لأن مجرد افتراض وجود إله لا عمل له إلا أنه العلة الغائية للعالم ، يحول دون وقوف الإنسان من هذا الإله موقفاً دينياً أو أخلاقياً صريحاً ، اللهم إلا موقف مجرد التقديس ، فمذهب التأليه الطبيعي ومذهب الإلحاد يتفقان في تعطيل الإرادة الإلهية وكل تأثير لها في العالم، انظر المدخل إلى الفلسفة :أزفلد كوليه، ص ٢٣٦ .

(٢) انظر الإلحاد في الغرب : رمسيس عوض ، ص ١٢١.

(٣) انظر المدخل إلى الفلسفة : أزفلد كوليه ، ت: أبوالعلا عفيفي،ص٢٤٧.

(٤) انظر المرجع السابق ، ص ٢٤٨.

(٥)انظر الميتافيزيقا:د.إمام عبدالفتاح إمام، ص ٣٠ ، ٣١.

المطلب الرابع:

موقف الإسلام من الفلسفة

لا تعد الفلسفة في الإسلام مصدراً من مصادر التشريع أوالمعرفة للأسباب الآتية:

١- على الرغم مما تسعى إليه الفلسفة من أفكار تجاوز بها حدود الزمان والمكان، فإنها لا تستطيع أن تتخلص من آثار البيئة والظروف التي تحيط بأصحابها، ولذلك فإننا نجد أن الفلسفة ليست شيئاً واحداً أوصورة واحدة، بل إنها تختلف بحسب اختلاف ظروف نشأتها[١]، ومن هنا، فإن الفلاسفة كلما حاولوا حل مشكلة من المشاكل تعقدت أكثر، وخاصة إذا كانت صعبة الحل كمشكلة الشر مثلاً، وذلك لأن كل فيلسوف يحاول أن يبتدع حلاً قائماً على أصول مذهبه مثالياً كان أووجودياً أوغير ذلك، وهذا خلاف ما عليه الوحي من الشمولية للزمان والمكان.

٢- الفلسفة تختلف بحسب المنهج الذي تقوم عليه، ويترتب على ذلك كثرة الآراء واختلافها، بل وتعارضها، ولا حرج على الفيلسوف إذا خالف الآخرين أوخالفوه، ولكن الحرج يصيب ذلك القارئ الذي يصطدم بما في الفلسفة من اتجاهات متعارضة وأدلة متناقضة[٢].

٣- تتسم الفلسفة بأنها ذات طابع نظري يتمثل في ذلك النشاط العقلي العاجز عن التأثير أوالتغيير في سلوك البشر،أما الدين فإنه قادر على مخاطبة عقل الإنسان ووجدانه، والتأثير في شعوره وإرادته، ومن ثم فهو قادر على تغيير فكره وسلوكه [٣].

٤-أما العقل- الذي رأى فيه كثير من الفلاسفة بديلاً معصوماً عن الوحي- فإن الإسلام لا ينكر أنه نعمة عظيمة وجوهرة نفيسة، ولكنه مع ذلك غير كاف لإرشاد الناس إلى مصالحهم في الدنيا والآخرة، فالعقل ميزان صحيح، إلا أنه من العسير عليه أن يدرك حقائق التوحيد والنبوة والآخرة، وحقيقة الصفات الإلهية، وحل مشكلة ميتافيزيقية كبيرة كمشكلة الشر، فطاقة العقل هي كطاقة السمع والبصر البشريين، وكل هذه الطاقات محدودة، والعقل والإيمان ليسا منهجين متضادين حتى نرفض أحدهما لمصلحة الآخر.

ومهما يكن من أمر، فإن من أهم أسباب رفض الفلاسفة للوحي هوما وجدوه في الكتاب المقدس من تناقضات مع مكتشفات العلم، ولكن هؤلاء الفلاسفة ما كلفوا أنفسهم أن يحاولوا معرفة الفرق بين الوحي الذي نزل على محمد ﷺ وبين الكتاب المقدس عندهم والذي ثبت تحريفه عند كل ذي عقل غير متعصب.

---

(١) انظر دراسات في العقيدة الإسلامية : عبدالحميد عبدالمنعم مدكور ،ص ١٠١.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٣)انظر المرجع السابق، ص ١٠٣.

يقول د.البوطي (ولد:١٩٢٩م) ملخّصاً الفرق بين الدين والفلسفة:" إن حدس الفلاسفة يستند إلى مجرد التخيلات والأوهام التي تساق إلى ما وراء مجالاتها، ويحاول أن يحمل العقل أكثر من طاقته، فلا يأتي هذا الجهد وذاك إلا بأفكار مضطربة وافتراضات وهمية مهزوزة، أما النص القرآني فكلام رب العالمين يتحدث عن ذاته قائلاً:**ژ** □ □ □

المبحث الثاني:

مشكلة الشر وقضايا الألوهية

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: وجود الله تعالى

المطلب الثاني: موت الإله

المطلب الثالث: صفات الله تعالى

المطلب الرابع: ظاهرة العناية الإلهية

من خلال ما سبق من كلام الفلاسفة عن مشكلة الشر ومحاولتهم التوفيق بين وجود الله وقدرته المطلقة ووجود الشر رأينا تخبطاً كبيراً في مسألة الألوهية من حيث إثبات وجود الله وإثبات صفاته، وسيكون الكلام في هذا المبحث عن مسألة الألوهية في ضوء مشكلة الشر في أربعة مطالب: المطلب الأول: وجود الله تعالى، المطلب الثاني: موت الإله، المطلب الثالث: صفات الله تعالى، المطلب الرابع: ظاهرة العناية الإلهية.

المطلب الأول:

وجود الله

وجد بعض الفلاسفة صعوبة في التوفيق بين وجود إله قادر ورحيم من جهة، وبين وجود الشر من جهة أخرى، فأنكر بعضهم وجوده تعالى، ومن هؤلاء **فولتير** و**دولباخ** و**شوبنهور** و**كاموو سارتر** و**دستوفسكي** و**نيتشه** و**رسل**، و**جوليوسيزار فانيني** والإيطالي **بومبوناتزي**(ت:١٥٢٥ م) الذي يقول: "لا يمكن التوفيق بين الإيمان بوجود الله والعناية الإلهية وبين الإيمان في الوقت نفسه بالحرية الإنسانية "[١].

وإن كان إنكار هؤلاء الفلاسفة متفاوتاً بين منكر صريح كـ**دولباخ**، وبين متشكك وحائر كـ**فولتير**، وبين من أنكر وجود الله إنكاراً صريحاً لحينٍ من الزمن لسبب ما، ثم عاد إلى الإيمان به كـ**دستوفسكي**، وإن هذا الاختلاف البيّن بين هؤلاء الفلاسفة يشعر بأن موقفهم موقف نفسي قبل أن يكون موقفاً علمياً نابعاً منمنطق سليم .

ونبدأ بـ**فولتير**، أكثر الفلاسفة حيرة في مشكلة الشر ووجود الله، فهو ليس من أولئك الذين أنكروا وجود الله تعالى إنكاراً صريحاً، وإن كان في كلامه سخرية من هذا الكون بما فيه من شرور، ومن خالق هذا الكون كيف يترك مخلوقاته تعاني ولا يفعل لها شيئاً، والذي يظهر من دراسة فلسفة هذا الرجل وآرائه أنه مؤمن بوجود الله من حيث الأصل، إلا أن مشكلة الشر كانت تسبب له حيرة شديدة في فهم حقائق الكون.

وكأننا نلمح ونحس بصوت الفطرة يناديه من الأعماق أن هناك إلهاً خالقاً للكون، ولكنه كثيراً ما كان يجعل أصابعه في أذنيه لئلا يسمع هذا النداء، فنراه أحياناً يصمّ السمع عن ذلك النداء الإيماني فيعلوصوته في جحود الإله وخاصة في أوقات الشدائدوالمحن كفترة زلزال (لشبونة)، ولكنه في أحيانٍ أخرى يضعف كبرياؤه فلا يستطيع إلا أن يعترف بخالق الكون ويقول:" لولم يكن لله وجود لوجب اختراعه "[٢].

يعلق **كريسون**Cresson على موقف هذا الفيلسوف من مسألة الألوهية والشر بأن **فولتير**" ليس ملحداً ولكنه كافرٌ زنديقٌ، فإيمانه بالله يقوم على محاكمات مجردة وسخريات متكلفة"[٣].

---

(١) الإلحاد في الغرب : رمسيس عوض ، ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩ .

(٣) فولتير : كريسون ، ص ٩١ ، ٩٢.

وربما وُصف **فولتير** بالإلحاد مع أنه في حقيقة الأمر ليس ملحداً بالمعنى الحرفي للكلمة، ف**فولتير** ومثله **هيوم** كانا يؤمنان بوجود الله، ومع ذلك فقد كانا من الشكّاك الدينيين، فهما لم يكونا مؤمنين بإله يشبه الإله المسيحي في العصر الوسيط[١].

أما **شوبنهور** و**سارتر** و**رسل** و**كامو**فلن نطيل الكلام في تحليل حقيقة إلحادهم، فالأستاذ علي عزت بيجوفيتش (ولد١٩٢٥م) يلخص لنا حكايتهم بأن إلحاد هؤلاء الفلاسفة –في الحقيقة– ليس إلحاداً عقلياً يرتدي أدلة عقلية وعلمية [٢]، لكنه إلحاد اليأس نتيجة لوجود شرور في هذا العالم لم يدركوا حكمة وجودها[٣].

فالإلحاد في أغلب حالاته هوموقف نفسي وليس موقفاً عقلياً، وإن كان هؤلاء الملحدون أحياناً يحاولون إلباس إلحادهم لبوس العلم مستخدمين عباراتٍ وألفاظاً توهم أغلب القراء من العوام أنها أدلة علمية، والحقيقة أنه ليس للإلحاد أي دليل، غير مجرد سفسطات وتخيلات تقوم في رؤوس أصحابها فقط.

وهذا النوع من الإلحاد، هوقريب من فعل أولئك الذين يعبدون الله على حرفٍ، فكثير من الناس مَن يؤمنون ويكفرون وفق ما يصيبهم من عسر ويسر، حتى من بين المؤمنين أنفسهم نجد من يجتهدون في الطاعة حال اليسر ويقصّرون في العسر، يقول الله تعالى: ﴿ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ﴾[الحج: ١١] .

أما **دستوفسكي** فإنه لا يختلف عن أولئك الذين كفروا بالله بسبب نوائب الدهر، ولكن الفرق بينه وبين أولئك السابقين أنه لم يستمر في إلحاده، وإنما هي فترة محدودة في حياته حين مات أبوه وأمه، ومن ثم زوجتهوابنته وابنه، فلم يستطع تحمل هذه المصائب، إضافة إلى ما عاناه في حياته من شدائد مختلفة،ويدل على هذا أنه قبل موته بساعات دعا أولاده ليوصيهم وصيته الأخيرة قائلاً لهم: " ليكن اعتمادكم على الله مطلقاً ولا تيأسوا من غفرانه، إنني أحبكم كثيراً، ولكن حبي ليسشيئاً إلى جانب حب الله للناس "[٤].

ومن أشهر الفلاسفة اللادينيين المعاصرين الذين أنكروا وجود الله بسبب مشكلة الشر**ماكي***Mackie* (١٩١٧-١٩٨١م)، ولأفكاره الإلحادية تأثير بالغ في الأوساط الفلسفية الغربية، وهومن المعلقين المشهورين على كتابات **هيوم**، ومن هنا يصبح تأثير **هيوم** واضحاً فيه، وهذا التأثير بادٍ في كتاب **ماكي** (الشر والقدرة الكلية) [٥]،ويذهب **ماكي**إلى أن المؤمنين بوجود الله هم الوحيدون الذين يجدون مشكلة بوجود الشر في الكون، أما هوومن سار على خطاه في إنكار وجود الله فلا تعترضهم مشكلة أبداً، ما دام الكون كله محكوماً بقوانين الفوضى والاضطراب[٦] .

أما المثبتون لوجود الله تعالى فقد وُجد في كلامهم ما يشوب إيمانهم، فمثلاً يقرر **كانط** أن البداهة والضرورة تقضيان علينا افتراض وجود الله، ولكن يستحيل – برأيه– أن نثبت وجود الله نظرياً ومنطقياً، فالذي يثبت وجود الله هو العقل العملي، يقول كانط:" من

---

(١)انظر الدين والعقل الحديث: ولتر ستيس ، ص ١٠٤.

(٢) لم يكن الإلحاد يوماً ما علمياً،والمقصود هنا أن إلحاد هؤلاء نابع من ظروف حياتية، وليس من شبه عقلية.

(٣) انظر الإسلام بين الشرق والغرب : بيجوفيتش ، ص ١٣٢، وانظر قذائف الحق : محمد الغزالي، ص ٢٠١.

(٤)دستوفسكي : ترويا ، ص ١٩٥ .

(٥) *See The Reality of God And the Problem of Evil:Davise , p١١-١٢.*

(٦) *See Reflections on The Problem of Evil: Christian G. Warden,p١.*

الوجهة النظرية، إنني أؤمن إيماناً راسخاً بالله، لكن هذا الإيمان ليس عملياً"[١]، ولكننا نقول: إن بالإمكان إثبات وجود الله بالمنطق والأدلة العقلية بدل أن يجعلها فروضاً أو مسلمات للعقل العملي تدعو إليها الحاجة، وخاصة أن طرق إثباتها علمياً وفلسفياً لا تعوزه كما تعوز غيره من الفلاسفة[٢] .

ولا يسع المقام هنا لسرد الأدلة التي تثبت وجود الله تعالى، إذ ليس هذا موضوع بحثنا، ولكنني أقول باختصار: إن وجود الله تعالى حقيقة أزلية ثابتة لا تقبل الجدل، وإن وجود الشرور بأنواعها لا تنتقص من هذه الحقيقة الكبيرة التي تتفرع عنها بقية حقائق الكون، وهذه أقوال لمفكرين غربيين آخرين لم يؤدِّ بهم وجود الشر إلى إنكار وجود الله تعالى.

يقول الأستاذ **مالكولم غرانت***Malcolm Grant* في كتابه (حجة جديدة في الكلام عن الله والخلود):"إن تقدير قيمة الوجود إنما يقوم على قيمة الإنسان، وإذا كانت وطأة الحياة وما فيها من الشر تنزعان إلى تنمية الفكر والخلق، فالشر والألم لا يغضان من صفة الكرم في الله ...وعلينا أن نتبين كرم الله من التدبير الذي نتبعه وراء الشر والألم، لا من الشرور والآلام في ذواتها"[٣]. ويقول **إيونج***Ewing*مدرس الأخلاق بكامبردج في كتابه (مسائل الفلسفة الأساسية):" يعترض علينا بأن وجود إله قادر كريم يناقض وجود الشر في العالم، ولكن هذا الاعتراض- على أسوأ احتمالاته- لا يمكن أن يبطل وجود الله "[٤].

وفي السياق ذاته يؤكد **براين ديفس***Brian Davies* هذه الحقيقة قائلاً:"وجود الشر في العالم لا يعني عدم وجود إله، أو أن وجود الله غير ممكن" [٥]، وفي كتاب آخر يؤكد **ديفس** أن الإيمان بالله قضية عقلية لا تقبل الجدل، وبناء على ما سبق ابتدع ديفس دفاعاً فريداً لمشكلة الشر سماه" دفاع عقلانية وجود الإله"، وملخص هذا الحل: الإله موجود، والشر موجود، النتيجة الله والشر، كلاهما موجود، ولا يمكن بحال من الأحوال أن ننكر وجود الله أو الشر، فوجود الله حقيقة عقلية يقينية، ووجود الشر مشاهد ومحسوس، ولا فرق بين ما يثبت عقلاً أو حساً[٦].

ويتأمل **جون لوك***John Locke*(ت: ١٧٠٤ م) ما يحدث في الكون، فلا يرى فيه ما يناقض وجود الله " إن أعمال الطبيعة بكل دقائقها أوفى دليل على وجود الله "[٧]، ويؤكد **لويس***Lewis* أنه مهما حصل في الماضي، والحاضر، والمستقبل، من شرور فإنه لن يثنينا عن الإيمان بالله وحبه[٨].

إذا كان من فلاسفة الغرب من أنكر وجود الله تعالى لوجود الشر، وآخرون استدلوا من امتزاج الخير والشر في النفس الإنسانية أن الإنسان نشأ بمحض الصدفة[٩]، فإننا على العكس من ذلك، نجد أن من علماء المسلمين من استدل بوجود الشر في الكون على وجود

---

(١) نقد العقل المحض : كانط، ص ٣٩٤.

(٢) انظر تاريخ الأخلاق : محمد يوسف موسى، ص٢٧٧.

(٣) عقائد المفكرين في القرن العشرين : عباس محمود العقاد، ص ٧١.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٧٢.

(٥) See An Introduction to the Philosophy of Religion: Davies,p٢٤-٢٥.

(٦) See The Reality of God And the Problem of Evil : Davies, p٢٢٩.

(٧) قصة الحضارة : ول ديورانت، ٣٤ /٥٩.

(٨) Philosophy of Religion:Lewis, ٣١٥.

(٩) انظر الدين والعلم : رسل ، ص ٢٢٢.

الله تعالى، كالإمام أبي منصور الماتريديرحمه الله تعالى(ت :٣٣٣هـ) الذي يقرر أن وجود الشر في العالم برهان ساطع على أن هذا العالم لم يكن بنفسه، بل بصانع صنعه، فلو كان العالم وجد بنفسه من غير صانع لانتفى الشر، لأن من كان وجوده بنفسه لا يرتضي لنفسه إلا أحوالاً هي أحسن الأحوال، وصفاتٍ هي خير الصفات، فثبت من وجود الشر في العالم أنه لم يكن بنفسه[١].

إن هذا البرهان الذي اتخذ منه الماتريدي مسلكاً للتدليل على وجود الله لم يسبق إليه، بل كان فيه مبتكراً مجدداً، فلقد درج الفلاسفة والمتكلمون على انتهاج سبل الخير والجمال للتدليل على وجود الله كما فعل **أفلاطون**، أو برهان الغائية كما فعل **أرسطو**[٢]، أما أن يكون وجود الشر دليلاً على وجود الله فإنه أمر بديع وعظيم بآن.

والعجيب أن بعض أولئك الفلاسفة يستدلون بنظام الطبيعة على عدم وجود الله، فالطبيعة – بزعمهم – لا تحتاج لخالق، فهي تسير بنفسها بشكل منتظم، وإذا ما أراد هؤلاء الاستدلال على نفي وجود الله فتراهم ينقضون نظام الطبيعة ويعلنون أن الكون لا غاية له،والفوضى هي التي تسيره، فاستنبطوا من وجود النظام وعدمه معاً عدم وجود الله. يقول الشيخ مصطفى صبري(ت :١٩٥٠م) رحمه الله:" إذا دلّ شيء على شيء بوجوده، فلا يدلّ عليه بعدمه، وإذا دلّ عليه بعدمه، فلا يدلّ عليه بوجوده، وإلا يكون نوعاً من الجمع بين النقيضين"[٣].

وأختم الكلام عن مسألة وجود الله تعالى بقول لفيلسوف غربي هو **أندريه كريسون***Cresson*:" ولكن، في خضمّ الشك الذي يكتنف كل شيء، ألا يُعد الإلحاد مغامرةً عجيبةً؟ إنكار الله، يا لها من جرأة! فإذا ما أخطأ الملحد وكان الله موجوداً، أفلن يدفع ثمن إنكاره في الأبدية؟ "[٤].

---

(١) انظر التوحيد : أبو منصور الماتريدي ، ت:د.فتح الله خليف ، ص ١٧.

(٢) انظر أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية : بلقاسم الغالي، ص١١٥.

(٣) انظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين : مصطفى صبري، ١/ ٣٦٤ ، ٣٦٥.

(٤) تيارات الفكر الفلسفي :كريسون ، ص ١٧٣.

المطلب الثاني:

موت الإله

أول من نادى بفكرة موت الإله هو**نيتشه**، ثم تبعه **سارتر**، والقائلون بهذه الفكرة يريدون من هذه العبارة أن يقولوا للناس إن الإله لا وجود له، وإن موته هو إدراك غيابه[١]. وبمعنى آخر:إن الإله فقد صفات الألوهية كما قال **نيتشه**: " لمَ الإلحاد اليوم؟ لقد نُقض الله بوصفه " الآب " نقضاً جذرياً، وبوصفه " القاضي " و "المثيب" أيضاً، وكذلك أُبطلت إرادته الحرة: إنه لا يسمع، ولوسمع لما عرف أن يساعد مع ذلك"[٢]. إذاً ففكرة موت الله عند نيتشه لها ارتباط بمشكلة الشر، وهذا ما نلمسه في النص السابق، فالله أصبح عاجزاً عن مساعدة الناس؛ بمعنى أن الصفات التي تخوله أن يكون إلهاً لم تعد موجودة.

بينما يرجح آخرون أن **نيتشه** لم يكن يقصد بفكرة موت الإله حرفية العبارة، ولكنه قالها في سياق الصراع الحاد بينه وبين المسيحية على وجه التحديد، ورجّح بعضالمفسرينأنه كان يعلن بذلك موت الحضارة الغربية بأسرها، من حيث هي مرتكزة على المسيحية[٣].

وهذا الذي أميل إليه، ويشهد لذلك قول **نيتشه** في موضع آخر:" الاعتقاد في الإله المسيحي قد فقدت فيه الثقة" الذي قاله بعد كلامه عن موت الإله[٤]. ويؤيد التفسيرين السابقين أن **نيتشه** كانت لديه رغبة ملحة في معرفة الله معرفة يقينية،وبعد ذلك أن يتوجه لعبادته، وهذا ما عبّر عنه في إحدى قصائده التي وجهها إلى إلهه المجهول:

"إني أريد أن أعرفك
أيها الواحد المجهول
أنت يا من تصل إلى أعمق أغوار نفسي
وتكتسح حياتي كالعاصفة الهوجاء
أريد أن أعرفك
بل أن أعبدك "[٥].

وتبع نيتشه بهذه الفكرة **سارتر** الذي قال:" لقد مات الله ...كان يتحدث معنا، لكنه يلوذ الآن بالصمت. ربما يكون راقداً مستسلماً لنوم مميت في مكان ما من عالمنا ...وربما يكون قد أغمض عينيه ليس إلا "[٦].

---

(١) انظر العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة : د.عبدالوهاب المسيري ، ٣٤٧/٢.

(٢) ما وراء الخير والشر : نيتشه ، ص ٨٦.

(٣) حكمة الغرب : رسل ، ت: د.فؤاد زكريا ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦(هامش) .

(٤) العلم المرح: نيتشه، ص ٢٠٤.

(٥) انظر الله في الفلسفة الحديثة:كولينز،ت: فؤاد كامل، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، وانظر نيتشه :د.عبدالرحمن بدوي، ص٣١ ، ٣٢.

(٦)دوستويفسكي(دراسات في أدبه وفكره) :غيورغي فريدلندر وآخرون ، ت: نزار عيون السود ،ص ٢٧٠.

أما في الديانة اليهودية فإننا نلاحظ أن فكرة موت الإله تنطلق عندهم من اعتقادهمبقداسة التاريخ اليهودي؛ النابعة من عظمة الشعب اليهودي ومن مركزيته الكونية، فيسأل اليهود أنفسهم: ما سبب تلك الأحداث التي وقعت لهم، وهم شعب الله المختار؟ ففي الماضي العبودية في مصر والخروج منها، والسبي البابلي والعودة منه، والسبي البابلي كان أول حدث جلب مشكلة الشر للعقل اليهودي، فلقد رأى اليهود لمحة من غوغائية الطبيعة وقسوتها، وهم مؤمنون بإلههم، فلماذا هذه القسوة؟[١].

وتتوالى النكبات والشدائد على الأمة اليهودية، فبعد السبي سقوط الهيكل والشتات، وحديثاً الإبادة النازية ليهود أوربا، وهذه الإبادة بنظر اليهود حادثة تاريخية تجسد الشر المطلق، وهي حادثة رهيبة إلى درجة أنها تنفي وجود الخير والعقل واليقين والأمل، وهي أخيراً تنفي وجود الإله، وحتى إن كان الإله موجوداً، فيجب ألا نثق به لأنه تخلى عن الشعب اليهودي[٢].

والحديث عن موت الإله أمر غير مفهوم في الإطار الإسلامي، فالله سبحانه وتعالى واحد أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهو سبحانه حيٌّ لا يموت، وصفة الحياة هي من صفاته الرئيسة.

وإلى جانب أولئك الفلاسفة الملحدين الذين أنكروا وجود الخالق عز وجل أو حكموا بموته بسبب مشكلة الشر، نجد جماعة أخرى من الفلاسفة ممن آمنوا بوجود الله تعالى وفسروا وجود الشر في العالم تفسيرات مختلفة حتى يثبت لهم ذلك الأصل الذي لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال؛ ألا وهووجود الخالق.

والفلاسفة الذين تكلموا في مسألة الشر ولم ينكروا وجود الله تعالى كثيرون، فمن الذين مرّ ذكرهم معنا سابقاً **هوبز** و**ديكارت** و**ليبنتز** و**اسبينوزا** و**مالبرانش** و**روسو** و**كانط** و**جوزيا رويس** و**بول ريكور**، وممن لم ندرسهم **باركلي**[٣] (ت: ١٧٥٣ م) و**برديائيف**[٤] (ت:١٩٤٨م).

أما **باركلي** فإنه يعتقد أن الخير مرتبط بالإرادة الإلهية، والشر مرتبط بالإرادة الإنسانية حين تنحرف ولا تخضع للإرادة الإلهية أو قوانين الدين والأخلاق، وإذا كان الله العلة المباشرة لجميع أفعالنا، فإن هذا لا يجعل منه مصدراً للشر أو الرذيلة[٥]، وكان يستدل بجمال الطبيعة ودقة نظامها على وجود الله تعالى[٦]، ويؤكد **برديائيف** ما ذكره **باركلي** فيشير إلى أنه لا يمكن أن يكون الله مسؤولاً عن الحرية التي ينشأ عنها الشر[٧].

ويطول بنا المقام لو أردنا الوقوف عند كل الذين أثبتوا وجود الله تعالى في ضوء وجود الشر، لذلك نكتفي بما سبق ونختم هذه المسألة بقول **بول ريكور**:" إن اللاهوت الذي يعترف للشر بحقيقة غير قابلة للتصالح مع خيرية الله وخيرية الخلق هو لاهوت محطم"[٨].

---

(١) انظر مقالة (تطور الدين اليهودي:دراسة في أصول معتقداتنا المتوارثة) .*www.ladeenyon.net*.

(٢) انظر العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة :د.عبدالوهاب المسيري ٣٤٧/٢.

(٣) انظر الأزل والزمان : ولتر ستيس،ص ١٣٩.

(٤) انظر تاريخ الفلسفة الروسية : نيقولاي لوسكي، ت: فؤاد كامل، ص٢٦٥.

(٥) انظر فكرة الألوهية في فلسفة باركلي : د. فريال حسن خليفة، ص١٤٨.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٧) انظر تاريخ الفلسفة الروسية : نيقولاي لوسكي، ت: فؤاد كامل، ص٢٦٥.

(٨) فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : بول ريكور، ص ٢٣٨.

المطلب الثالث:

صفات الله

لئن ذهب فريق إلى إنكار وجود الله، وأنكر آخرون وجود الشر، فإن فريقاً ثالثاً وقف موقفاً وسطاً؛ فأقر أصحابه بوجود الله ووجود الشر، ولكنهم آمنوا بوجود إله تنقصه صفات الألوهية الكاملة كي يبرروا وجود الشر في الكون، فمن غير المعقول – كما يزعمون – أن يكون الإله كامل القدرة والإرادة والعلم والحرية مع وجود هذه الشرور كلها.

ويقابل **كانط** بين أنواع الشر والصفات الإلهية التي تقابلها فيقول:" هذه الاعتراضات التي يوجهونها – فيما يبدو- إلى ثلاث صفات اتصفت بها حكمة الله، وهي الصفات الآتية: (قداسته) من حيث إنه مشرع، يقابلها وجود الشر الأخلاقي، و (رحمته) من حيث إنه حاكم، يقابلها معاناة الخلق للشدائد والآلام، و(عدالته) من حيث إنه قاض، يقابلها الأمر الواقع، وهو أن الأشرار يفسدون في الأرض ولا ينالون القصاص على ما اقترفوا من آثام "[1].

وممن ذهب إلى الانتقاص من صفات الله جمع من الفلاسفة السابق ذكرهم ك**روسو** و**ستيوارت مل** و**فولتير**عندما قالوا بمحدودية القدرة الإلهية، وهذا ما يُفهم أيضاً من كلام **ليبنتز** أن الله ذوقدرة وحرية محدودتين، لأن هذا الإله-بزعمه- مُرغم دائماً على أن يختار الأفضل وأقصى حدود الكمال[2]. وأما **وليم جيمس** فإنه كان يعتقد أن علم الله محدود وقدرته كذلك[3]، ويرى **اسبينوزا** أن الله لا يملك إرادة ولا حرية[4].

أما **كانط**، فإنه لا يجد في الأدلة التقليدية التي يسوقها اللاهوتيون على وجود الله إلا أنها تدل على وجود إلهٍ محدودٍ متناهٍ، والسبب في ذلك ما رآه من مظاهر كونية تدل على عدم الانسجام والنظام التام، فيقول في كتابه (نقد العقل المحض): " يمكن إذاً للدليل (أي دليل العناية) أن يثبت على الأكثر مهندساً للعالم سيظل دائماً محدوداً باستعدادات المادة التي يشتغل بها، لا خالقاً للعالم يخضع كل شيء لفكرته"[5].

وممن قال بإله متناه لتفسير مشكلة الشر **صمويل الكسندر** (ت:١٩٣٩م) الذي ذهب إلى أن الإله لم يكتمل بعد، وعلينا أن نكون شركاء معه كي نخرج الألوهية إلى حيز الوجود، وبناء على ما سبق، من غير الممكن أن نجعل الألوهية مسؤولة عن وجود الشر الموجود الآن في العالم،لأن الألوهية لم توجد بعد، والشر الموجود الآن هوفي الحقيقة خير لم يكتمل، أو أنه يمكن على الأقل، أن يتحول

---

(١) انظر مقالة (فشل جميع المحاولات الفلسفية لإثبات العدل الإلهي):كانط، نقلاً عن كتاب رواد المثالية في الفلسفة الغربية:د.عثمان أمين،ص ٢٥٦.

(٢)انظر الله في الفلسفة الحديثة : كوليز ، ص ١٢٦ ،وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ١٣٩.

(٣)انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٤٨٣.

(٤) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة :اسبينوزا،ت: د.حسن حنفي، ص ١٩٧ ، ١٩٨، وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ت:محمود سيد أحمد، ص ١١٤.

(٥)ص ٣١١ ، وانظر *Theism and Empiricism:Gibson, p ١٤٩-١٥٠* .

إلى خير[١].ومثل **الكسندر ماكسشيلر** و**برايتمان** و**تشارلز هاتشورن**، بالإضافة إلى **هوايتهيد** الذي يقول بإله متناه وفي طور التطورباستمرار[٢].

أما في الفكر الإسلامي، فإننا لا نجد انتقاصاً لصفات الله إلا ما كان من النظّام المعتزلي(ت :٢٢١هـ)الذي أبى أن يصف الله بأنه قادر على خلق المعاصي والشرور، لأنها من القبيح وفعل القبيح ليس بمقدور له تعالى[٣]، وهذه الشبهة حيّرت أيضاً بعض فلاسفة الغرب، فهذا **رويس** ينزّه الله تعالى عن خلق الشر فيقول: "مهما كان مقدار الشر الذي نراه، فإنه لا يقلل من كمال اللامتناهي، ولا يؤثر فيه، لأن اللامتناهي لم يخلق هذا الشر "[٤]، ونشير هنا إلى أن تنزيه الله عن خلق الشر هي عقيدة دان بها معتنقوالمسيحية، كما عند **أوغسطين** و**توما الأكويني**وغيرهما، مع أنهم يثبتون قدرة مطلقة لله تعالى[٥].

ويمكن أن يقال رداً على هذه الشبهة: إن القدرة على فعل القبيح ليست من القبيح، فالذي يتعلق بقدرة القادر هو إحداث الأفعال لا وصفها[٦]. فعملية خلق الله للشر لا يعد شراً، ولكن اكتساب الإنسان لهذا الشر المخلوق هوشر، كما أن القادر على فعلٍ قادرٌ على جنسه، ولما كان الحسن مثل القبيح، فالقادر على الحسن قادر على القبيح[٧]، ويضاف إلى ما سبق، أننا إذا نفينا قدرة الله على خلق القبيح فمعنى هذا أن الله ليس خالق كل شيء، وهذا نقص يتنافى مع كمال الإله، وهذا سير على خطى الثنوية الذين أثبتوا إلهين، لتنزيه إله الخير عن خلق الشر، فالله تعالى إذاً قادر على كل المقدورات، الحسن منها والقبيح.

والشيء الذي جعل هؤلاء الفلاسفة ينكرون قدرة الله على إيجاد القبيح هوقياس الغائب على الشاهد[٨]؛ فكما يقبح من الإنسان فعل القبيح، فكذلك من الله تعالى، ويقال هنا: إن الخالق يرى العباد يقتل بعضهم بعضاً ويظلم بعضهم بعضاً أيضاً، ويخلي بينهم مع القدرة على منعهم، ولا يكتفي الله بذلك، بل يخلق قدرةً على الفعل وشدةً في الآلة، ويعطي الكافر قدرةً مع علمه أنه يشتمه بها ويفتري عليه، ومثل هذا في الشاهد قبيح، وقد حسُن ذلك منه [٩]، إذاً ليس من صفات النقص أن يكون الله تعالى قد خلق القبيح والضار في الكون، لأن من صفات الكمال لله تعالى أن يخلق ما يشاء، دون أن يصده عن ذلك أي شيء.

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت ، ص ٥٤٦ ، ٥٤٧.

(٢)انظر الله في الفلسفة الحديثة : كوليز ، ص ٤٥٥ ، ٤٥٦.

(٣) انظر نظرية التكليفآراء القاضي عبدالجبار الكلامية: د.عبدالكريم عثمان، ص ٢٩١.

(٤) الجانب الديني للفلسفة: رويس، ص ٣١٦.

(٥) انظر الله، الشر والإنسان: نجيب جورج عوض، ص ١٢٤.

(٦) انظر نظرية التكليف آراء القاضي عبدالجبار الكلامية :د.عبدالكريم عثمان، ص٢٩١ ، ٢٩٢.

(٧) انظر المحيط بالتكليف : القاضي عبدالجبار، ص ٢٥٠.

(٨) قياس الغائب على الشاهد هو بالأصل مفهوم أصولي فقهي، ولكنه انتقل إلى ميدان علم الكلام ليكون طريقاً لإثبات الأحكام الاعتقادية المتعلقة بالله تعالى وصفاته وأفعاله، بناءً على وجود نظائر لها في الواقع المشاهد، وقد وقع خلاف بين المتكلمين من حيث قبوله أو رفضه، انظر المدخل إلى دراسة علم الكلام: د.حسن الشافعي، ص١٧٥.

(٩)انظر تبصرة الأدلة: أبوالمعين النسفي، ٢٥١/٢.

وليس عجباً أن لا يفهم هؤلاء الفلاسفة الصفات الإلهية فهماً صحيحاً كما أشار الغزالي رحمه الله "ولا غرو، لوحار العقل في الصفات الإلهية، ولا عجب، إنما العجب من إعجابهم بأنفسهم وبأدلتهم، ومن اعتقادهم أنهم عرفوا هذه الأمور معرفةً يقينيةً، مع ما فيها من الخبط والخبال"[1] .

خلاصة كلام أولئك الفلاسفة فيما يتعلق بالله وصفاته أن لله كمالاً نسبياً، فنقول لهم: إذا كان كماله نسبياً، فلا بد أن ينتهي كماله عند حدّ من القدرة والعلم، والحدود أبداً من صفات الحوادث؛ من مبدأ ونهاية، وصغر وكبر، وقلة وكثرة، ودنووعلو، فكل حادث محدود، وكل محدود حادث، ولا يمكن أن يتبرأ كائن من الحدوث ما لم يتبرأ من أي نوع من أنواع التحديد، إذاً فالخالق الذي يتصف بالكمال النسبي حادث من الحوادث، والخالق الذي برئ من الحدوث لا يمكن إلا أن يكون كاملاً كمالاً مطلقاً، لا يلحقه عجز في علم ولا قدرة، ولا يوصف بنسبية ولا تحديد[2].

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن نزعة الإيمان بالله مع تقييده بنواميس المادة والقوة هي نزعة حديثة في الفلسفات المعاصرة، ورد الأستاذ العقاد رحمه الله تعالى هذه النزعة إلى أنها من نتائج الأطوار الاجتماعية، وبتحديد أكثر، طور الحكومة المقيدة في السياسة الأرضية، فالملك المقيد بقوانين ومشيئة شعبه هو أحدث الأفكار العصرية في أفكار الاجتماع، وليست النقلة بعيدة بين تقييد الحاكم في الأرض وتقييد الحاكم في جميع الأكوان.

وليس مصادفةً أن تبدأ هذه النزعة الفلسفية في إنكلترة، حيث الملك فيها لا يتعرض لسياسة حكومته إلا بمقدار ما يدعورعاياه، وليس مصادفة كذلك أن يكون البادئ بهذه الفكرة جون ستيوارت مل الذي اقترنت حياته كلها بأنشط الأطوار في الرقابة البرلمانية وحركات التوسع في حقوق الانتخاب، فنظر مل في حكومة الكون وعينه لا تتحول عن حكومة الأرض وعلاقة المحكومين فيها بالحاكمين[3].

---

(١) تهافت الفلاسفة : الغزالي، ص ١٢٤.

(٢) انظر الوجود الحق : حسن هويدي ، ص ٣١.

(٣) انظر الله : العقاد ، ص ١٥٤ ، ١٥٥.

المطلب الرابع:

ظاهرة العناية الإلهية

ظاهرة العناية هي الوجه الإيجابي لظاهرة الشر، فالذي يثبت وجود الشر الخالي من الحكمة ينكر وجود عناية إلهية تسيّر الكون بما فيه، والعكس صحيح؛ فالذي ينكر العناية الإلهية يثبت وجود الشر. والعناية الإلهية هي من أشهر الأدلة على وجود الله تعالى، لذلك نجد أن الملحدين والمشككين يحاولون نقض هذا الدليل بإثارة شبهة الشر؛ فيزعمون أنه لو كان لله عناية بهذا الكون لما وجدت الشرور والأمراض والمصائب التي تصيب الناس جميعاً، ولما حدث هذا الاختلال في ظواهر الكون من زلازل وبراكين وفيضانات وغيرها.

أما موقف الفلاسفة من مسألة العناية الإلهية، فقد اختلفت آراؤهم ومواقفهم فيها تبعاً لنظرتهم إلى حقيقة الشر ومسألة الألوهية، ومن الواضح هنا أن معظم فلاسفة الاتجاه اللاديني هم ممن أنكر العناية الإلهية، على اختلاف بينهم في درجة هذا الإنكار، فقد أنكر بعضهم وجود الله وعنايته كـ**نيتشه**[1]، وبعض آخر، كـ**فولتير**، أثبت عناية الله بالكليات لا بالجزئيات[2]، زعماً منه أن هذا يبّرئ ساحة الربوبية من كارثة زلزال (لشبونة). وسيكون الرد على منكري العناية الإلهية من خلال عرض الموقف الإسلامي من هذه الظاهرة.

يعرّف ابن سينا العناية بأنها "كون الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير"[3]، وظاهرة العناية هي من أكثر الظواهر تفصيلاً في القرآن، لما يترتب عليها من إظهار فضل الله وكرمه ورحمته وعطائه، وبالتالي يُستخرج بها شكر العاقل لله العظيم، أو إقامة الحجة على الإنسان وكفره وظلمه وجحوده، يقول الله تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

السموات والأرض؛ ما فيهما وما بينهما، ومنحه وسائل الإدراك من السمع والبصر والفؤاد، وهيّأ له العقل الذي هو مناط التكليف، ثم أرسل له الرسل وأنزل عليه الكتب، ولم يكلفه من العبادات ما لا يطيق[1] .

إن الآيات التي تبيّن الفضل الإلهي على البشر أكثر من أن تحصى، وحسبنا أن نعلم أن سورتي الأنعام والنحل بمعظمهما تذكّران الإنسان بنعم الخالق وعنايته به، ونكتفي من كتاب الله تعالى بآية واحدة هي قوله تعالى ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

والعين للنظر[1]، وفي هذا ردّ على جمع من الفلاسفة، ومنهم **دولباخ** الذي أنكر وجود الله وعنايته، وأنكر كذلك أن تكون منفعة الأعضاء مقصودة؛ فليست العين للرؤية، ولا الأذن للسمع، بل إن العين التقت مع الإبصار بمحض المصادفة، والتقت الأذن بالسمع بمحض المصادفة أيضاً[2]، وقصد **دولباخ** من هذا الهذيان هو إنكار الغائية في مخلوقات الله، وبالتالي إنكار وجود الله تعالى .

إن هذه الأفكار التي نادى بها **دولباخ** وصديقه **فولتير** جعلت **روسو** من أشهر المدافعين عن العناية الإلهية من خلال رده على هذين الفيلسوفين، فيؤكد **روسو** أنه حتى لو رأينا في هذا العالم صالحين يتألمون، وطالحين يتنعمون، فإن هذا يجب ألا يجعلنا في ريب من وجود عناية إلهية عادلة وصالحة تسيّر الكون وتدبّره، ويتحتم علينا أن نعتقد بأن التشويش هو الذي يجعلنا في ريب من حقيقة العناية[3].

نخلص مما سبق أن الإيمان بالعناية الإلهية هو الدين، وبالمقابل فإن إنكار هذه العناية هو إنكار الدين كله[4]، لأن إنكار العناية كلياً أو جزئياً هو انتقاص من كمال الألوهية، وإذا انتقصت الألوهية، فماذا يبقى من الدين بعد ذلك؟

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن : القرطبي،١١/٢٠٥.

(٢) انظر تاريخ الفلسفة : إميل برييه، ٥/ ١٥٩، وانظر تاريخ الفلسفة الحديثة : يوسف كرم، ص ١٩٢.

(٣) انظر روسو : حياته – فلسفته – منتخبات : كريسون، ص ٦٨، وانظر الاعترافات : روسو، ص ٤٠٠.

(٥) *See The World and God:A Study of Prayer,Providence and Miracle in Christian Experience:H.H.Farmer,p٩٢.*

المبحث الثالث:

حلول مشكلة الشر

وفيه عشرة مطالب

المطلب الأول: الشر مكمل للخير

المطلب الثاني: دفاع الخير الأكبر

المطلب الثالث: دفاع الإرادة الحرة

المطلب الرابع: الآخرة

المطلب الخامس: الشر عدم

المطلب السادس: نتائج الخطايا

المطلب السابع: العلم البشري المحدود

المطلب الثامن: الخطيئة الأصلية

المطلب التاسع: أفضل العوالم الممكنة

المطلب العاشر: الشر نسبي وعرضي

دفعت مشكلة الشر الفلاسفة قديماً وحديثاً – كما رأينا – إلى تقديم حلول وتفسيرات عديدة ومتنوعة لتبريرها، بعض هذه الحلول صحيح ومقبول شرعاً وعقلاً، غير أن كثيراً من هذه الآراء والتفسيرات ليس له حظ من النظر الصحيح، ونحن سنقوم هنا بمناقشة وتحليل أشهر الحلول التي قدمت لمشكلة الشر في الفكر الغربي، وهي عشرة حلول جعلتها في عشرة مطالب،وسأقوم بمقارنتها بالنظرة الإسلامية، وسيتم أثناء ذلك الرد على أهم الأفكار التي وردت في كلام الفلاسفة السابق ذكرهم مما له علاقة بموضوع بحثنا.

المطلب الأول:

الشر مكمل للخير

هذا الحل من أكثر الحلول عقلانية ومطابقة للواقع، ولذلك نجد المفكرين على اختلاف مشاربهم ونحلهم قد تبنوه، وخلاصته: أنه لا يجوز أن نعدّ وجود الشر في الوجود من أعمال الشر، لأنّ الحكمة من وجوده إظهار صفات الخير، وبضدها تتميز الأشياء، فمثلاً لا يمكن أن نعرف معنى الصحة إلا بوجود المرض، فوجود الشر يعطي للخير قيمته التي لم تكن لتعرف لولا وجود صفات الشر(١).

ومن المعروف أن الخير والشر شيئان متضادان، ولكنهما متممان لبعضهما ضمن كلٍّ متكامل. وإذا ما اختفى أحدهما فإن الآخر سيختفي أيضاً تاركاً وراءه فراغاً، فالرحمة التي هي فضيلة عظيمة، لا يمكن أن توجد إلا إن كان هناك معاناة. والشجاعة لا توجد إلا إن كان هناك مواجهة للخطر. والتضحية بالنفس كذلك، هي أيضاً خلق عظيم، ولكنها تتوقف على شيء آخر؛ هووجود أناس في حالات يكونون فيها بحاجة إلى عون من آخرين(٢).

وهذا الحل تبناه معظم فلاسفة الاتجاه الديني الذين مر ذكرهم سابقا كـ**ديكارت** و**اسبينوزا** و**ليبنتز** و**روسو**و**مالبرانش** و**رويس**، ورأينا بعض الأمثلة التي ضربها هؤلاء تأكيداً لهذه الفكرة، ومن الأمثلة التي ضربها **ليبنتز** مثال الصوت النشاز الذي يُرى على أنه شر لعدم قبول الآذان سماعه، ولكنه إذا ما وضع ضمن أنغام وأصوات أخرى، فإنه سيكون له دور تكميلي رائع في التوازن الذي سيحدثه ذلك الصوت النشاز مع بقية الأصوات لصنعلحن جميل تستمتع بسماعه الآذان(٣).

وهذا الفيلسوف الإيطالي **كروتشي***Croce* (ت:١٩٥٢م) يرى في ازدواج مظاهر الكون مجالاً لتجلي العظمة الإنسانية؛ إذ تتحول به الحياة إلى سلسلة ديناميكية من النضال المستمر وراء تحصيل الخير بالقضاء على الشر، ولا سبيل إلى هذا إلا بالتصادم مع الشرور والأشرار، إذ هذه هي الطريقة الوحيدة للظفر بالخير، لا الزهد والعزوف، وتجنب مواطن العراك،ودعوى البراءة والطهارة الملساء(٤). ويقول باركلي(ت:١٧٥٣ م):" عيوب الطبيعة ووصماتها هينفسها لا تخلومن منافع؛ فإنها تعمل على إيجاد تنوع ملائم، وتزيد من جمال باقي الخليقة، كأنما هي ظلال في لوحة تعمل على إبراز الأجزاء الناصعة منها"(٥).

حتى إن **نيتشه** – وهومن أكثر الملحدين صراحة – يعترف بهذا التكامل الموجود بين عناصر الطبيعة،فيشير إلى أننا إذا ما قمنا بتفحص حياة الناس،فسنجد أن الفقر والغنى يكمل أحدهما الآخر، وإذا ما مررنا بالغابة ورأينا الأشجار العالية، فإننا سنوقن أنها لم تصل إلى ذلك العلو دون أن تمر بها عواصف، ودون أن تنمو بقربها الحشائش الضارة والنافعة على حدّ سواء،حتى إن السموم التي يموت بهامخلوقات ضعيفة تعدّ منشطاتلمخلوقات أقوى(٦).

---

(١)*See The Encyclopedia Americana :١٠/٧٣٢.*

(٢)*See Problem of Evil,From Wikipedia,the free encyclopedia www.en.Wikipedia.org.*

(٣) وأنشد الحكيم السبزواري في هذا:ماليس موزوناً لبعضٍ مِن نغم ففي نظام الكل كلٌّ منتظم

انظر الإلهيات:حسن محمد مكي العاملي من محاضرات جعفر السبحاني،ص ٢٧٥.

(٤) انظر مشكلات الجيل : محمد المجذوب، ص ٧٤.

(٥) *Principles of Human Knowledge: Barkely,, Section* ١٥٢, نقلاً عن الأزل والزمان : ولتر ستيس،ص ١٣٩.

(٦) انظر العلم المرح : نيتشه ، ت : ص ٦٥.

وهذا الحل ليس جديداً، بل إننا نجده عند **أفلوطين** الذي ضرب لنا أمثلة يبين من خلالها كيفية تكامل أجزاء الكون من خير وشر، وأمثلة **أفلوطين** ما تزال تضرب حتى الآن من قبل الفلاسفة المعاصرين، كمثال الفنان الذي يرسم حيواناً، فإن هذا الفنان لا يجعل جميع أجزائه عيوناً، وكذا فإن من يعيب على الفنان عدم انتشار الألوان الزاهية في كل موضع من لوحته، في حين أنه جعل لكل ناحية منها لوناً يلائمه، فهوجاهل عديم المعرفة[1]. وهذا **ديفيد ستيوارت***Stewart* من الفلاسفة المعاصرين يضرب هذا المثل نفسه بكلمات أخرى فيقول:" في الرسم الزيتي هناك مناطق مظلمة وأخرى ناصعة، فلونظرنا إلى الأولى فقط لظهرت اللوحة قبيحة باهتة، أما رؤيتها في سياق الصورة كلها، فإن تلك المساحات المظلمة تساهم في تحقيق انسجام الصورة وكمالها "[2].

وبالنسبة ل**كانط** فقد رأينا كيف عبّر عن شكه وحيرته تجاه الشرور الجزئية التي يزخر بها الكون كونها تتعارض مع دلائل القصد والنظام والحكمة، فلم يدرك هذا الفيلسوف—على سعة علمه واطلاعه – ما أدركه غيره من دور هذه الشرور الجزئية في إكمال الصورة النهائية للكون الرائع، فكانط نظر نظرة جزئية قاصرة إلى أجزاء الكون، فقادته إلى الشك في حكمة الخالق عز وجل.

أما علماء المسلمين فقد كان لهم إسهام بارز فيتوضيح هذا الحل، فالجاحظ المعتزلي (ت:٢٥٥هـ) يعتقد أن الشر ضروري لوجود الخير، وأن انتفاء الشر غير ممكن فيقول:"اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها، امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والكثرة بالقلة، ولوكان الشر صرفاً هلك الخلق، أوكان الخير محضاً سقطت المحنة...فسبحان من جعل منافعها نعمة، ومضارها ترجع إلى أعظمالمنافع... وجعل في الجميع تمام المصلحة وباجتماعهما تمام النعمة "[3] .

ويذكر الجاحظ اعتراضات أولئك الذين يقولون: لماذا لم يكن الخير هوالموجود الوحيد في هذا العالم؟ فمن المعروف أنه من الأفضل للإنسان أن يعيش من غير متاعب ولا شرور ولا مآس ولا أخطار، والله بوصفه خلّاقاً عليماً حكيماً عليه أن يحرص على مصالح العباد فيُخلي حياتهم من المشكلات ويرفع عنهم الأعمال ويمحومن حياتهم المتاعب، ويملؤها متعاً ولذائذ، فيردّ الجاحظ عليهم قائلاً: " فخير الخير ما كان ممزوجاً، وشر الشر ما كان صرفاً، ولوكان الناس يصلحون على الخير وحده لكان الله عز وجل أولى بذلك الحكم "[4] .

ويبالغ الجاحظ في التأكيد على ضرورة الشر في الحياة بأن هؤلاء الذين يتمنون هذه الحياة الرغيدة الهانئة الخالية عن الأكدار ليسوا من ذوي العقل الرشيد السليم، فيقول: " اعرضوا على امرئ صحيح الجسم والعقل أن يجلس منعماً، ويُكفى كل ما يحتاج إليه بلا سعي واستحقاق، فانظروا هل تقبل نفسه ذلك؟ بل ستجدونه بالقليل عما يناله بالسعي والحركة أشد سروراً واغتباطاً منه بالكثير مما يناله بلا استحقاق، وكذلك نعيم الآخرة إنما يكون لأهله بأن ينالوه بالسعي والاستحقاق "[5].

وواضح أن المقصود بقول الجاحظ " صحيح الجسم والعقل " ذلك الإنسان الخالي من العاهات الجسمية والعقلية والنفسية، فذووالعاهات تكون أحكامهم عارية من الموضوعية، منبجسة عما يعانونه من عقد نقص مختلفة.

---

(١) انظر تاسوعات : أفلوطين ، ص ٢٠٤.

(٣) *Exploring The Philosophy of Religion :Charles , p٢٥٠.*

(٣)الحيوان : الجاحظ، ١/٢٠٤ ، ٢٠٦.

(٤) المرجع السابق ، ٢/ ٨٨.

(٥) كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير : الجاحظ، ص ٦٨.

ويأتي الغزالي(ت:٥٠٥هـ) رحمه الله بعد الجاحظ، فيقرر هذا الحل ويزيده توضيحاً فيعلن أن:" كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجعوا فيها البصر وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها من تفاوت ولا فطور، وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه، بل هوعلى الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي بالقدر الذي ينبغي...إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار، ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة، ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة "[١].

وفي العصر الحديث نجد الأستاذ العقاد(ت:١٩٦٤م) رحمه الله يؤيد هذا الحل الذي سماه "حل التكافل بين أجزاء الوجود"، ويصفه بأنه أوفى وأقرب إلى الإقناع من جميع الحلول التي عولجت بها هذه المشكلة على أيدي الحكماء أوعلى أيدي فقهاء الأديان، فالشر لا يناقض الخير في جوهره، ولكنه جزء متمم له أوشرط لازم لتحقيقه، ولا معنى لفضيلةمن الفضائل بغير نقيصة تقابلها وترجح عليها، ويزيد العقاد بأن هذا التكافليطّرد في لذاتنا المحسوسة وفضائلنا النفسية ومطالبنا العقلية، إذ نحن لا نعرف لذة الشبع بغير ألم الجوع ...إلخ [٢].

وقد استخرج الشهيد المطهّري(ت:١٣٤٩هـ) من كتاب الله تعالى ما يؤيد هذا الحل عندما قال:" وتنحصر عظمة الكون وجماله في تنوعه العريض وتلونه المختلف، والقرآن الكريم يتخذ وجود الاختلاف آية وعلامة على قدرةالحكيم العليم، من قبيل اختلاف الألوانوالألسنةوالليل والنهار والناس .." [٣]، ويستدل المطهّري أيضاً مناختلاف أجزاء جسد الإنسان دورها فيإعطاء الصورة الكلية النهائية لمن قال الله تعالى في خلقه:**ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ**[التين: ٤] فيقول: "أيها الحاجب المعوج لوكنت مستقيماً لكنت أعوج، ففي كل مجموعة يحتل أي جزء موقعاً خاصاً، وبحسب ذلك الموقع تكون له كيفية خاصة "[٤].

إن شرور الكون –كما يرى المطهّري –لا تنفك عن خيراته، لأن الكون كل واحد يرفض أية تجزئة؛ أي أن أجزاء الكون ليست بحيث يمكن فرض حذف قسم منها والإبقاء على القسم الآخر، وإنما حذف بعضها يستلزم حذف جميع الأجزاء؛ ذلك أن أصل الارتباط بين أجزاء الكون يدل دلالةً واضحةً على تكامل الخير والشر، وينقل المطهري شعراً في هذه المسألة:

في هذه الأرض المزروعة لا يوجد ورد بلا شوك وشعلة المصطفى قد رافقها شرار أبي لهب[٥]

وعلى الرغم من هذا الكلام السابق والأدلة والأمثلة المحسوسة في الكون والإنسان نفسه، فإننا نجد من يسخر من هذا الحل،ويعتقد أنهيولّد في نفس القارئ شعوراً بالإشفاق على خالق مرتبك، ذي إرادة حسنة لا متناهية، ولكنه مغلول اليدين على وجه محزن بحكم ضرورات كامنة في طبيعة الأشياء في مساعيه الرامية إلى خلق عالم أحسن[٦].

ولو أعمل هؤلاء المعترضون عقولهم، وتأملوا في مظاهر الكون، لوجدوا أن الحكمة تقتضي وقوع الخير المشوب بالشر القليل، وهذا من لطف الله تعالى بمخلوقاته، لذلك خلق الله هذا العالم الذي فيه الشر، ونحن نقرأ في كتاب الله تعالى:**ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ**

---

(١) إحياء علوم الدين، ٢٩٣٢/٤.

(٢) انظر حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: العقاد، ص ٧ ، ٨ .

(٣) العدل الإلهي : المطهري ، ص ١٧٩.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٥) انظر المرجع السابق،ص ١٧٦ ، ١٧٧.

(٦) انظر سلسلة الوجود الكبرى : آرثر لفجوي ، ت:د.ماجد فخري ، ص ٣١٧.

**ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المطلب الثاني:

دفاع الخير الأكبر

من الحلول المشهورة التي قدمت لتفسير مشكلة الشر دفاع الخير الأكبر، ومعنى هذا الدفاع أن الشرور الموجودة في الكون تؤدي في النهاية إلى خير أكبر وأعظم[١]، لذلك على الإنسان ألا ينظر للشرور نظرة متشائمة، بل عليه أن يبتهج بالشدائد التي تصيبه ما دامت عواقبها خيراً في النهاية. والذين يتبنون هذا الدفاع هم المتفائلون الذين يعترفون بوجود الشر، ولكنهم يعتقدون أن هذا الشر سيؤول في النهاية إلى خير أكبر.

وهذا الحل قديم نجده عند السابقين، فـ**أفلوطين** يؤكد أن للشر ضرورته في نظام الكون الكلي " إن في الشر في معظم ظواهره، بل في ظواهره كلها، نفعاً للعالم الكلي "[٢]، وفي العصور الحديثة تبنى هذا الدفاع **ديكارت** الذي نصح الناس أن ينظروا إلى الأشياء نظرة كلية، إذ النظرة الضيقة لما نراه في الكون تؤدي بنا إلى نتائج خاطئة فيما يتعلق بقدرة الله اللامتناهية " يجب أن ننظر في مخلوقات الله جملةً لا تفصيلاً "[٣]، وتحدث **اسبينوزا** كذلك عن الشر الجزئيوالخير الأكبر، وأن الشرور الجزئية تقود في النهاية إلى خيرات أعظم[٤]، والإنسان بطبعه يضحي بالشر الجزئي رغبةً في تحصيل الخير الأكبر[٥]، أما **كانط** فإن مبدأ الخير عنده سينتصر على مبدأ الشر في النهاية، ويقوم ملكوت الله على الأرض[٦]،ويرى **جوزيا رويس** أن هذا العالم في كليته خير " إن العالم في مجمله خير مطلق "[٧].

ويفصّل **رويس** في المسألة أكثر فيقول:" يكون الشر الجزئي خيراً كلياً لأني في تغلبي على هذا الشر أكون قد اخترت تحقيق الإرادة الكلية، فتظل الرغبة الشريرة كامنةً في ذاتي، ولكنها تكون في حالة الهزيمة، لأنه في اختيار محاربة الشر تحيا الحياة الخيرية "[٨]، إذاً، بحسب **رويس**، جهاد النفس ومقاومة دعوتها لفعل الشر هو سبيل نيل الحياة الصالحة.

وكانت فكرة مدينة الله عند **ليبنتز** تعبيراً عن دفاع الخير الأكبر، فالنفوس البشرية يؤلف تجمعها مدينة الله؛ الدولة الأكثر كمالاً التي تكون ممكنة تحت حكم أكثر الملوك كمالاً، وذلك هوالانسجام التام بين الله من حيث إننا نتصوره مهندساً للكون، والله من حيث إنه ملك على مدينة الأرواح الإلهية. فجميع الأشياء تسلك إلى النعمة الإلهية بطرق طبيعية، ولا بد أن تحطم وسائل طبيعية هذه الكرة الأرضية وتستعيدها كما تتطلب حكومة الأرواح، من أجل معاقبة بعض ومكافأة آخرين[٩].

---

(١) *See The Philosophy of Religion:G.Gallway,p٥٤٢.*

(٢) تاسوعات أفلوطين ، ص ١٣٨.

(٣) تأملات : ديكارت ، ص ١٦٥.

(٤) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة:اسبينوزا، ص ٣٨٠.

(٥) انظر الأخلاق: اسبينوزا، ت: جلال الدين سعيد، ص ٣٣١ .

(٦) *See Religion Within the Limits of Reason Alone:Kant,p٧١.*

وانظر قضايا في الفكر المعاصر: د. حسن حنفي، ص ١٣١ .

(٧) المدخل الفلسفي للدين : جوزيا رويس ، ص ٣١٦.

(٨) الجانب الديني للفلسفة : رويس، ص ٣٢١.

(٩) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة:رايت،ص ١٤١،وانظر *Leibniz's City of God: R. M. Adam,P٤.*

و**جون هيك** *Hick* (ولد:١٩٢٢م) يعتقد كذلك أن كل الشر في النهاية سيقود إلى خير أكبر،فحسب هيك الإله هومصدر الألم، وهويرسله إلى البشر من أجل خلق خير أكبر، والذي لم يكن ممكناً إلا به،فالبشر في هذه الحياة في وادي صنع النفوس، والشر يجعلهم أشخاصاً أفضل، وفي الآخرة لن يكون هناك جحيم، وكل الناس سيكونون ناجين(١).

والذين ذهبوا هذا المذهب من الفلاسفة تأثروا بالعقيدة المسيحية؛ حيث يربط اللاهوتيون فكرة الخير الأكبر بانتصار الله النهائي على الشر، الذي هو أيضاً انتصار للإنسان، وهوما سوف يتجلى عند قيام المسيح المخلِّص -كما يرون - في نهاية الزمان حين ينقذ أتباعه، وتعذيب المسيح عيسى عليه السلام وصلبه كان شراً، ولكنه أثبت للناس أنه ابن الله حقاً، وأن الإله نفسه ليس بعيداً عن المعاناة(٢) .

إن عقيدة المخلّص المنتظر ليست مقصورةً على الديانة المسيحية فقط، بل إننا نجدها حاضرة في الأديان السماوية الثلاثة، وتتعداها إلى غيرها من الأديان الوضعية، بحيث من الممكن أن نقول: إن هناك اعتقاداً عالمياً بمخلصٍ منتظرٍ، فبعض المغول مثلاً يعتقدون أن تيمور لنك أوجنكيز خان قد وُعد قبل موته بالعودة إلى الدنيا لتخليص قومه من نير الحكم الصيني، والهنود الحمر في المكسيك يعتقدون بمخلص منتظر يستعيد لهم وطنهم من المستوطنين الأوربيين(٣).

وفي الزرادشتية سينتصر الإله في صراعه الطويل مع الشيطان، وفي نبوءة ميترائية إيرانية قديمة يُتوقع قدوم الإله في نهاية العالم ليدمر الأشرار بالنار وينقذ الصالحين، و(ميتراس) هومدمر الشر في الأسطورة الفارسية، وهوالذي يقرر متى ينتهي حكم الشيطان، ولذلك فالجميع في ترقب قدومه(٤).

إن الاعتقاد بظهور مخلصٍ مظهرٌ من مظاهر الإيمان بالعناية الإلهية، إذ إن أهل كل دين يرون أنفسهم أصحاب الدين الحق، وإذا كان ذلك كذلك، فإنه من غير المعقول أن يتخلى الله عنهم، بل لا بد أن يبعث إليهم مخلصاً مؤيداً منلدنه لينصرهم وليمكّن لهم في الأرض،ولهذه العناية مظهران؛ظهور الأنبياء،وظهور المخلص المنتظر في آخرالزمان(٥).

أما في العقيدة الإسلامية، فإننا نجد أصلاً قريباً من هذه الأفكار، فقد ثبت عند المسلمين بما لا يقبل الشك نزول المسيح عيسى عليه السلام آخر الزمان ليقتل المسيح الدجال،والمسيح عيسى عليه السلام هنا هورمز الخير الذي سينتصر على الشر ممثلاً بالمسيح الدجال، والاعتقاد بالمهدي المنتظر كذلك تعبير عن فكرة المخلّص، فالمهدي المنتظر أوالحاكم العادل الذي سيكون آخر الزمان ويملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً هورمز انتصار الخير على الشر.

أما بالنسبة لفكرة الخير الأكبر الذي يعقب الشر الجزئي، فهي مما أيّده فلاسفة المسلمين ومتكلموهم، ومن الأمثلة المشهورة عندهم على هذا الحل: الأب الذي يرضى ويسعى لكيّ ابنه بالنار، فالأب لشفقته البالغة على ابنه يرضى بشرّ النار تحصيلاً لخير أكبر هوالشفاء، فالكيّ في نفسه شر، لكن نتيجته خير.

---

(١) *See Evil and the God of Love , John Hick , chapter xvii,section, Theodicy Versus Hell, www.Johnhick.org.uk.*

(٢) *See The problem of Evil and Theodicy: A Non-Classical Approach Through the Philosophy of the Gospels: Raymond Lam, p٤.*

(٣) انظر مقالات فلسفية : أحمد صبحي، ص ٢٤ ، ٢٥.

(٤) انظر مقالة (نبوءة ظهور المخلص ...جذورها الأسطورية ...من أين جاءت؟) : د.أبا الحكم،شبكة البصرة *www.rraq-online.com*

(٥) انظر مقالات فلسفية : أحمد صبحي، ص ٢٤.

ويخبرنا الله تعالى أنه ربما يصيب قوماً بعذاب ليكون رادعاً لهم عما هم فيه من الصدود والغفلة، فيقول عزّ من قائل : ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

ومما ورد عن **جون هيك** في هذا الشأن قوله: "البشر- في هذه الحياة- في وادي صنع النفوس، والشر يجعلهم أشخاصاً أفضل"[١]، ويؤكد هذا المعنى رويس قائلاً" في اختيار محاربة الشر تحيا الحياة الخيرية"[٢]، ويذكرنا هذا بقول الله تعالى في كتابه الكريم: **ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿

المطلب الثالث:

دفاع الإرادة الحرة

دفاع الإرادة الحرة هو أكثر الحلول التي دار النقاش حولها في الفكر الغربي، وذلك لأن مسألة الحرية الإنسانية مسألة شائكة معقدة، فهي حل ومشكلة في آن واحد؛ هي حل من جهة، إذ هي من أشهر حلول مشكلة الشر، ومشكلة من جهة أخرى، إذ إن القول بحرية إنسانية يفتح على الذهن البشري تساؤلات متعددة عن كنه هذه الحرية وأهميتها ونطاقها في ضوء علم الله تعالى لما كان وما سيكون.

ومسألة "الحرية" من أكثر المسائل التي طال الجدال فيها منذ أقدم العصور حتى الآن، وأعلن جمع من المفكرين استسلامهم بكل تواضع و عجزهم عن حل هذه المشكلة العويصة. أما فيما يتعلق بمشكلة الشر، فإن جمعاً كبيراً من الفلاسفة قبلوا دفاع الإرادة الحرة، وخلاصة هذا الحل:"أن الله تعالى سمح بالشر، ليكون هناك خير أسمى متمثلاً بحرية الإرادة"(١).

واشتهر بهذا الحل الفيلسوف الأمريكي المعاصر **بلانتينغا***Plantinga* (ولد: ١٩٣٢م) حيث أفاض في شرحه في كتابه "طبيعة الحتمية"، كان هدف بلانتينغا من هذا الدفاع أن يبيّن أن وجود الإله الكلي الخير والعلم والقدرة لا يتعارض مع وجود الشر، ويقرر هذا الفيلسوف أن العالم- مع وجود الإرادة الحرة- أكثر قيمةً من عالم بدونها، لذلك فالله تعالى لديه سبب أن يخلق عالماً فيه إمكانية الشر(٢).

وواضح أن الكلام عن دفاع الإرادة الحرة إنما يتناول الشر الخلقي، إذ إن حرية الإنسان أوعدمها لا علاقة لها بشرور الكون. أما الشر الخلقي، ففيه إشكالات كثيرة، أولها: "إذا كان الله يرغب أن ينقذ كل الناس، ولكنه لا يقدر، فمعنى ذلك أنه محدود القدرة، ومن جهة أخرى، إذا كان الله لا يرغب بخلاص كل الناس، بل خلق بعضاً منهم للعقوبة، فمعنى ذلك أنه محدود الخير والرحمة "(٣).

وإشكال ثانٍ هو: كيف ينهى الله تعالى آدم عليه السلام عن فعل شيء، وهويعلم أنه سيعصيه؟ وإشكال ثالث: لماذا لم يخلق الله الأبرار فقط، وبتعبير آخر، لماذا لم يخلق الله بشراً معصومين ليدخلوا الجنة بسلام آمنين؟وهناك إشكالات أخرى كثيرة يطول بنا الحديث كثيراً لو أردنا سردها كلها.

الجواب عن هذه الإشكالات الثلاثة يكمن – بإيجاز شديد – في حرية الإرادة التي منحها الله تعالى لعباده. فقد خلقنا الله على الأرض واستخلفنا فيها لنعمرها بالخير والطاعة، وأعطانا الحرية ليكون للتكليف معنى، ومن هذا المنطلق كانت إمكانية الصواب والخطأ، والطاعة والمعصية، فإذا ما عصى الإنسان فإنه سيحاسب، لأن هذه المعصية جاءت نتيجة استعمال هذهالحرية التي منحها له الله تعالى.

إذاً، عقاب الله للظالمين من عباده لا يتعارض مع رحمته وكمال قدرته، لأنهم قد مُنحوا من ربهم العقل الذي هومناط التكليف، والحرية التي بوساطتها يختار الإنسان بمحض إرادته بين أن يكون طائعاً أوعاصياً، وبالتالي فإن الله تعالى إنما عاقب ذاك الذي عصى

---

(١) *Problem of Evil, From Wikipedia, the free encyclopedia, www.en. Wikipedia.org.*

وانظر الله ، الإنسان. والشر :نجيب جورج عوض، ص ١٣٥.

(٢) *Alvin Plantinga, From Wikipedia, the free encyclopedia, .www.en Wikipedia.org.*

(٣) *Encyclopedia of Philosophy : Edwards, p ٤٧٤.*

بمحض إرادته بعد أن أعلمه – عن طريق الوحي الصادق – أن هناك عقوبةً على من يفعل كذا وكذا، فالعقوبة ليست ظلماً، طالما أن هذا العاصي جاءه نذير مبين من ربه.

أما قصة سقوط آدم – عليه السلام – التي حيرّت عقول كثير من الفلاسفة، فإن حلها أيضاً يكون سهلاً إذا ما تم إقرار الإرادة الحرة سبباً لمعصيته، إذ خلق الله آدم عليه السلام حرّ الإرادة يستطيع أن يفرّق بين الخير والشر. ولهذا أمره الله أن يكون صالحاً، وكون الإنسان صالحاً يتطلب أن يكون حر الإرادة.

ولكن آدم عليه السلام عصى الله وأطاع الشيطان، عندما أكل من الشجرة فسقط، فمعصيته كانت بمحض إرادته الحرة. وهذا التفسير هوالذي سارت عليه الديانة المسيحية في تحليلها لقصة السقوط.ومسألة الحرية الإنسانية تنبع من كون الله محبة في الديانة المسيحية، فالمحبة والحرية لا ينفصلان، فحيثما توجد محبة توجد حرية، أما الإكراه الذي يلغي الحرية فإنه يلغي المحبة معه، إذ لا يمكن للسيد أن يعرف مدى حب عبده وإخلاصه له إلا إذا أعطاه حريته، والإنسان لا يكون إنساناً عاقلاً بدون حرية[١].

ومما سبق يتبين لنا لماذا لم يخلق الله عباده أبراراً معصومين، فإن هذا ببساطة يتنافى مع حرية الإرادة التي أعطاها الله للبشر، يذكر الجاحظ(ت:٢٥٥هـ) رحمه الله هذا الإشكال ويجيب عنه قائلاً:" ولمَ لم يكن الإنسان معصوماً حتى لا يحتاج إلى تلديغه بهذه المكاره؟ قلنا: إذا كان، يكون غير محمود على حسنة يأتيها، ولا يستحق الثواب عليها "[٢].

ونشير هنا إلى أن دفاع الإرادة الحرة السابق ذكره أيده كثير من الفلاسفة منهم **ديكارت** و**كانط** و**جيمس** و**رويس** و**ليبنتز**.حتى إنا لنجد أن **دستوفسكي** يستنبطمن وجود الشر دليلاً على أن في كيان الإنسان الشخصي عمقاً؛ هوعمق الحرية الذي يذيع بصفته هذه مجد الله[٣].

وإن كان في كلام بعض هؤلاء ما يتعارض مع الحرية الإنسانية بالمعنى الدقيق للكلمة ك**ليبنتز** الذي اشتهر بنظرية الانسجام الأزلي، فيقرر أن الله قد خلق النفس وكل وحدة حقيقية أخرى على نحويجعل كل ما يصدر وفقاً لطبيعتها الخاصة وبضرب من التلقائية المحضة، فتكون هذه الجواهر البسيطة(الموناد ات) كأنها مرآةٌ حيةٌ أزليةٌ للكون[٤]. إن **ليبنتز** يضحي– بهذا الكلام – بحرية الإرادة في سبيل الضرورة المعقولة؛ ضرورة تفسير الحوادث والأشياء تفسيراً تصورياً مفهوماً، ونسي أن الأخلاق بدون حرية هي أخلاق خالية من التخلق[٥].

ويعلن الفيلسوف المعاصر **برايتمان** *Brightman* أن هذا الحل لمشكلة الشر هومن أكثر الحلول التي حظيت باهتمام الفلاسفة وتأييدهم في العصور كافة[٦]، ويقول **غريغوريوس النيصي***Gregoire De Nesse*

---

(١) انظر مشكلة الشر : كاراس المحرقي، ص ٣٤–٣٦.

(٢) كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير : الجاحظ، ص ٦٨ ، ٦٩.

(٣) انظر مقالة (الله والشر والمصير) : كوستي بندلي، *www.alkalema.net* .

(٤) انظر المونادولوجيا:ليبنتز،ص ٤٩ ،وانظر مشكلات ما بعد الطبيعة:بول جانيه وجبريل سياي، ص ١٧٨–١٨٠.

(٥) انظر المذاهب الأخلاقية : د. عادل العوا ، ص ٣٢٨.

(٦) *See A Philosophy Of Religion: Brightman , P* ٢٦٠.

(٣٣٥-٣٩٤م) [١]:" لا توجد الخطية في الطبيعة بمعزل عن الإرادة الحرة[٢]".إذاً يمكننا أن نقول: إن دفاع الإرادة الحرة هو من أكثر الحلول التي لاقت قبولاً في الأوساط الفلسفية الغربية بغضّ النظر عما شاب كلام بعضهم عن الحرية الإنسانية من جبر أوما يقرب منه.

وعلى أية حال، فإن فلاسفة آخرين رفضوا هذا الحل بإنكارهم حرية الإرادة، ومن هؤلاء **توماس هوبز** و**مالبرانش** و**اسبينوزا** و**دولباخ** على خلاف بينهم في تحديد معنى الضرورة الجبرية أوالتصريح بها، وقد مرّ معنا سابقاً تفصيل كلامهم في المسألة .

وهناك فريق ثالثلم يثبت أصحابه حريةً ولا جبراً، بل عبّروا عن عجزهم وحيرتهم فيما يتعلق بمشكلة حرية الإرادة، ومن هؤلاء **برتراند رسل** الذي يقول:"مشكلة الإرادة الحرة من غير الممكن أن تصبح محلولةً بشكل قاطع"[٣]، ومثل رسل سلفه **فولتير** الذي عبّر- كما رأينا -عن حيرته تجاه ما يتعلق بالشر الخلقي من القضاء والقدر والحرية الإنسانية، فهذه المشكلة -برأيه- لم ينجح أحد في الإجابة عنها[٤]. ويصف **نيتشه** حرية الاختيار بأنها أكبر حيل المراوغةالمشبوهة التي يمارسها علماء اللاهوت الذين يهدفون إلى جعل البشرية مسؤولةً عن فساد العالم، مع أن الحقيقة تدل على أن مفهوم حرية الاختيار لا نعرف عنه إلا القليل[٥].

وإذا كانت الإرادة الحرة قد حلّت لنا مشكلة الشر الخلقي، فإن السؤال سيبقى قائماً فيما يخص الشر الطبيعي؛ إذ كيف يمكن التوفيق بين إرادة الإنسان الحرة، وبين حدوث أومنع الشرور الطبيعية؟ فالشرور الطبيعية من غير المعقول أن يكون سببها قراراتٍ تصوغها إرادة الإنسان الحرة، لذلك لجأ هؤلاء إلى الاعتقاد بأن هناك كائناتٍ خارقةً كالشياطين هي المسؤولة عن خلخلة نظام الكون وإحداث الفساد فيه، كما في الديانة الفيدية الهندية القديمة. ولكن هذا القول وجه لهكثير من النقد، ولذلك اختار غيرهم سبباً آخر هو (الخطيئة الأصلية) التي نتجت بدورها عن الإرادة الحرة [٦].

---

(١) قديس وأسقف نيص القبادوقية، وهو الأخ الأصغر لباسيليوس القيصري الكبير، كان أرثوذكسياً غيوراً في الدفاع عن العقيدة ضد الآريوسيين، شارك في مجمع القسطنطينية المسكوني(٣٨١م)، انظر الموسوعة العربية المسيحية: نؤمن بإله واحد، غريغوريوس النيصي، *www.ofm.١god.htm* .

(٢) مشكلة الشر: كاراس المحرقي، ص٢٧.

(٣) عبادة الإنسان الحر : رسل، ص ٢٠٤.

(٤) *See The Philosophical Dictionary: Voltaire: Free Will. www.history.hanover.edu.*

وانظر تيارات الفكر الفلسفي: كريسون، ص٨٠.

(٥) انظر أفول الأصنام : نيتشه، ص ٥٣.

(٦) *www.en. Wikipedia.org Problem of Evil, From Wikipedia, the free encyclopedia,.*

تعقيب :

إنكان الجدال قد كثر حول موضوع الحرية الإنسانية في الفلسفة الغربية، فإننا نجد الشيء نفسه في الفكر الإسلامي، حيث بدأ التساؤل عن القدر والحرية الإنسانية منذ عصر النبوة، ثم زاد التساؤل والخلاف فيهذه المسائل زمنَ الخلافة الراشدة، إلى أن تحول إلى صراع مرير بين فرق إسلامية عديدة كانت هذه القضية هي أساس اختلافها.

إن إقرار الحرية الإنسانية في الإسلام هو أحد الوسائل التي يمكن من خلالها تبرير وجود الشر الأخلاقي في العالم برده لفاعلية الإنسان واختياره،ومن ثم إقرار الحكمة الإلهية المترفعة عن فعل كل ما هوشر(١).

ولقد جاء الموقف الأشعري في قضية الحرية الإنسانية في موقف وسط بين الجبرية القائلين بنفي أي قدرة أوفاعلية للإنسان، وبالتالي فهومجبور على أفعاله يفعل كما تفعل سائر الجمادات، والأفعال إنما تنسب للإنسان مجازاً، وبين رأي القدرية والمعتزلة القائلين إن الإنسان مُحدِثٌ لأفعال نفسه(٢)، فنفى هؤلاء إرادة الله تعالى لأفعال عباده، فقرر الأشاعرة أن الأفعال التي يخلقها الله تعالى في كيان الإنسان تابعة لقصوده وعزائمه التي هي مصدر اختياره، والثواب أو العقاب الذي يستحقه، إنما هو على قصوده الصادرة من ذاته، لا على الأفعال التي هي حقاً بقدرة الله وخلقه، فالعبد له كسب وليس مجبوراً، وهذا ما يعرف بنظرية الكسب التي اشتهر بها الأشاعرة(٣).

ومما يرتبط بالكلام السابق عدم تفريق بعض الفرق الكلامية وبعض مفكري الغرب بين المحبة والرضا من جهة، وبين الإرادة من جهة أخرى، ونقول باختصار هنا: إن أهل الحق من المسلمين فرّقوا بينهما؛ فالله تعالى يريد الخير والشر، والطاعة والمعصية، ولكنه لا يرضى ولا يحب إلا الخير والطاعة(٤).

والكلام السابق يحل لنا إشكالاً طالما حيّر فلاسفة الغرب وهو: إرادة الله تعالى للشرور الخلقية من عباده؛ فكيف يكون هذا الإله كلي الصلاح وهو يريد حدوث الشرور من عباده، ومن المعلوم أن مريد الشر- بزعمهم- شرير؟ والجواب بالإضافة إلى ما سبق أن نقول: إن إرادة الله تتعلق بكل الممكنات خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، ونكتفي بدليل نقلي واحد وآخر عقلي؛ أما النقلي فهو قوله تعالى: ﴿ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ﴾[الرعد: ١١]، فأثبت الله تعالى إرادة السوء لنفسه، والدليل العقلي هو: أن الله تعالى لو لم يكن متصفاً بالإرادة لاتصف بضد من أضدادها، كالإكراه والسهو، وهذا محال عليه. أما الأمر والمحبة والرضا من الله تعالى فلا تتعلق إلا بالخير والحسن (٥).

والإنسان في الإسلام مسير ومخير؛ فهومسير في أمور لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب، كمكان الولادة وزمانها، ولون الشعر وحجم الجسدوشكله،وحركة القلب والرئتين ...إلخ. وفيما عدا ذلك فهومخير يفعل ما يشاء بين الولادة والموت، بغض النظر عن الدافع

---

(١) انظر الغائية عند الأشاعرة:نوران الجزيري، ص١٣٣.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة المنسوب للقاضي عبد الجبار، ص٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) انظر الإنصاف: الباقلاني، ص ٤٣، ٤٤، وانظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله تعالى:د.البوطي، ص٤٦، وتجدر الإشارة هنا إلى أن نظرية الكسب هذه التي قال بها الأشاعرة كانت محط نقد من بعض أهل العلم، ومنهم ابن تيمية، وكان هذا النقد من ناحيتين؛ ناحية صعوبة فهمها، حتى صار يضرب بها المثل باستحالة فهمها، والناحية الأخرى هي أنها تؤول إلى جبر، انظر الصفدية: ابن تيمية، ص ١٥١.

(٤) انظر التمهيد : النسفي، ص ٣١٤-٣١٦ .

(٥) انظر طوالع الأنوار من مطالع الأنظار : البيضاوي، ص ٢٠١، وانظر مبادئ العقيدة الإسلامية : د.مصطفى الخن، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

الذي يدفعه إلى اختيار الخير أوالشر في عمله، فحينما يفعل الإنسان الشر يكون قد فعله بمحض اختياره، ويستحق العقوبة من الله تعالى على هذا الذي فعله إذا كان مما نُهي عنه شرعاً.

أما فيما يتعلق بقول دعاة الجبر كـ**دولباخ**و**اسبينوزا**و**مالبرانش**وغيرهم ممن يعتقدون أن سلوك الإنسان عمل آلي محض، ولا يخضع لإرادة حرة في الإنسان، فهوادعاء يبطله شعور الناس جميعاً بالتفريق بين العمل الإرادي كالأكل والشرب والكلاموالنوم،والعمل الآلي في ذواتهم كالتنفس وتدفق الدم في الشرايين والارتجاف من البرد.

والدليل على الحرية الإنسانية أن التكليف متوجه على العبد بـ"افعل" و"لا تفعل"، ولولم يكن الإنسان حراً مختاراً قادراً على أفعاله قدرة حقيقية لأصبح التوجه بالأمر والنهي غير معقول لأنه غير ممكن، ومطالبةٌ للعبد بما هومحال، وبهذا ينتفي معنى التكليف والوعد والوعيد وما يستتبعهما من ثواب وعقاب، وهذا نوع من العبث يتنزه عنه العقلاء من البشر، فكيف بخالق السموات والأرض الإله الحكيم العدل ؟[1] .

وللفيلسوف البريطاني **ولتر ستيس**(ت:١٩٦٧م) تعليق مهم في هذه المسألة حيث يذكر أن أولئك الذين ينكرون الإرادة الحرة، إنما يفعلون ذلك في اللحظات التي يزاولون فيها حرفتهم، أي في دراساتهم وقاعات المحاضرات فقط، لأنه عندما تحين الفرصة لإجراء أي عمل، فإن مسلكهم يدل على إيمانهم بالحرية؛ فهم يستفسرون منك أثناء تناول الطعام أي طبق تريد؟ ويسألون الطفل عن السبب الذي دفعه إلى الكذب، ويوقعون العقوبة عليه لأنه لم يختر جانب الصدق، وجميع هذه الأفعال تدل دلالةً واضحةً على إيمانهم بالإرادة الحرة[2]،ونزيد على هذا الذي قاله **ستيس**:إن الذي ينكر حرية الإرادة إنما ينكرها مستعملاً حرية إرادته.

وإذا سأل سائل: لماذا لا يتدخل الله ليمنع هذا الشر أوذلك الذنب؟ فنقول: لووجب تدخل الله تعالى عند كل شر لسقطت ضرورة الثواب والعقاب، ولسقطت الإرادة الحرة للإنسان، ولأصبح الإنسان مسيراً بشكل كامل، وفي هذه الحال سيكون عقاب الله ظلماً على من كانت أفعاله جبراً عليه، والظلم محال على الله تعالى[3].

لذلك نرى – في هذه الحياة الدنيا – ظالمين يفعلون ما يشاؤون، ومظلومين لا يجدون من ينتصر لهم، ونشاهد أهل الباطل يصولون ويجولون، والمستضعفين من الرجال والنساءوالولدان لا يجدون ولياً ولا نصيراً، ولكن أهل الإيمان يعلمون أنهذا كله امتحان من الله عز وجل حيث سلّط عليهم هؤلاء الظلمة، يقول ابن الجوزي رحمه الله(ت:٥٩٧هـ):" أترى إذا أُريد اتخاذ شهداء، فكيف لا يُخلق أقوام يبسطون أيديهم لقتل المؤمنين، أفيجوز أن يَفتك بعمرَ إلا مثلُ أبي لؤلؤة؟ وبعليّ إلا مثلُ ابن ملجم؟ وبيحيى بن زكريا – عليه السلام – إلا جبار كافر؟ " [4].

وقد نتساءل هنا، لماذا جعل الله هؤلاء ظالمين وأولئك مظلومين، ليكون بعد ذلك مصير قوم إلى الجنة، وآخرين إلى النار؟ الجواب: أن الله تعالى يضل الفاسقين ويجعل فسقهم سبب ضلالهم، كما أن الله هوالرزّاق، ولكن الإنسان هوالذي يقوم بتحصيل أسباب الرزق، فالذين لم يشأ الله لهم الهدى هم الذين لا خير فيهم بسبب إعراضهم واتخاذهم الغيّ سبيلاً ﴿ ﮪ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ

---

(١) انظر الغائية عند الأشاعرة : نوران الجزيري، ص ١٨٠ .

(٢) انظر الفلسفة وقضايا العصر مقالات وأبحاث:جون.ر.بورر وميلتون جولدينجر،ت:أحمد حمدي محمود،٦١/١ .

(٣) انظر البحث عن الحقيقة الكبرى : عصام قصاب ، ص ١٦٨ .

(٤) صيد الخاطر : ابن الجوزي، ص ٩٣ .

ﭐ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭑ[الأنفال: ٢٣]،فهؤلاء اختاروا بإرادتهم الحرة الضلال والانحراف، وكان الجزاء من الله من جنس العمل، فأزاغ الله قلوبهم، أما المهتدون فقد اختاروا طريق الحق، فهداهم الله تعالى ووفقهم إلى الخير لما كان عندهم من استعداد للخير والإيمان(١).

نخلص مما سبق أن الحرية الإنسانية هي علة الشر الخلقي، ولا دور لهذه الحرية فيما يتعلق بالشرور الطبيعية من حيث وجودها أوعدمها، إلا إذا تكلمنا عن موقف الإنسان من هذه الشرور من حيث صبره وتسليمه لخالق الخير والشر، ومن هنا يصبح كلام أولئك الذين يعترضون على دفاع الإرادة الحرة قائلين: وهل تستحق الحرية كل هذه المحن والشرور؟(٢) كلاماً لا معنى له، وأظن أن الجواب عن هذا السؤال واضح مما سبق.

وفي نهاية الكلام عن مسألة حرية الإرادة نلفت الانتباه إلى ذلك الجدل الكبير الذي أثير في الأوساط الفلسفية واللاهوتية الغربية حول قابلية الإنسان للوقوع في الإثم، مع أنه مخلوق على صورة الله(٣)،تقول سوزان نيمان*Suzan Nieman*:" ربما يكون جمال الطبيعة وانضباط قوانينها شهادةً بحكمة الخالق، ولكن المخلوق الذي خُلق في صورة الخالق لا يعكس هذه الحكمة، فإذا تأملنا تاريخ الجنس البشري وظلمه نجد أن وصف الخالق بالحكمة والجمال يصبح وصفاً لا يمكن الدفاع عنه"(٤).

وجواباً عن هذا الإشكال نشير أولاً إلى أن فكرة كون الإنسان مخلوقاً على صورة الله هي فكرة صحيحة وردت في حديث صحيح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :"**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا**"(٥)، ولكن الحديث لا يُفهم منه أن الإنسان سيكون معصوماً؛ إذ معنى "**عَلَى صُورَتِهِ**": أي على صفة الله تعالى من العلم والحياة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك، وإن كانت صفاته تعالى لا يشبهها شيء(٦)، وذهب فريق آخر من العلماء إلى أن صفة "الصورة" الواردة في هذا الحديث هي من الصفات الإلهية التي ينبغي إمرارها كما جاءت من غير اعتقاد تشبيه(٧).

---

(١) انظر عقيدة المؤمن : أبوبكر الجزائري، ص ٣٨٨، وانظر الإيمان بالقضاء والقدر : د.عبد السلام التونجي، ص٨٧ ، ٨٨.

(٢) *See The Problem of Evil, www.angelfire.com.*

(٣) *See Principles of Christian Theology:John Macquarrie,p٢٣٨.*

(٤)*Evil in Modern Thought:Suzan Nieman, p ٩٥.*

(٥) صحيح البخاري : كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، رقم (٦٢٢٧)، ٨ / ٥٠.

(٦) انظر فتح الباري : ابن حجر العسقلاني، ٣/١١ .

(٧) انظر إلجام العوام عن علم الكلام : الغزالي، ت: رياض مصطفى العبد الله، ص ٥٠ .

لمطلب الرابع:

الآخرة

زبدة هذا الحل أن الشرور التي تصيب الإنسان في الدنيا ستكون عاقبتها في الآخرة ثواباً عظيماً من الله تعالى لعباده الذين صبروا على ما أصابهم،فمن اعتقد بوجود حياة خالدة بعد الموت، فإن هذا من شأنه أن يخفّف عن أصحابه وقع الشدائد والنوازل، ما دام هناك جزاء حسن ينتظرهم يوم القيامة.

وكان هذا الحل، كغيره من الحلول الأخرى، محل رفض من قبل بعض الفلاسفة وقبول من قبل آخرين، وسبب خلافهم هو إيمان ذلك الفيلسوف بالآخرة أوعدمه، فمن آمن بيوم آخر يجزى فيه العباد بما عملوا، علم أن هناك جزاءً عادلاً لمن صبر،ومن الفلاسفة الذين ذكروا هذا الحل **جوزيا رويس**إذ يقول :" دعنا ننسَ للحظة حياتنا ووجودنا المحدود، بكل شكوكه ومشكلاته، ونتطلع لتصور الحياة اللامتناهية، ففي هذه الحياة تحيا كل الحقائق في وحدة وفي لحظة أبدية واحدة " [١].

ومن قبل **رويس مالبرانش**الذي قرر أن ما يعانيه الإنسان في حياته إنما هوفي سبيل العمل من أجل الآخرة الأبدية السعيدة[٢]. هذا بالإضافة إلى **ليبنتز** و**ديكارت** و**روسو**،و**راندي ألكورن***Alcorn*الذي ذكر أن نعيم الجنة سيعوض المعاناة التي كانت على ظهر الأرض[٣].

ولكن هذا الحل لم يرق لبعض الفلاسفة ك**نيتشه**و**رسل**و**دولباخ**، يقول هذا الأخير ساخراً ومستنكراً:" ويعلمناعلماءاللاهوتأنهذهالصعوباتستحلفيحياةمقبلة" [٤]،ويقول **نيتشه**: " لا تصدقوا من يمنونكمبآمال تتعالى فوقها(أي الأرض)،إنهم يعللونكم بالمحال فيدسون لكم السم"[٥].

أما **برتراند رسل**–ذوالمنطق الرياضي والمنهج العلمي– فإنه ينكر الآخرة إنكاراًينسجم – بزعمه – مع التفكير العلمي السديد، فيقول: "إذا نظرت للمسألة من وجهة نظر علمية، فإنك ستقول: أنا لا أعرف غير هذا العالم، ولا أعلم شيئاً عن بقية الكون، ولكن من خلال دراسة كل الاحتمالات الممكنة، يمكن لأحد ما أن يقرر أن هذا العالم خلوٌ من الظلم، والاحتمال الآخر، هو أن هناك ظلماً في هذا العالم، وبالتالي هناك ظلم في أي عالم آخر "،ويضرب **رسل** مثالاً يوضح به كلامه قائلاً:" لوافترضنا أن لدينا قفص برتقال، ولدى فتحه وجدنا أن الطبقة العلوية سيئة، فإنه من غير المقبول أن يقول أحد:إن الطبقات السفلية لا بد أن تكون جيدة ..." [٦].ويرى هذا الفيلسوف أيضاً أن التزام الناس بالدين والإيمان بغيبياته من آخرة وجنة ونار إنما جاء بسبب الصدى الانفعالي الذي يحدثه الخوف من الموت، وأن هذا الإيمان يبدوبدون أي مرتكز أو أساس علمي[٧].

---

(١) الجانب الديني للفلسفة : رويس، ص ٣١٤ .

(٢) انظر الفلسفة الحديثة والنص : د. راوية عبد المنعم عباس ، ص ١٤١.

(٣) *www.en. Wikipedia.orgProblem of Evil,From Wikipedia,the free encyclopedia,*

(٤) تكوين العقل الحديث : راندل ، ص٤٤١.

(٥) هكذا تكلم زرادشت : نيتشه، ص ٦.

(٦) *www.en. Wikipedia.org . Problem of Evil,From Wikipedia,the free encyclopedia*

(٧) *See Why Am I Not A Christian:Russel,p٢٠.* وانظر كواشف زيوف : الميداني، ص٤٨٢ .

وعلى أية حال، إن من أنكر وجود الله تعالى أوشكّ به، ورفض الوحي بعد ذلك طريقاً للعلم فإنه من الطبيعي أن ينكر الآخرة، والشيء العجيب حقاً أن يستدل فيلسوف عالم كرسل على نفي الآخرة بعدم خضوع الإيمان بالآخرة للمقاييس العلمية التجريبية التي تخضع لها ظواهر هذا الكون المادية، في ظروف الحياة الدنيا التي نعيش فيها، مع أن الدار الآخرة، والحياةالأخرى، لا تخضعان لهذه المقاييس، لأنهما وراء ستار الغيب الذي أخبر عنه خالقه. إن رسل بقياسه هذا يشبه من يزن الضغط الجوي بميزان البقّال، أويزن الكثافة بميزان الحرارة [1].

إن الحياة الحقيقية الباقية عند المسلمين إنما هي الآخرة لا الدنيا، وإذا كان الكرام الأبرار لا يجدون جزاءهم في هذه الدار، ففي الآخرة خير عزاء وجزاء، ذلك ما يقضي به العقلوالدين معاً:ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ[العنكبوت: ٦٤].

أما أولئك الفلاسفة، فخطؤهم أنهم جعلوا الحياة الدنيا هي الغاية، ولم يصلوا إلى ما يطمئن عقولهم ويهدّأ نفوسهم. يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى (ت:١٩٩٨م):" إن مفاهيم الخير والشر بالنسبة لكثير من الناس تتركز على أسس دنيوية، لذلك نراهم بائسين في الدنيا، وخاسرين في الآخرة"[2].

بقي أن نشير هنا إلى أن أهل الاعتزال يعدون الإيمان بالآخرة ضرورةً عقليةً تقتضيها الأخلاق، ومن المعلوم أن من أصولهم الوعد والوعيد المستمد من أصل العدل حيث تقتضي العدالة المطلقة لله أن يثيب الأخيار ويعاقب الأشرار[3].

ويتلخص الفهم المعتزلي لليوم الآخر في كلمة(الاستحقاق)؛ فالإنسان يستحق بطاعته الثواب وعلى معصيته العقاب، وضرورة العقاب لطف من حيث إنه زاجر عن ارتكاب القبائح كما يزجره خوف العقاب [4]، وللمعتزلة تفصيل أوسع في هذه المسائل ليس هذا محلّ بسطها.

---

(١) انظر كواشف زيوف : الميداني ، ص ٤٩٦.

(٢) الخير والشر : الشعراوي ، ص٤.

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة المنسوبللقاضي عبد الجبار ، ص ١٣٣.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٥٠٣، وانظر نظرية التكليف : عبد الكريم عثمان ، ص ٤٧٥ .

المطلب الخامس:

الشر عدم

يرى جمع من الفلاسفة أن الشر غير موجود وجوداً حقيقياً، فالشر سلبي في طبيعته؛ وما هو إلا غياب للخير.وهوالحل الذي سارت عليه الديانة المسيحية في حلها لمشكلة الشر،حتى إن القديس **أنومورو** *Anomorow* أنكر وجود الشر وعدّه خيراً أسيء تأويله، وأفضى به ذلك في النهاية إلى الإقرار بأن إبليس نفسه من طبيعة خيرة(١).

ويفصّل هؤلاء في أنواع الشر؛فالشر الخلقي ما هوفي الواقع إلا غياب للفعل الحسن من الإرادة الحرة، والعمى كذلك الذي هوشر مادي (جسدي) هوغياب للبصر(٢)، كما أنالظلام ما هوفي حقيقته إلا انعدام للنور، والبرد ما هو إلا غياب للدفء، وهكذا الشرور كلها، ما هي في حقيقتها إلا أعدام، أوبتعبير آخر، هي انحراف عن الخير(٣)،إذاً الشر ليس مادةً ولا شيئاً ملموساً، وكما يقول القديس **أوغسطين:**" لا يمكن للشر أن يكون جوهراً، بل هو فقدان الخير"(٤).

والذي جعل هؤلاء الفلاسفة يذهبون هذا المذهب هو أنهم لم يجدوا أمامهم من سبيل إلا إنكار الله أو إنكار الوجود الحقيقي للشر، فضحّوا بالثاني كي يبقوا على الأول، فالقائلون بعدمية الشر أووهميته أرادوا تقديم حل جذري لمشكلة الشر،أما الديانة المسيحية فقد انطلقت من أصلها المشهور (الله محبة)، وما دام اللهكذلك، فالشر- بناء على ذلك - ليس له وجود، فالله إذاً لم يخلق الشر وإنما سمح بوجوده، ويمكن للإنسان أن يرفض هذا الشر لأنه مخلوق ذو إرادة حرة(٥).

ويمكن الرد-كما يرى**ولتر ستيس**(ت:١٩٦٧م)- على فكرة عدمية الشر بأنهإذا قُدّرلأي شيء أن يكون جزءاً من صميم خبرتنا، فإن في هذا وحده ما يثبت أنه موجود، سواء أراق لنا أن نسميه إيجابياً أوسلبياً، وقد يقال إن الظلام هوانعدام النور، ولكن ظلمة الليل واقعة إيجابية داخلة في تجربتنا كما نجرب نور النهار(٦)،ويمكن أن يقال هنا: لماذا لا يكون النور هوانعدام الظلام، والخير هوغياب الشر، وهل هناك دليل حسي على قولهم إن الشر هوانعدام الخير؟ إن الحس والواقع يكذب هذا الزعم.

إن الشر له وجود مادي، وليس هوعبارة عن غياب الخير، والشر له رجاله وجنوده وخططه ووسائله التي لا تخفى على ذي بصر، وليس الشر مجرد حالة عارضة لم توجد إلا لغياب ما خلقه الله من الخير، وإنما هوخلق مقصود موجود غير معدوم خلقه الله بإرادته الكونية خلقاً مقصوداً لغاية هي جزء من غاية خلق الحياة الدنيا نفسها، فالله تعالى خلق الأخيار وأفعالهم، وخلق الأشرار وأفعالهم، فالخير

---

(١) انظر مقالة مشكلة الشر في الوعي المسيحي:تيسير الفارس العفيشات، *www.tabeeri.com* وانظر الله،الإنسان والشر:نجيب جورج عوض، ص ١٢٩.

(٢) *See Medieval Philosophy:Copleston,p ١٨.*

(٣) انظر مشكلة الشر : كاراس المحرقي ، ص ٣٢.

(٤) مدينة الله:أوغسطين، ٣٥/٢ ، ٣٦، وانظر الله والشر والمصير:كوستي بندلي، *www.alkalema.net* .

(٥) انظر الله والشر والمصير: كوستي بندلي، *www.alkalema.net* .

(٦) انظر الزمان والأزل : ستيس ، ص١٣٨.

والشر مخلوقان، وكلاهما يعملان في الدنيا لتمام الغاية التي من أجلها خلقت السموات والأرض جميعاً؛ ألا وهي ابتلاء الثقلين المكلفين بالإيمان والاختيار والعمل[١].

إن التعميم بأن كل الشرور هي عبارة عن أعدام فيه إشكال حقيقي، فمن الصعب على كثير من الناس قبول هذا الحل، لا سيما أولئك الذين اكتووا بنار الشر وتجرعوا آلامه المختلفة [٢].

وليس معنى كلامنا السابق أن الشر في كل أحواله شيء وجودي، فقد يكون الشر شيئاً وجودياً مثل انشغال القلب بالتفكير في فعل الشر، وقد يكون أمراً عدمياً مثل فراغ القلب من التفكير في فعل الخير، والشر العدمي سبب في الشر الوجودي[٣].ونزيد هذا الكلام بياناً فنقول: إن الشر نوعان؛ إما شر محض من كل وجه، وهومعدوم أصلاً، وإما شر نسبي إضافي من وجه دون وجه، وهذا الشر النسبي الإضافي قسمان: الأول: شر عدمي، وهوعدم أمر ضروري لوجود الشيء كالنفس، أوبقائه واستمراره كالغذاء، أوكماله كالبصروالسمع، أوعدم أمر غير ضروري، لكن وجوده خير من عدمه، كالعلم بما لا يضر الجهل به من بعض دقائق العلوم. وهذا القسم هوشر معدوم لم يخلقه الله. والثاني: شر وجودي، كوجود الألم والبرد الشديد والحرق والغرق [٤].

وللفخر الرازي رحمه الله تعالى(ت:٦٠٦هـ) تفصيل آخر في مسألة عدمية الشر، إذ يذهب إلى أن الشر إما أن يقع على الذات أوالصفات أوالأفعال، فالشر في الذات عدم، لأن هذا الشر الذي حصل قد حصل لأنه أزال هذه الذات، أوعدمت الذات عن كمالها فهونقص، والنقص هوالشر، والشر ما هو إلا زوال وفقد فكان عدماً، والشرفي الصفات عدم، فإنالعمى والصم والبكم شرور،وهي مفهومات عدمية، لأن العمى عبارة عن عدم البصر عما من شأنه أن يكون بصيراً . وأما الشر في الأفعال فمعناه الإيلام، ولا شك أنه معنى موجود[٥].

أما الأصل الذي اعتمد عليه أتباع المسيحية من أن الله محبة، وبالتالي لا وجود حقيقةً للشر، فهذه عبارة فضفاضة يسيء الكثيرون فهمها ويحملونها معنى مطلقاً، ويتصورون أن الله محبة على الإطلاق، وهذا غير صحيح، فهل يحب الله الظلم والظالمين؟ إن الله تعالى غفور رحيم، وهذا لا شك فيه أبداً، ولكن الله شديد العقاب أيضاً [٦].

وفكرة عدمية الشر قريبة من فكرة كون الشر وهماً، وأنه عرض زائل يتبعه الخير الدائم، ومن الواضح كما يقول العقاد:" أن هذا الحل لا يفض الإشكال، ولا يغني عن التماس الحلول الأخرى التي تريح ضمير المعتقد به فضلاً عن المعترضين عليه. إذ لا نزاع في تفضيل اللذة الموهومة على الألم الموهوم، ولا يزال الاعتراض على الألم لغير ضرورة قائماً في العقول ما دام في الإمكان أن تحل لذاتنا الموهومة محل آلامنا الموهومة "[٧].

---

(١) انظر مقالة (تحليل قصة المناظرة في خلق الشر): حمادة، www.eltwhed.com .

(٢) انظر معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة : محمد التميمي ، ص ٤.

(٣) موسوعة المفاهيم، مادة(الشر): محمد السيد الجليند، www.elazhar.com .

(٤) انظر النجاة في المنطق والإلهيات : ابن سينا، ص ١٤٥ ،١٤٦، وانظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل:ابن القيم، ص ٣٠٥.

(٥) انظر المطالب العالية : الرازي ، ٨٩/٤.

(٦) انظر رحلتي من الشك إلى الإيمان: مصطفى محمود، ص ٥٩.

(٧) حقائق الإسلام أباطيل خصومه: العقاد ص٧، وانظر Science and Health: Eddy,p٤٨٠.

وأصحاب هذه النظرة المثالية التفاؤلية غالوا في الاستخفاف بالشر والحط من شأنه، وهذا إفراط لا مسوغ له[١]، كما أن هذا الزعم يمثل مشكلةً لا حلاً[٢]،والذين يتبنون هذا الحل في الأوساط الغربية يسمون صوفية[٣].

(١) انظر الله، الإنسان والشر : نجيب جورج عوض، ص١٦.

(٢)*See Problem of Evil, From Wikipedia, the free encyclopedia, www.en.Wikipedia.org.*

(٣) انظر عبادة الإنسان الحر: رسل ، ص ٣٠.

المطلب السادس:

نتائج الخطايا

إجابة أخرى محتملة هي أن الكون أصبح فاسداً بسبب ذنوب بني آدم (وهذا قريب من فكرة الخطيئة الأصلية).وقد أدلى بعضهم بحجة مفادها أنه بسبب الإثم سقط العالم من نعمة الله، فأصبح ناقصاً، لذلك استمرت الشرور والعيوب بسبب سقوط العالم. وقد اعترض على هذا الحل بسؤال: لماذا لم يخلق الله إنساناً لا يذنب. وأجيب عن هذا الاعتراض بأن الله أراد أن يكون الإنسان حر الإرادة [١].

في المسيحية كانت معصية آدم عليه السلام سبب السقوط، وقد عبّر **أوغسطين** عن ذلك بقوله:"العذابات سببها الخطايا"[٢]،ويذكر في اليهودية أيضاً أن يهوى (الله) لم يكن أمامه، وهو يرى لامبالاة شعب إسرائيل بوصاياه وأوامره، إلا أن يعلمهم من هو الله الذي يجب أن تسود إرادته، فأنزل بهم العذاب تأديباً لهم[٣]، وقد كان لهذا تأثير في بعض الفلاسفة، فأيّدوا فكرة حدوث الشرور التي تصيب الناس بسبب معاصيهم، وبالمقابل فإن آخرين أنكروا هذه العلاقة بين المصائب والذنوب.

وكان **ليبنتز** ممن أيّد حدوث الشرور بسبب الذنوبفقال:" أحياناً يكون (الشر الطبيعي) عقوبةً لذنب من الذنوب، وأحياناً يكون وسيلةً مناسبةً لبلوغ هدف معين؛ أي لمنع شر أعظم أوللحصول على خير أعظم، كذلك تكون العقوبة سبيلاً للإصلاح والترهيب [٤]".

أما **فولتير** فقد أنكر أن يكون زلزال (لشبونة) قد حدث بسبب ذنوب الناس وخطاياهم، بل إنه استشاط غضباً لهذا التفسير الذي أخذ به بعض رجال الكنيسة في ذلك الوقت[٥]،ونظر **اسبينوزا** إلى ما يذكر في الكتب المقدسة من غضب الله وإنزاله العذاب على الناس بسبب خطاياهم أنه – في الحقيقة – إبداع شعريومحض قصص خيالية كتبتها أيد بشرية، ولا علاقة لها بالوحي الإلهي[٦]، وكذلك الحال بالنسبة لـ**ريكور**، فقد رفض أيّ علاقة بين الآلام والذنوب[٧].

---

(١) *Problem of Evil,From Wikipedia,the free encyclopedia, www.en.Wikipedia.org.*

(٢) مدينة الله: أوغسطين، ١٧٣/٣.

(٣) انظر أديان العالم: د.هوستن سميث، ت: سعد رستم،ص٣٦٦، وانظر سفر عاموس، ٦/٢-٧ .

(٤) *Theodicy: Liebnz, p٨٣, pp٨٣.*

(٥) انظر قصة الحضارة : ول ديورانت، ٣٨/ ١٧١.

(٦) انظر رسالة في اللاهوت والسياسة : اسبينوزا ، ت:د.حسن حنفي ، ص ٢٣٣.

(٧) انظر فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : ريكور، ص ٤١١ ، ٤١٢ .

النظرة الإسلامية لعلاقة الخطيئة بالمصيبة:

إن الله تعالى أقام مظاهر الكون كلها على أساس تعلق الأسباب بمسبباتها، فلا يحدث شيء في الكون إلا وله سببٌ أدى إلى حدوثه. ولكن الإنسان كثيراً ما يقصر هذا القانون على الأسباب المادية البحتة التي أدرك سببيتها، ويرفض السببية القائمة على الأسباب المعنوية البحتة.والسؤال هنا: ما الذي يجعل الإنسان يعترف بقانون السببية هنا، وينفيه هناك، ما دام الكون وحدة مترابطة، وما دام خالق الكون قد أخبرنا – عن طريق الوحي– أن مصيبةً ما قد حدثت لأمة نتيجة معصية ارتكبت أومخالفة وقعت؟[1].إنه لا دليل سوى الجهل والهوى.

وباستقراء تاريخ الأمم نجد أنّ ما من أمة آمنت بالله واستجابت لرسله إلا رتّب الله تعالى على إيمانها نتائج مادية من تمكين في الأرض وبناء للحضارة أووفرة في الرزق والمال أو الغلبة على الأعداء أوغير ذلك من متع دنيوية.وما من أمة كفرت بالله وكذبت رسله إلا عاقبها الله بأصناف شتى من العذاب[2] .

والدليل على ما سبق قوله تعالى :ﮋ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □

جزاءهم. وهنا تعرض لنا شبهة: لماذا لا يعاقب الله باقي العصاة في العالم كله، وخاصة في البلاد التي كثر فيها الخبث؟ وهذا التساؤل يصدر من المؤمنين والكافرين على سواء،والجواب:

أولاً:إن الله يعجل العقاب لمن يشاء، ويؤخره عمّن يشاء﴿ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[الأنبياء:٢٣] .

ثانياً:لو أراد الله أن يحاسب الناس على ما يفعلونه في حياتهم لأهلك الناس جميعاً﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

الممنوحة للعبد من قبل الله تعالى، وإذا افترضنا أن الشر الواقع على الأطفال شر طبيعي خالص، لا بد أن نذكّر بأن الحياة الدنيا دار ابتلاء واختبار؛ اختبار لذوي هذا الطفل، أيصبرون أم يجزعون؟ ونحن بدورنا نسأل هؤلاء: ما المانع أن تكون المصيبة الواقعة على جماعة من الناس عقاباً لبعضهم وابتلاءً لآخرين، أولحكم أخرى قد لا ندركها لفريق ثالث.

ونذكّر أخيراً بأن عقيدة (الكارما) المشهورة في الديانة الهندوسية تدل على أن شهواتنا وخطايانا سبب شقائنا والشرور التي تحيق بنا،وهذا عكس مفهوم الخطيئة الأصلية[1]،ومرّ معنا سابقاً أن المجتمع البابلي في الألف الثالث قبل الميلاد كان يفسّر ما يصيب أفراده من شرور بانتهاكهم الأوامر الدينية والمحرمات الأخلاقية[2]، وقديماً ذكر كونفوشيوس:" لو ارتكبت ما لا يليق غضبت السماء عليّ"[3]، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنما يدلّ على قدم هذا الحل .

---

(٣) *Encyclopediaof Religion:Lindsay Jones:,٥/٢٩٠١.*

(٢) انظر الألوهية في المعتقدات الوثنية: فاروق الدملوجي، ص ٥٥.

(٣) كتاب الحوار :كونفوشيوس،ت: محمد مكين، ص ٦١ .

المطلب السابع:

العلم البشري المحدود

طبقاً لمعرفة البشر المحدودة، فإنه غير مُتوقعٍ منهم أن يفهموا خطة الله الكلية،فعندما يأخذ والدٌ طفله إلى طبيب ليتلقى لقاحاً منتظماً ليمنع عنه بعض أمراض الطفولة، فإن هذا يرجع إلى رأفة الوالد بابنه وحبه له. لكن هذا الغلام الصغير سينظر دائماً لهذه الأمور بشكل مختلف. نخلص من ذلك أنه كما أن الطفل الصغير من غير الممكن له أن يفهم الدوافع وراء ما يفعله أبوه له، فالناس كذلك لا يمكنهم أن يدركوا إرادة الله وحكمته في ما يصيبهم في حياتهم [1].

ولووقفت نملة تنظر إلى عالم رياضي يحل مسألة رياضية ويكتب على سبورة أمامه مئات الحروف والأرقام، فهل ستعلم النملة معنى أوحكمة ما يفعله ذلك الإنسان؟ بل لووقف إنسان جاهل بالرياضة فإنه لن يفهم شيئاً أيضاً.

فإذا كانت بعض الخلائق لا تستطيع إدراك حكمة وحقيقة ما تفعله الخلائق الأخرى، لاختلافها في رتبة الخليقة،وحتى لوكانا في المرتبة نفسها، فكيف سيفهم ويدرك عبد ذليل ضعيف حكمة الله تعالى؟

ومهما كانت الفجوة شاسعة وكبيرة في العلم والمعرفة بين مخلوق وآخر، فإن هذا الفرق لن يصل بحال من الأحوال إلى درجة الفرق بين علم الخالق وعلم المخلوق. إن الطفل الصغير قد لا يفهم حكمة والديه في عقابه على خطأ ما، فكيف يفهم هذا الإنسان الجاهل الضعيف حكم الله تعالى في أفعاله**ژ □ □ □ □ □ ى ژ**[الإسراء: ٨٥].

وإذا كنا نقر لأهل التخصص في تخصصهم، وهم من البشر، دون أن نناقشهم فيما يقولون ويقررون كالأطباء والمهندسين وغيرهم، وذلك لأن مستوانا التعليمي لا يسمح لنا بفهم كل ما يذكرونه، أفلا نقر للعليم الخبير الذي لا يغيب عن علمه شيء بأن ما يتصرف به في شؤون خلقه- ونحن لا نفهمه - أنه هوالحكمة والصواب.

وإذا ما أردنا تطبيق الكلام السابق على مسألة الشرور التي تصيب الإنسان، فإن هذا الإنسان الجاهل الضعيف لن يدرك - بحال من الأحوال - حكمة الله في أفعاله، بل إنه يحسب الخير شراًوالشر خيراً. فالله تعالى سمّىالمال والولد فتنةً، فقال :**ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ج ج ج ج چ چ چ چ ژ**[الأنفال: ٢٨]، في حين أن الإنسان يراهما نعماً خالصةً.

وكثيراً ما نرى الملاحدة وتلامذتهم يستدلون بالمصائب التي تنزل بالأبرياء على أنها دليل قاطع على عدم وجود الله، والرد عليهم أن يقال: إن المصائب التي تجري على الأبرياء، بل وعلى جميع الناس، ليس بالضرورة أن تكون عقوبةً، بل قد تكون رحمةً من الله،فليست العقوبة هي الحكمة الوحيدة للشر، بل هناك حكم كثيرةنعرف بعضها ونجهل أكثرها،لكن المشكلة أن عقولنا قاصرة عن فهم ذلك. فوجود الشر إذاًليس دليلاً على عدم وجود الله.

وهذا الحل ارتضاه كثير من فلاسفة اللاهوت المسيحيين وغيرهم، **فليبنتز** -كما رأينا- يقرر أن حقائق الدين فوق العقل البشري المحدود،وحاول أن يوجد - بعقله المحدود - تفسيراً لمشكلة الشر[2]، ولكن الفيلسوف **كانط** لم يعجبه صنيع **ليبنتز**وغيره في سعيهم لإيجاد

---

(١) *See Problem of Evil,From Wikipedia,the free encyclopedia, www.en.Wikipedia.org .*

(٢) انظر أبحاث جديدة في الفهم الإنساني: ليبنتز، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

حلول لهذه المشكلة،فيقرر **كانط** أن للعقل حدوداً لا ينبغي تجاوزها، ومن ثم فإن جميع المحاولات الفلسفية في العدل الإلهي هي محاولات فاشلة، لذلك كتب مقاله (عن فشل جميع المحاولات الفلسفية في العدل الإلهي) [١].

ومن ناحيته يرى **كانط** أن الشر موجود في العالم، وأن المدافعين عن الحكمة الإلهية من وجوده أشبه بالتلاميذ اللاهوتيين الذين التفوا حول النبي أيوب عليه السلام عند ابتلائه محاولين معرفة حكمة الله من هذا الابتلاء، فللعقل حدود لا ينبغي تجاوزها، ومن ثم فإن جميع المحاولات التي تخوض في عالم ما بعد الطبيعة– عندما تسعى إلى تبين طبيعة المقصد الإلهي وحكمته – هي محاولات فاشلة[٢].

أما **رويس** فلم يكن رأيه بعيداً عن هذه الآراء السابقة، فقد قرر أنهمن الصعب أن يحيط العقل البشري المحدود بفهم مشكلة الشر، ولذلك ينبغي لنا أن نسلم أنها أمور فوق إدراكنا، ولكنها أشياء واضحة بالنسبة إلى الله، يقول **رويس** :" الموت وآلام الحياة ...وانهيار الآمال وقسوة القدر، كلها أمور، يجب أن نتعلم أن ننظر لأيّها بوصفها أموراً غامضةً بالنسبة لنا، وواضحة ومبررة منطقياً بالنسبة لله، لأنه يعرفها معرفة كاملة "[٣].

وفي الفكر الإسلامي نجد الشيء نفسه، فهذا الجاحظ المعتزلي(ت:٢٥٥هـ) يتكلم عن أولئك الذين زعموا أن المخلوقات مهملة لا صنعة فيها ولا تقدير فيصفهمبأنهم:" بمنزلة عميان دخلوا داراً قد أُتقن بناؤها أحسن إتقان، وفرشت أحسن فرش...فجعلوا يسعون فيها محجوبةً أبصارهم، فلا يبصرون هيئة الدار وما أعدّ فيها، وربما عثر الواحد منهم بالشيء قد وضع موضعه وأعد لشأنه، وهوجاهل بالمعنى فيه، فتذمّر وتسخّط وذمّ الدار وبانيها "[٤].وتارة أخرى يشبههم الجاحظ بالصبيان الذين يذمون الأدوية المرة البشعة [٥].

ونزيد الكلام توضيحاً فنقول: إن الإنسان بطبيعته يجهل أين يكمن الخير، وأين يكمن الشر، فنظرته محصورة وضيقة، وكثيراً ما ينظر للأمور من خلال نفسه ومصالحها، ويجعل مصلحته الشخصية محوراً لتقييم ما يحدث من خير أوشر،فعندما يرى أن هذه الحادثة أوتلك عادت على شخصه أوذويه بالإضرار، ينبري من فوره إلى وصفها بالشرور والآفات، وسبب هذا أنه ينظر إلى هذه الظواهر من منظار خاص، ويتجاهل غير نفسه في العالم [٦].

سبب آخر يجعل الناس لا يدركون حقائق الأمور كما هي، هوالرؤية القاصرة التي تتناول جانباً جزئياً صغيراً جداً من المجموع الكلي الكبير، والتي لا تسمح لصاحبها أن يدرك معاني الحكمة الكلية، وتجعله بالتالي يصدر أحكاماً باطلةً مبنيةً على رؤيته هذه

---

(١) انظر رواد الفلسفة المثالية: د.عثمان أمين، ص٢٥٥،وانظر مدخل إلى فلسفة الدين:الخشت،ص١٣٤، ١٣٥.

(٢) انظر المرجع السابق.

(٣) الجانب الديني للفلسفة : رويس ، ص ٣٢٠.

(٤) كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير :الجاحظ،ص ٢.

(٥) انظر المرجع السابق ، ص ٦٨.

(٦) انظر الإلهيات: العاملي،ص ٢٧٥،ويقول الشعراوي في هذا:" من المعلوم أن المقاييس الشخصية لا يمكنها أن تحدد خيراً أوشراً لأنها مقاييس ناقصة وأنانية، لا تعرف أين الخير والشر،ولا بد أن هناك مقاييس إلهية وضعها الله تعالى في الكون، هي التي يمكن أن تحكم الأحداث وتعطينا المعنى الحقيقي لها"، الخير والشر : الشعراوي،ص ٥ ، ٦ .

[1]،ومن المعلوم أن الجهل بالنفع ليس دليلاً على أنه لا يوجد، فإن ما يجهله الإنسان من أسرار الكون أكثر مما يعلمه،وهذا الكلام يشبه كلام **ديكارت**: " يجب أن ننظر في مخلوقات الله جملةً لا تفصيلاً "[2] .

ومن القصص التي يظهر فيها الكلام السابق جلياً قصة "الإفك" التي تُرى على أنها شر محض في ظاهرها بالنسبة للرسول ﷺ وزوجه عائشة – رضي الله عنها – والمؤمنين، ولكن الحقيقة أن هناك خيراً عظيماً استتر وراء هذا الشر الظاهر، وهذا معنى قوله سبحانه**ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﮊ**[النور: ١١]، أي: أن الله ابتلاكم بهذا البلاء، وله في ذلك حكم كثيرة، فالله تبارك وتعالىأرادالخير بما وقع. ومن هنا نتبين أن العبرة في الأمور بعواقبها، وأن الإنسان قد يرى شيئاً يظنه خيراً فيأتيه الشر من حيث لا يحتسب، وقد يظن الشر خيراً[3].

إذاً علم الإنسان المحدود هوالذي يدفعه إلى أن يقضي في الحوادث بتلك الأحكام الشاذة، ولووقف على علمه الضئيل ونسبة علمه على ما لا يعلمه لرجع القهقرى قائلاً: **ﮋ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ**[آل عمران:١٩١].ولواطلع على ما في عالم الغيب لاختار الواقع، وعلم أن حكمة المولى فوق كل حكمة، وأن العدل الإلهي موجود، وأن عقله الذي يعتمد عليه في كل شيء ليس شيئاً مذكوراً إلى جانب ما في هذا الوجود من أسرار"[4]، وصدق الله تعالى إذ يقول: **ﮋ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﮊ**[البقرة: ٢١٦].

---

(١) انظر كواشف زيوف : الميداني ، ص ٤٤٨.

(٢) التأملات : ديكارت ، ت:كمال الحاج ، ص ١٦٥.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن : القرطبي، ١٩٨/١٢ .

(٤) انظر العدل الإلهي وأين أثره في المخلوقات : حسن حسين ، ص ٨٢، وأختم الكلام عن هذه المسألة بهذه القصة الرمزية، وهي قصة من التراث الصيني القديم، تحكي القصة أن حكيماً كبيراً في السن كان عنده غلام وحصان، وذات يوم فقد الرجل حصانه الذي ابتعد في الغابات، فجاء جيرانه يعزونه بمصيبته، ولكن الشيخ يرد عليهم قائلاً:" وما أدراكم أنها مصيبة؟!" ثم يعود الحصان بعد أيام ومعه عدد من الخيول البرية، فإذا الجيران يقبلون لتهنئته بهذه النعمة، ويرد عليهم: " وما أدراكم أنها نعمة ؟! " ، وتمر الأيام ويسقط ابن الحكيم عن ظهر أحد الجياد فتكسر رجله، ويعقبه ذلك عجزاً تاماً، فجاء الجيران يعزون أباه الذي استقبل تعزيتهم بقوله: " وما أدراكم أنها مصيبة ؟! ثم ما لبثوا إلا قليلاً حتى نشبت حرب طاحنة بين ملكهم وعدو له، وسيق جميع الشباب إلى الحرب إلا المعاقين الذين كان بينهم ابن الحكيم، وهنا أقبل الجيران يهنئونه بنعمة بقاء الولد إلى جانبه، ولا ينسى هذا الحكيم أن يرد عليهم باستفهامه الحائر:" وما أدراكم أنها نعمة ؟ !، انظر مشكلات الجيل : محمد المجذوب ، ص ٧٣ .

المطلب الثامن :

الخطيئة الأصلية

يعتقد النصارى أن الخطيئة الأولى التي صدرت عن آدم عليه السلام انتقل إثمها إلى جميع أبنائه من بعده،وبذلك أصبح البشر جميعاً خاطئين، لكن الله تعالى أدرك البشرية بإرسال ابنه عيسى إلى الأرض فصلب فداءً للبشر(١).

وترتبط فكرة توارث الخطيئة ارتباطاً وثيقاً بمشكلة الشر؛ إذ يذهب جمع كبير من فلاسفة الغربأن سبب الشرور التي يتعرض لها الإنسان في حياته هو هذه المعصية التي جرّت الشقاء إلى البشر جميعاً حتى قيام الساعة(٢)، وفي كل مرة يرتكب فيها الإنسان خطيئةً مهما كان شأنها، فإنه يجدد مفهوم الخطيئة الأولى بإعلانه التمرد على الله، فيحكم على نفسه بالشقاء والبؤس(٣).

وممن ذهب هذا المذهب **ليبنتز** و**ديكارت** و**مالبرانش** و**جوزيارويس** وغيرهم، ولكنّ فريقاًآخر من الفلاسفة لم يقبلوا فكرة الخطيئة الموروثة، وأنكروا قصة الخطيئة من حيث الأصل، ومن هؤلاء **فولتير** و**كانط** و**نيتشه**(٤)، و**جون هيك**(ولد١٩٢٢م) (٥)و**أنطوني فلو**(٦)و**باسكال**(٧).

وقديماً الراهب الإنكليزي **بيلاجيوس** *Pelaguis*(ت:٤٢٠م) رفض الخطيئة بمفهومها المسيحي؛ فليس ثمة خطيئة أولى، وليس هناك سقوط للبشر ولا عقاب على الذنب إلا لمن ارتكبه(٨)، ويمكن الرد على عقيدة الخطيئة الأصلية وعلاقتها بوجود الشر بالأمور التالية :

١- قد تكون معصية آدم عليه السلام سبباً في إخراجنا من الجنة إلى هذه الأرض، ولكننا لا نستطيع أن نسمي هذا الخروج بنفسه شراً مطلقاً، إذ إن الحياة وما فيها من تكليف بالعبادات من قبل الله، والتزام العبد بما أمره الله، ومصيره أخيراً إلى الجنة ليس من الشقاء(٩)، فالله تعالى رتّب الشقاء على الابتعاد عن منهجه، لا علىمعصية آدم عليه السلام فقال:**ژ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ

٢- يؤكد الإسلام أنّ خطيئة آدم عليه السلام لم تنتقل إلى ذريته، بل كانت محصورةً به وحده، إذ إنه عليه السلام ندم على معصيته، وطلب إلى ربه الغفران، وقبل الله توبته ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المطلب التاسع:

أفضل العوالم الممكنة

فكرة أفضل العوالم الممكنة هي أحد أهم الأفكار التي كثر النقاش حولها عند الكلام عن مشكلة الشر، وتعني هذه الفكرة أن هذا العالم الذي نعيش فيه هو أفضل عالم ممكن، بمعنى أنه لا يتصور أن يوجد عالم أفضل منه؛ فأي عالم آخر قابل ميتافيزيقياً للوجود لا بد أن يكون أسوأ منه، أو أن من الممكن أن يكون أفضل من هذا العالم[١].

السؤال المطروح إذاً هو: هل خلق الله أصلح عالم ممكن؟ هذا السؤال حيّر الفلاسفة قديماًوحديثاً، فذهب بعضهم إلى أن الله خلق أفضل عالم ممكن، ومن أوائل الذين نادوا بهذه الفكرة **أفلاطون**[٢]، وتبعه **أفلوطين** في ذلك حيث أكد أن عالمنا هو أفضل العوالم، لأن مبدأ كل وجود هوالخير الأسمى، ولأن الناقص يجهد ليعود إلى الكمال الأعلى الذي صدر عنه، ولأنه جاء على مثال العالم العلوي في الحسن والكمال[٣].

ثم انتقلت هذه الفكرة بعد ذلك إلى **ليبنتز** الذي عُرف بها وعرفت به، ذلك أنه أفاض في تأكيد هذه الفكرة حتى اتخذ شعاراً لحياته (الأمور كلها تجري على أحسن الوجوه في أفضل عالم ممكن)[٤]. واستدل على أن عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة بأنه إذا لم تكن القضية كذلك، فإن نتائج أخرى ستكون هي البديل:

١- الله ليس قوياً كفاية ليكون قادراً على خلق عالم أفضل.

٢- لم يكن الله على علم بما سيكون عليه العالم بعد خلقه له.

٣-لم يكن الله راغباً في أن يكون هذا العالم هوالأفضل.

٤ — الله لم يخلق العالم.

٥ — لم يكن هناك عوالم أخرى ممكنة بإمكان الله أن يختار منها.وبما أن هذه البدائل متناقضة فيما بينها، فلم يبقَ إلا أن نقول إن عالمنا هو أفضل العوالم الممكنة [٥].

وذهب إلى القول بأن عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة **مالبرانش**[٦]و**رويس**[٧] و**فولف** *Wolff* (ت:١٧٥٤م)والشاعر الإنكليزي **الإسكندر بوب***Pope*(ت:١٧٤٤م)الذي اشتهر بعبارته "كل ما يكون، يكون حقاً "[٨].

---

(١) انظر سلسلة الوجود الكبرى :آرثر لفجوي ، ت: ماجد فخري ، ص٣١٥.

(٢) انظر محاورة تياتيتوس :أفلاطون،ص ٩٠ ، ٩١.

(٣) انظر تاسوعات أفلوطين، ص ٢٠١، و ص ٤٩٣، وانظر المذاهب الفلسفية: د. عادل العوا، ص ٥٨.

(٤) انظر محاولات فلسفية : عثمان أمين، ص ٢٠٥-٢٠٨، وانظر *Leibniz: Wildon Carr,p ١٧٧*.

(٥) See Introduction to Philosophy:Knowledge and Reality: C.Look,p١.

(٦) انظر الفلسفة الحديثة والنص : د. راوية عبد المنعم عباس، ١٣٧/٢ .

(٧) انظر روح الفلسفة الحديثة : رويس، ص ٤٦٥ .

(٨) See Theodicy in Islamic Thought:Oramsby, p٧.

وعلى النقيض من الرأي السابق، ذهب فريق آخر من الفلاسفة إلى أن عالمنا هو أسوأ العوالم الممكنة، وأشهر من تبنى هذا المذهب ودافع عنه **فولتير**و**شوبنهور**و**نيتشه**، الذين كانوا يسخرون من فكرة (أفضل العوالم الممكنة). ف**فولتير** ألّف رواية (كانديد) أو (التفاؤل) ليسخر من هذه الفكرة وممن نادى بها. والذي جعله ينحوهذا المنحى هوحادثة زلزال (لشبونة) كما رأينا، فالشرور التي يزخر بها عالمنا هذا،والشرور الناتجة عن هذا الزلزال لهي دليل واضح أنه ليس أفضل العوالم الممكنة، بل هو أسوأ عالم على الإطلاق.

أما فيلسوف التشاؤم**شوبنهور** الذي تأثر بأفكار **فولتير**من خلال روايته (كانديد)، وزاد عليه كثيراً حيث كان يرى أن طفولة الإنسان وشبابه وكهولتهشقاء في شقاء، والزواج والعزوبة كذلك،والحياة ليس فيها إلا المرض والألم والشيخوخة والموت،وعالمنا هو أسوأ عالم ممكن تصوره.ولا يختلف**نيتشه**عن الفيلسوفين السابقين، فهويمقت أولئك الذين " يرون كل شيء حسناً، ويرون هذا العالم خير العوالم"[1].

وقد رأينا من سردنا لما جرى بين **روسو**و**فولتير** من مراسلات بشأن زلزال (لشبونة) أن **روسو** كان يمثل الطرف المؤمن الذي يؤمن بعدالة الله وحكمته، وإن كان يصف الله بأنه محدود القدرة كي لا ينسب له تلك الشرور التي تحدث في الكون، لذلك توجّه باللوم إلى الإنسان وحضارته التي جعلته بعيداً عن حال الطبيعة الأولى، حيث الأمن والسلام والطمأنينة.

أما **فولتير**، فمن الواضح أنه كان يمثل الطرف النقيض لموقف **روسو**، فقد أنكر رحمة الله وعدله تجاه المخلوقات، وسخر من فكرة أفضل العوالم الممكنة ومن المتفائلين ونظرتهم لصعوبات الحياة ومصائبها، موقعاً اللوم على الله الذي لا يكترث بما يصيب مخلوقاته من عذاب، وتبادل الاثنان الاتهامات لبعضهما بعضاً، ف**فولتير** عدّ **روسو**رجلاً مجنوناً عابثاً، وكان **روسو**يتحدث عن **فولتير** كأنما هوبوق الفجور، تلك العبقرية الرفيعة، وتلك النفس الخسيسة[2].

والجدير بالذكر هنا أن **روسو** لم يكن في رده على **فولتير** منطلقاً من عقيدة دينية، وإنما كان يمارس نوعاً من الانتهازية ضد **فولتير** بسبب كراهيته له وللعداوة التي بينهما[3]، ولا نكون مجانبين للصواب إذا اتهمنا **فولتير** بالتهمة نفسها؛ فإنه يقرر هنا أن عالمنا هو أسوأ العوالم الممكنة، ولكنه يعترض على **باسكال**(ت:١٦٦٢م) حين ذهب هذا الأخير إلى أن (الحياة كلها شر)، فيرد عليه **فولتير** قائلاً:"ليست حياتنا من الشقاء بمقدار ما يراد إيهامنا فيه، وليس عدّ العالم سجناً مظلماً ضيّقاً، وعدّ جميع الناس مجرمين يُعدمون، إلا فكرة متعصب"[4].

---

(١) هكذا تكلم زرادشت: نيتشه ، ص ١٦٤.

(٢) انظر تاريخ الفلسفة الغربية : رسل، ص٢٩٤.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٤) الرسائل الفلسفية : فولتير ، ت: عادل زعيتر ص١٤٢.

وكما كثر الكلام في مسألة أفضل العوالم الممكنة في الفلسفة الغربية، كذلك كثر الكلام والجدال حولها في الفكر الإسلامي حيث أثار الغزالي(ت:٥٠٥هـ) رحمه الله هذه القضية في كتابه الإحياء[١]في سياق كلامه عن بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل عندما قال:"وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه(أي العالم) ولا أتم ولا أكمل، ولوكان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل، ولولم يكن قادراً لكان عجزاً يناقضالإلهية" [٢]، وإلى مثل هذا ذهب السهروردي(ت:٥٨٥هـ)[٣].

وقد شنّع عدد من علماء المسلمين هذه القولة على الإمام الغزالي، فألّف صاحب نظم الدرر البقاعي رحمه الله (ت:٨٨٥هـ) ثلاث رسائل في بيان بطلان هذا الاعتقاد، وهذه الرسائل هي(تهديم الأركان على من قال ليس في الإمكان أبدع مما كان) وكتاب (دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان) وكتاب (إطباق الأغلال في أعناق الضلال)، ومما ذكره البقاعي رحمه الله في هذه المسألة عند تفسير قوله تعالى :ﮋ □ □ □ □ □ □ ﮊ[الطلاق:١٢] قوله:ﮋ □ □ □ □ □ ﮊ أي من غير هذا العالم ممكن أن يدخل تحت المشيئة، فالله قادر على أن يخلق مثل هذا العالم ، وأبدع منه وأبدع من ذلك الإبداع إلى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم، فإن من قدر على إيجاد ذرة من العدم، قدر على إيجاد ما هودونها ومثلها وفوقها إلى ما لا نهاية له لأنه لا فرق في ذلك بين قليل ولا كثير، جليل أوحقيرﮋ ڤ ڤ ڤ ڤ ڄ ڄ ڄ ڄﮊ[الملك: ٣]، وإياك أن تلتفت إلى من قال: إنه ليس في الإمكان أبدع من هذا العالم، فإنه مذهب فلسفي خبيث، والآية نص على إبطاله[٤].

وقد حكم ابن حزم(ت:٤٥٦هـ) بتكفير من وصف الله تعالى بأنه" لا يقدر على غير ما فعل"[٥]. وبعد ذلك ألّف السيوطي(ت:٩١١هـ) رحمه الله تعالى رسالة سماها(تشييد الأركان في أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان)، وواضح من العنوان أنه يؤيد هذه القولة ويرد بها على من أنكر على الغزالي كالبقاعي وغيره.

وممن أيّد هذه الفكرة من علماء الشيعة الشيرازي(ت:٤٧٦هـ) الذي يقول:" لا شبهة لأحد من أهل التحقيق ...في أن نظام العالم على هذا الوجه أشرف النظامات الممكنة، وأكملها وأفضلها بحيث لا يتصور فوقه نظام آخر"[٦]. أما المعتزلة فمن الطبيعي أن يكونوا ممن قرر هذه الفكرة،وذلك بحسب قاعتهم المشهورة (وجوب الأصلح على الله تعالى)، المستمدة من أصل العدل[٧].

والذي أراه في هذه المسألة أن قدرة الله تعالى مطلقة لا تتناهى، وهذا كلام لا يرتاب فيه مسلم، ولكن السؤال المشكل هو: هل عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة؟ فإن كان الجواب بالإيجاب، فإن وجود عالم أفضل من هذا العالم هومن باب المستحيل، وقدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل، وبالتالي فإن قول الغزالي ومن ارتضاه من أهل العلم لا إشكال فيه ألبتة، وإن كان الجواب بالنفي، أي أن

---

(١) *Theodicy in Islamic Thought:Eric L.Oramsby,* ٣٢ .

(٢) ٢٩٣٢/٤.

(٣) انظر كتاب المقاومات : السهروردي، ص١٥٦ .

(٤) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، ٤٢/٨.

(٥) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل : ابن حزم، ١٤١/٣ .

(٦) الأسفار: الشيرازي، ١٢١/٧، ١٢٢.

(٧) انظر شرح الأصول الخمسة المنسوب للقاضي عبد الجبار، ص ١٣١، وانظر نظرية التكليف: عبد الكريم عثمان، ص ٤٠٠، ٤٠١ .

عالمنا ليس أفضل العوالم الممكنة، فوجود عالم أفضل من عالمنا هذا هوشيء ممكن، والله تعالى قادر على أن يوجد عالماً آخر أحسن وأكمل من هذا العالم. إذاً الخلاف بين أهل العلم ليس في قدرة الله المطلقة، إنما هوفي أن عالمنا هو أفضل العوالم الممكنة أولا.

مع أن للقائلين بفكرة أفضل العوالم الممكنة أدلة قوية، منها: أن الأخذ بالاحتمال المعاكس يؤدي إلى نقض كمال الله، إذ لا يتصور من الإله الكامل إلا أن يأتي بالأفضل، وردّ هذا بأن لله أن يفعل ما يشاء، ولا معقب لحكمه وخلقه، والدليل الثاني هوما يعرف بالدليل الطبيعي الغائي على وجود الله؛ فالتناسق والانسجام بين أشياء هذا العالم وغاياته جاء نتيجة لعمل حكيم مدبر عاقل خبيروهوالله، وعلى ذلك فإن عالمنا هو أفضل العوالم الممكنة[1]، والثالث:إن الخير الحقيقي والحسن الحقيقي هوما حسّنه الله، والسيئ هوما حكم الله عليه بأنه سيء، وبالتالي فإن الإجابة عن سؤال: هل خلق الله أفضل العوالم الممكنة؟ تصبح إجابة واضحة سهلة، فالحسن الموصوف به هذا العالم هوحسن إلهي، وليس ما حسّنه عقلنا الإنساني القاصر[2]؛ بمعنى أن الله تعالى خلق عالمنا على أفضل حال يناسب نظرية الابتلاء التي يخضع لها البشر، وأخيراً،إن العالم الذي ليس فيه شر مطلقاً هوعالم الآخرة لمن كان فيها من أهل الجنان، أما في هذه الحياة الدنيا فمن غير المعقول أن يطلب الإنسان عالماً ملائكياً لا شر فيه أبداً، فوجود هذه الشرور إذاً لا ينفي أن يكون عالمنا هذا هو أفضل العوالم الممكنة.

أما إطلاق القول بتكفير بعض أهل العلم بسبب قولهم إنه ليس في الإمكان أفضل مما كان، فهذا الحكم بالتكفير فيه نظر، لأن الحكم في مسألة كهذه لا بد فيه من معرفة حقيقة قصد المتكلم، فإن عنى أن الله تعالى لا يقدر أن يخلق أجمل من هذا الكون بسبب عجزه وقدرته المحدودة، فهذا كفر، وإن عنى شيئاً آخر كالدلالة على كمال جمال الكون بما فيه أوغير ذلك مما لا ينتقص من كمال قدرة الله تعالى فلا يكفر.

بقي أن نشير أخيراً إلى أنه ثمة ارتباط وثيق بين هذا الحل(أفضل العوالم الممكنة) وسابقه (الخطيئة الأصلية)؛ إذ يعتقد كثيرون أن الخطيئة الأصلية التي ابتدأ بها عالمنا دليل أنه ليس أفضل العوالم الممكنة[3] .

---

(١) الفكر الإسلامي ودوره في بناء المعرفة ، ج١ المشكلات الفلسفية : د. عيسى عبدالله،ص ١٣٠.

(٢) انظر مقالة (هل يتعارض العقل مع الدين): م. عزام حدبا *www.hayran.info* .

(٣) *See Creator, Creation and Faith:Norman Young,p٤٥.*

المطلب العاشر:

الشر نسبي وعرضي

نسبية الشر هو أحد الحلول المقدمة لمشكلة الشر، وهدف هذا الحل هوالتقليل من المشكلة من خلال تقرير أن الشر ليس شراً مطلقاً،ولنعلم كيف يكون الشر نسبياً، لا بد أن نعلم أولاً أن هناك نوعين من الصفات؛ الصفات الحقيقية والصفات النسبية.

١- الصفة الحقيقية: هي التي يكفي لاتصاف ذاتٍ بها فرضُ الذات والصفة فقط، كالحياة مثلاً، هي شيء حقيقي، لأن الموجود يتصف بها بنفسه بقطع النظر عن مقارنته بأي شيء آخر.

٢- الصفة النسبية: هي التي لا يكفي فيها فرض الموصوف والصفة دون فرض شيء ثالث ينسب ويربط بينهما، كالصغر والكبر، هما صفتان نسبيتان، فإذا قلنا مثلاً: إن ذلك الجسم صغير، فلا بد أن نلاحظ قياسه إلى شيء آخر أكبر منه، وكل جسم من الممكن أن نقول عنه إنه صغير أوكبير في الوقت نفسه [١].

وإذا ما أردنا أن نطبق الكلام السابق على مسألة الشرور فإننا سنجد أن بعض الشرور هي شر حقاً بالنسبة لي، ولكنها خير بالنسبة إلى غيري، فمثلاً الشر الذي في الأفعى أوالعقرب هوشر بالنسبة لي خير بالنسبة إليها؛ فهوسبيلها للبقاء والغذاء، وكمال الأفعى والعقرب أن يكون لهما سم زعاف، كما أن بعض السموم تستخدم في العقاقير الطبية، ومن هذه الجهة هيخير [٢].

فالعقرب إذاً بما هوليس فيه أي شر، وإنما يتصف بالشرية إذا قيس على الإنسان الذي يتأذى من لسعته، فاتصاف العقرب بالشرية اتصاف قياسي أونسبي، وليس اتصافاً نفسياً؛ فكون العقرب موجوداًوذا سم من الأمور الحقيقية، وأما كونه شراً فليس جزءاً من وجوده[٣].

وفي مجال العقوبات الشرعية كالجلد والقطع وغير ذلك، نجد أن الشر الحاصل بسبب هذه العقوبات هوشر نسبي؛ فقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني، لكنه خير لهما من وجه آخر، حيث يكون كفارة لهما فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة، وهو أيضاً خير في محل آخر، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب [٤] .

والله تعالى يوظف الشر النسبي للخير المطلق، فالله تعالى – مثلاً- يؤتي الملك لمن يشاء، هذا خير، وينزع الملك ممن يشاء، هذا شر نسبي لمن نُزع الملك منه، ويعز من يشاء، هذا خير، ويذل من يشاء، هذا شر نسبي لمن نزع الملك منه،والله تعالى بيده الخير، وهوعلى كل شيء قدير[٥].

والحديث عن نسبية الشر يقودنا إلى الحديث عن عرضيته، فالشر الذي خلقه الله في هذا العالم خلقه لحكمة، وهذا الشر نسبي إضافي مغمور بجوار الخير الراجح من خلقه يترتب عليه خير كثير وحكمة عظيمة، كمرارة الدواء مثلاً، فهي شر من زاوية مرارته، ولكنها

---

(١) انظر العدل الإلهي : المطهري ، ص ١٦١ ، ١٦٢.

(٢) انظر مقالة (لماذا خلق الله سبحانه الشر): ناصر التوحيد،*www.eltwhed.com* .

(٣) انظر العدل الإلهي: مرتضى المطهري، ص ١٦٤ ، وانظر الدرس رقم(٥٥) من دروس العقيدة بعنوان الإيمان بالقدر وقضية خلق الشر في الكون، *www.dahsha.com* .

(٤) انظر المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: الغزالي، ص٤٤، وانظر شفاء العليل: ابن القيم، ص ٤٤٣.

(٥) انظر شفاء العليل: ابن قيم الجوزية، ص ٣٠١،وانظر التفسير المختصر، سورة الفلق: د. راتب النابلسي، تاريخ ١٦/ ٨/ ١٩٩٨ م.

تعود بالخير على المريض، ولا يمكن لإنسان أن يقول: إن الدواء شر، ويجب التخلص منه بسبب مرارته، لأن مرارة الدواء يمكن للإنسان أن يتغاضى عنها بجانب الخير الأكبر الذي هوحصول الشفاء من الأمراض الكثيرة [١].

فوجود الشر في الأشياء هوضرورة تابعة لوجود الخير، فإن هذه العناصر لولم تكن على ما هي عليه لم يمكن أن تكون عنها هذه الأنواع الشريفة، فالنار مثلاً لولم تكن بحيث من الممكن أن تحرق رداء رجل شريف لانتفت خاصية الإحراق التي فيها، ومن ثم لم تعد ناراً بل شيئاً آخر، فوجب ضرورة أن يكون الخير الممكن في هذه الأشياء، إنما يكون خيراً بعد أن يقع عنه مثل هذا الشر.وإفاضة الخير لا توجب ترك الخير الغالب لشرٍ يندر، فيكون تركه شراً من ذلك الشر[٢].

وأفاض ابن سينا (٤٢٨هـ)في شرح فكرة كون الشر عرَضاً، ومما قاله في هذا: " إن الله تعالى يريد الأشياء ويريد الشر أيضاً على الوجه الذي بالعرَض، إذ علم أنه يكون ضرورة، فلم يعبأ به ...فالخير مقتضى بالذات، والشر مقتضى بالعرَض "[٣]، وذكر ابن خلدون(ت:٨٠٨هـ) هذا الحل أيضاً في "مقدمته" فقال:" الشرور داخلة في القضاء الإلهي بالعرَض،لأنه قد لا يتم وجود الخير الكثير إلا بوجود شر يسير، فلا يفوت الخير الكثير بذلك، بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير، وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة"[٤].

---

(١) انظر الإلهيات: العاملي ، ص ٢٧٩ ،٢٨٠.

(٢) انظر الإشارات والتنبيهات : ابن سينا، ٣/ ٣٠١ ، وانظر الخير والشر في الفلسفة الإسلامية :د.منى أبوزيد ، ص ١٥٦.

(٣) النجاة في المنطق والإلهيات : ابن سينا، ص ١٤٩.

(٤) ص ٣٩٠ ، ٣٩١ ، وانظر شرح المقاصد في علم الكلام : سعد الدين التفتازاني، ص٢/٢٢٥ .

ملحوظات عقدية وفلسفية:

١- من الأمور التي تبدوجلية لمن ينظر في الحلول التي طرحها فلاسفة الغرب في حل مشكلة الشر تأثر هذه الحلول بالديانة المسيحية، فنظرة **ديكارت** مثلاً إلى أن الشيطان منبع للشر تدل على تأثره بالمسيحية، وإقرار كثير من هؤلاء لقصة الخطيئة والسقوط، يدل أيضاً على هذا التأثر، هذا من جانب، ومن جانب آخر رأينا تأثراً واضحاً عند بعض آخر من أولئك الفلاسفة بمتكلمي المسلمين، وهذا ما نجده عند **ديكارت**و**مالبرانش**و**ليبنتز**، ويبدوهذا التأثرجلياً عند النظر فيما كتبه هؤلاء الفلاسفة عن الذات الإلهية وصفاتها، حتى إنك لتعجب عندما يذكر بعض هؤلاء الفلاسفة أن أعظم صفة للذات الإلهية هي صفة الوحدانية، ومن ثم تراهم يدخلون في تأويلات عجيبة لإثبات أن هذه الوحدانية لا تتنافى مع التثليث الذي يدّعونه[١].

٢- وإننا لنلحظ هذا التأثر أيضاً عند معالجة بعض هؤلاء الفلاسفة لقضية الحرية الإنسانية والقضاء الإلهي الأزلي، وهذا ما نراه عند كل من **ليبنتز**و**مالبرانش**، حيث يثبت كل منهما حرية الإرادة البشرية من جهة، ومن ثم ترى جبراً صريحاً في مواضع أخرى من كلامهم.والسبب في هذا أن هؤلاء الفلاسفة أخذوا جزءاً من الحقيقة[٢]، واعتمدوا على عقولهم في الباقي، "ويا ليت فلاسفة النصارى عندما نقلوا عن المسلمين نقلوا بأمانة بدلاً من تشويه الحقائق وقلب الأمور"[٣]، وإلا لما كانوا وقعوا في هذه التناقضات الغريبة.

٣- لقد ظنّ كثير من أولئك الفلاسفة أن علم الله الأزلي لما سيكون هونفي لحرية الإرادة، وما دروا أنه علم كاشف لما سيكون لا علاقة له بسلب الإنسان حريته، وما علموا كذلك أن الإيمان بسبق العلم الإلهي يمنح الإنسان سكينةً نفسيةً وهدوءاً قلبياً وراحة بال، وإلى هذا أشار القرآن المجيد في قوله: ﴿ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣][٤].

٤- إننا لسنا بحاجة لأن نذكر أن فلاسفة الاتجاه الديني الذين مرّ ذكرهم ممن وقفوا موقفاً إيجابياً من الله وصفاته في ضوء معضلة الشر كلهم ممن دانوا بالمسيحية، ولدى مطالعة ما كتبه هؤلاء عن الله وكماله، ودور هذا الإله في محوالشر من الكون، وغير ذلك من مسائل، إننا نتساءل: عن أي إله يتكلمون؟هل هوالله الواحد الأحد ؟ أم أنه المسيح (ابن الله) كما يزعمون؟ أم أنه الروح القدس؟.

٥- الغريب أنه مع كل هذه التناقضات التي توجد ضمن الحل المسيحي فإنهم يعتدون بها وكأنها الحل الوحيد الصحيح، وما عداه باطل لا قيمة له، يقول أحدهم:" هل من الممكن لوجهات النظر الأخرى من غير المسيحية أن تعطي تعريفاً منطقياً للشر؟ هل بإمكانهم أن يشرحوا كيف ولماذا بدأ الشر ولماذا يستمر؟ هل بإمكانهم أن يقترحوا حلاً للشر، وهل بإمكانهم أن يضمنوا نجاح هذا الحل؟ [٥].

---

(١) انظر على سبيل المثال ما كتبه ديكارت عن الله وصفاته في كتابه التأملات، ص١٣٤، وانظر الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت: نظمي لوقا، ص ١١٥ .

(٢) وهذا سبب ضلال فرق إسلامية كالقدرية والجبرية والمعتزلة وغيرها .

(٣) الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم : د.إبراهيم مصطفى إبراهيم، ص ٣٣٥ .

(٤) الإلهيات في العقيدة الإسلامية : د.محمد سيد أحمد المسير، ص ٢٣٤ .

(٥) *The Problem of Evil: Vicent Cheung, P ١٨.*

ً٦- حتى الذين أثبتوا قدرةً مطلقةً لله تعالى، نجد أن استدلالهم غير مقبول منطقياً، فيذكر بعضهم أنه من غير الممكن لله أن يحقق مقاصده دون أن يكون هناك معاناة، وهذا ليس تقييداً لقدرته المطلقة كما يزعمون، ذلك أن هذا الأمر لا يدخل في حيّز الممكنات، كما أنه من غير الممكن لله أن يجعل الدائرة مثلثاً، فكذلك لا يمكن لله أن يزيل المعاناة[١]، ونقول: إن هذا قياس مع الفارق؛ فجعل الدائرة مثلثاً هومن باب المستحيلات التي لا تتعلق بها قدرة الله تعالى، أما إلغاء معاناة البشر فهذا ليس من المستحيلات، بل هومن باب الممكنات التي تتعلق بها قدرة الله تعالى، ولكنّ الله تعالى أراد شيئاً من وراء إبقاء هذه المعاناة، ألا وهوالابتلاء والاختبار.

ً٧- أما فيما يتعلق بموضوع بحثنا (مشكلة الشر)، فإننا نجد أن **ليبنتز**- وهو أشهر الذين تكلموا في مسألة الشر في الفكر الغربي- ما هو إلا شارح لابن سينا في هذه المسألة، فإذا ما استثنينا رأي **ليبنتز** في أن المادة ليست مصدر الشر، وهي النقطة التي ربما يختلف فيها مع ابن سينا، فإن جميع آرائه الأخرى تشبه ما قاله ابن سينا، ولعل أبرزها: أنواع الشر، وأقليته بالنسبة للخير، وضرورة وجوده، وفكرة أفضل العوالم الممكنة[٢].

ً٨- عرّف **ليبنتز** الشر الميتافيزيقي بأنه فقد الإنسان لكل كمال بسبب تناهي طبيعته البشرية من خلال افتراضات عقلية لكمالات خيالية لا حصر لها يمكن أن يكمل بها النوع الإنساني مثل فقد الإنسان القدرة على الطيران بنفسه، أو أن يكون له جناحان، أوسرعة كسرعة الصوت، وهذا كلام باطل، لأن الشر هوحرمان من خير مستحَق بالنوع، كالعمى الذي هوحرمان من البصر، أوكانعدام اليدين في حق الإنسان[٣]، وهذا ما عبّر عنه ابن سينا بوضوح، ولكن يبدوأن **ليبنتز** لم يفهمه حق الفهم، يقول ابن سينا:" الشر بالذات هو العدم، ولا كل عدم، بل عدم مقتضى طباع الشيء من الكمالات الثابتة له"[٤].

ً٩- حتى إن نظرية (أفضل العوالم الممكنة) التي اشتهر بها **ليبنتز** كثيراً، كانت محلّ نقدٍ أيضاً، لا من حيث صحة النظرية أوبطلانها، ولكن من ناحية أخرى، وهي أن **ليبنتز** اتهم بأنه كان يحاول إرضاء ملكة (بروسيا) بهذه النظرية، فأقنان هذه الملكة استمروا في معاناة الشر، بينما هي استمرت بالاستمتاع بالخير، وقد كان مريحاً لها أن يطمئنها فيلسوف عظيم بأن هذا كان عادلاً وصائباً، ما دمنا في أفضل العوالم الممكنة[٥].

ً١٠- أما أصحاب الاتجاه اللاديني فقد عالجوا مشكلة الشر معالجةً جانبيةً، ولم يحيطوا بأطراف الموضوع من كل جانب، ولو أنهم نظروا في أمر الخلق والخالق أولاً،وثبت لديهم من الحق ما ثبت لدينا، لما استعجلوا في الحكم، ولعلموا أن هناك حياةً أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، وعند ذلك سيوقنون أن هناك شراً في هذا العالم، ولكن دون أن يشكل وجوده أي مشكلة، ما دامت هذه الحياة الدنيا ليست بدار قرار.

ً١١-وبناءً على ما سبق نلحظ أن مشكلة الشر وغيرها من اعتراضات اللادينيين ما هي إلا فرع عن أصل، فإذا ما سلم الأصل سلم الفرع، والنتائج لا تصح إلا إذا صحت المقدمات، والأصل الأول هووجود الله تعالى، فإذا لم يُتفق على هذا الأصل، فإنه من العبث –أحياناً – أن يكون ثمة جدال في مسائل أخرى تتوقف على هذه المقدمة.

---

(١) *Why Believe? Reason and Mystery as Pointers to God: C.Stephen Evans,p٩٨.*

(٢) انظر العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم : د.ثائر الحلاق، ص ٤٣٥.

(٣) انظر الشر في أفعال الله تعالى: بلال إسماعيل الكاتب، ص ٢٢، وانظر معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة : محمد التميمي، ص ١٢ .

(٤) النجاة في المنطق والإلهيات : ابن سينا، ص ١٤٥ .

(٥) انظر تاريخ الفلسفة الغربية : رسل ، ١٥٠/٣ .

١٢-إن نزعة التشاؤم عند بعض المفكرين ما هي إلا انعكاس لما حل بهم من مصائب في حياتهم، فالظروف التي مرّ بها **شوبنهور**و**سارتر**و**كامو**و**دستوفسكي**و**نيتشه**وغيرهم، وما عانوه في حياتهم، جعلت منهم فلاسفة رافضين للدين جملةً وتفصيلاً، بل إنهم – كما مر معنا سابقاً – أنكروا وجود الخالق عز وجل، لذلك يمكننا أن نطلق على هذا الإلحاد(إلحاد اليأس) كما ذكر عزت بيجوفيتش[١]، فالمسألة برمتها ما هي إلا عبارة عن صدمة أوصدمات بلاء لم يقووا على احتمالها فكانت حالهم على ما رأينا، ثم أعجبتهم هذه الحال من الرفض للأديان كافة والتفلّت من قيودها وأحكامها، فـ:"جحود هؤلاء الناس متعة ذاتية استهوتها نفوسهم، قبل أن يعرضوا أمرها على عقولهم "[٢].

١٣- وعلى الرغم مما سبق، فإن اللادينيين – عموماً – يتفاخرون بأنهم أسعد الناس على الإطلاق، ولكن الواقع يشير إلى غير ذلك، فالبحوث العلمية الحديثة تثبت أن الملحدين هم أكثر الناس يأساً وإحباطاً، ولذلك نجد أن أعلى نسبة للانتحار كانت بين الملحدين واللادينيين، الذين يعيشون بلا هدف ولا إيمان، فقد أكدت الدراسات العلمية المتعلقة بالانتحار أن أكبر نسبة للانتحار كانت في أكثر دول العالم إلحادًا، وعلى رأسها السويد والدانمارك، حيث تصل نسبة الملحدين واللادينيين في الدانمارك إلى (٨٠%). وفي دراسة أخرى أجراها باحثون أمريكيون هي الأولى من نوعها عام(٢٠٠٤ م) ترمي إلى دراسة علاقة الدين بالانتحار، تبين أن أكثر المنتحرين هم الملحدون واللادينيون فقد جاؤوا على رأس قائمة الذين قتلوا أنفسهم ليتخلصوا من حياتهم وتعاستهم[٣].

١٤- ومن جهة أخرى تؤكد الدراسات العلمية أيضاً على أن للتعاليم الدينية دوراً كبيراً في خفض تلك النسبة، وأن هذه التعاليم أقوى ما يمكن أن تكون في الإسلام، وخاصةً إذا علمنا أن الدين الإسلامي حرّم الانتحار، وعدّه من الكبائر التي تستوجب غضب الله تعالى، وهذا ما أكده الدكتور جوس مانويل والباحثة آليساندرا فليشمان في بحثهما عن الانتحار: " إن نسبة الانتحار في الدول الإسلامية(بخلاف الدول الأخرى) تكاد تقترب من الصفر، وسبب ذلك أن الدينالإسلامي يحرم الانتحار بشدة "[٤].

ولدى تأمل قول الله تعالى في كتابه الكريم**ژ**□ □ □ □ □ □ □ □□ **ژ**[طه: ١٢٤]، نجد أن المعرض عن ذكر الله تعالى هو دائماً في البلاء؛ قلقٌ في السرّاء، قنوطٌ في الضرّاء، ولذلك لا نعجب حين نسمع أن قوانين بعض الدول الأوربية أباحت ما أسموه بـ"قتل الرحمة " وهو قتل الميؤوس من شفائه، أو الذي يعاني معاناة كبيرة، وذلك بإرادته واختياره. والخبر الأعجب من هذا أن هيئة الرقابة البريطانية تصرّح بنشر كتاب (كيف تنتحر) بعد عدة أشهر من المداولات القضائية، والكتاب يحتوي على مائة طريقة جديدة للانتحار بدون ألم، وصفها المؤلف – وهو طبيب في الأصل- لأنه يشعر بما يعانيه المنتحر من ألم عند رغبته في التخلص من حياته [٥].

ولنعرف أثر الإيمان في النفوس في الشدة والرخاء، سأذكر مثالاً عملياً لعالم مسلم، هو الشيخ النورسي رحمه الله تعالى (ت:١٩٦٠م)، الذي يحدثنا في "كليات رسائل النور" عن الآلام التي عاناها، وكيف أنه عاش في الغربة في حالة شديدة من البؤس والألم، فقد عاش مريضاً وشيخاً وحيداً لا يملك صديقاً ولا قريباً، إذ مُنع من الاختلاط بالناس، بل حتى من المراسلة والتخابر، أي اضطر إلى تحمل معاناة حياة أسر، وبتعبيره هو، كان إنساناً يحتاج إلى البكاء بمئة بل بألف عين ...لا يبكي لحاله، بل لأمته التي تقاسي الآلام

---

(١) انظر الإسلام بين الشرق والغرب : بيجوفيتش ، ص ١٣٢.

(٢) الإنسان وعدالة الله في الأرض : د. البوطي، ص ١٤.

(٣) انظر مقالة بعنوان (الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام) :د. عبدالدائم الكحيل،*www.terp.com*.

(٤) انظر المرجع السابق.

(٥) انظر الإنسان بين السراء والضراء : د. محمد السيد محمد يوسف ، ص ١٥٢ ،١٥٣ .

وللإنسانية جمعاء، ويشرح السبب فيقول:" ذلك لأن الرقة الإنسانية الموجودة في فطرتي بدرجة كبيرة كانت تسوقني إلى الشعور بآلام كبيرة، فبالإضافة إلى آلامي كنت أقاسي آلام إخواني بسرّ تلك الشفقة التي فطرت عليها، لذا شعرت وكأنني شبت وعشت مئات من السنين، بل لعلي مهتم بالعالم الإسلامي اهتمامي بداري ووطني من ناحية الحمية الإسلامية "[1].

ويتابع الشيخ متحدثاً عن السبب الذي جعله يتكلم عن نفسه فيقول:" إن قصدي من إظهار جرحي المخيف بهذه الصورة المفجعة المؤلمة...ليس إلا لبيان ما في البلسم القرآني المقدس من شفاء خارق ومن نور باهر ساطع "[2]، ومع كل هذا الذي عاناه نجده يصف هذه الحياة الدنيا أنها حديقة متجددة على الدوام، ودار ضيافة تملأ كل يوم وتُخلى، تظهر في مراياها تجليات الأسماء الحسنى للصانع ذي الجلال "[3].

وهكذا نجد أن الفرق بين الشيخ النورسي رحمه الله تعالى، وبين أولئك الفلاسفة اليائسين هو الإيمان بالله تعالى والآخرة، وما يتفرع عن هذا الإيمان من نتائج عملية ذات أثر في الفكر والسلوك، ومن هنا يتبين أن الذين ربطوا الشر بوجود حياة أبدية هم الذي فهموا حكم وجوده، ومن ثم كانوا أقدر على التعامل مع بلايا الحياة وشرورها.

إن هؤلاء الفلاسفة لو عرفوا أنهم عبيد مملوكون للخالق عز وجل، لهدتهم هذه المعرفة إلى معرفة ألوهية الله تعالى، ومن ثم سيمتلئ قلب هذا الذي عرف هذه الأصول العظيمة ثقةً بحكمة الله وعدالته ورحمته، ولن يبقى هناك محل لأي ريبة أو شك تجاه أحكام الله تعالى، بل إنه – والحال هذه – سيوجه شكوكه إلى تلك الفلسفات والأفكار التي كان يقدسها من قبل[4] .

---

(١) انظر اللمعات : النورسي، ص ٣٨٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٧٨ .

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٣٨٥-٣٨٩ ، وانظر مقالة (مشكلة الشر في رسائل النور): أ.د. محمد آيدن، وانظر الفلسفة الإسلامية بين الندية والتبعية : د. جمال المرزوقي، ص٣٠٣ .

(٤) انظر الدين والفلسفة : د. البوطي ، ص٢٤.

الفصل الثالث:

قضايا الشر المحض والتشاؤم

والحل الإسلامي

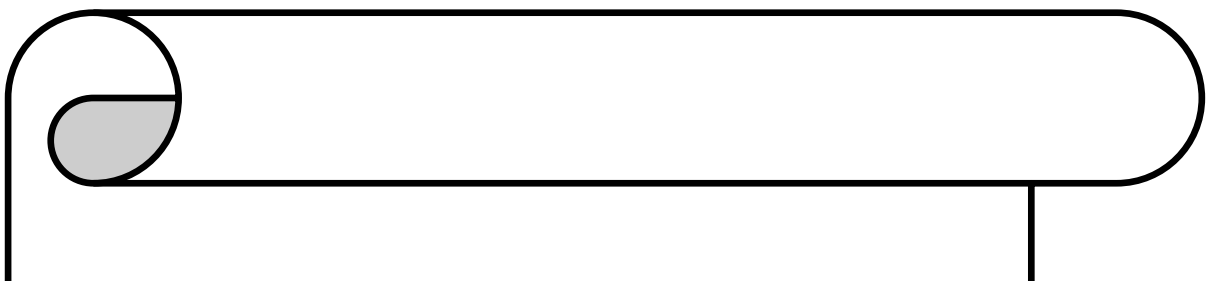
وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: الشر المحض

المبحث الثاني: مشكلة الشر بين المتشائمين والمتفائلين

المبحث الثالث: الفطرة الإنسانية بين الخير والشر

المبحث الرابع: الحل الإسلامي لمشكلة الشر



المبحث الأول:

الشر المحض

وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول: إبليس

المطلب الثاني: الكفر والمعاصي

المطلب الثالث: الحروب

المطلب الرابع: الزلازل والبراكين

المطلب الخامس: الموت

المطلب السادس: موت الأطفال

المطلب السابع: آلام الحيوان

تمهيـد:

بلغ التشاؤم لدى بعض الفلاسفة حداً جعلهم يعتقدون أن الشر الذي في الكون هوشر محض لا خير فيه أبداً، ولا وجود للخير المحض، فالخير، إن وجد، فهوقليل وسرعان ما ينقضي لتعود الحياة إلى طبيعتها الحقيقية التي هي الشر والشقاء، فالموجودات كلها شر محض أوما اختلط فيه الخير والشر، وشره في النهاية أكثر، وأبرز من مثّل هذا الاتجاه **شوبنهور**(١) و**ماكي**(٢) و**وليام رو**(٣)وغيرهم. ونسب ابن تيميةرحمه الله(ت:٧٢٨هـ)القول بخلق الله للشر المحض لجهم بنصفوان(ت:١٢٨هـ) (٤).

ويستدل القائلون بخلق الله للشر المحض بوجوده؛ بمعنى أننا نشاهد ما هوشر محض في حياتنا، وذلك كخلق الكفر وإبليس، وحدوث الزلازل والبراكين والحروب والموت وغير ذلك.

وقبل الرد على هذا الكلام ينبغي لنا أن نعلم أقسام المخلوقات حتى نعلم ما الشر المحض، وما حقيقته، وهل هوموجود بعد ذلك أم لا؟

أقسام المخلوقات من حيث حظها من الخير والشر:

١- خير محض: كالرسل والملائكة والجنة.

٢- ما فيه خير وشر: كالإنس والجن والحيوان، ونحن إنما نستعيذ من شر ما فيه شر.

٣- شر محض: كالنار وإبليس والكفر والشرك بالنظر إلى ذواتها. وإنما قلنا بالنظر إلى ذواتها لأننا إذا نظرنا إلى الحكمة التي خلقها الله من أجلها، ففيها خير، لذلك الشر المحض الذي لا خير فيه ليس له حقيقة، بل هوالعدم المحض(٥) .

إن الله تعالى لم يخلق شيئاً ما في هذا الوجود إلا لحكمة، وهذه الحكمة هي وجه حسنه، ولهذا لم يُضف الشر إلى الله وحده(٦)، ولهذا أيضاً قال الرسول ﷺ في دعاء الاستفتاح فيما رواه عنه عليّ ﷺ:"**والخيرُ كلُّه في يديك، والشرُّ ليسَ إليك** "(٧) أي إنك لا تخلق

---

(١) *See The World As Will and Idea: Schopenhauer, ١/٤١٩.*

(٢) *See The Reality of God And the Problem of Evil:Davise,p١١-١٢*

(٣) *See Problem of Evil,From Wikipedia,the free encyclopedia . www.en.Wikipedia.org.*

(٤) انظر مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٢٠٧/٨.

(٥) انظر مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين، جمع وترتيب : فهد بن ناصر السليمان،٢٤٨/٩ .

(٦) انظر قضية الألوهية بين الدين والفلسفة: محمد السيد الجليند، ص ٢٨٢.

(٧) جزء من حديث رواه مسلم: كتاب الصلاة، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧١)، ٥٣٤/١ .

شراً محضاً، بل كلّ ما تخلقه فيه حكمة، هوباعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شرّ لبعض الناس، فهذا شرّ جزئي إضافي، وأما الشرّ الكلّي أوالمطلق، فالربّ منزه عنه،وهذا هوالشرّ الذي ليس إليه[1] .

ومن المعلوم أيضاً أن الشر المحض لا يقع إلا من الشرير، والله تعالى خير وأبقى. وقد أخبرنا الله تعالى أنه ما خلق شيئاً عبثاً أوباطلاً: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المطلب الأول:

إبليس

إن في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله، فالله سبحانه لم يخلقه عبثاً، ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة وحجة قاهرة[1]، من هذه الحكم أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدوالله وحزبه، ومخالفته ومراغمته في الله وإغاظته، ومنها خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه، وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبليسية يكون أقوى وأتم، ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى، وخضوع آخر،وخوف آخر [2].

وخلق الشيطان يظهر للعباد قدرة الله على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات التيهي أخبث الذوات وسبب كل شر، في مقابلة ذات جبريل عليه السلام التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي سبب كل خير، يدل على عظمة الله الذي خلق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء،والخير والشر[3].

أما عن دور الشيطان في الشر الحاصل في العالم، فإن الديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية تتفق على وجود شيطان أوشياطين تسبب وجود الشر في الكون، ولكن مع بعض الاختلاف بينهم في طبيعة دور الشيطان وكيفية التغلب عليه.

في الدين الإسلامي الشر ليس محركه الشيطان فقط، بل النفس أيضاً عندها القابلية، يقول الله تعالى : ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

سلطانه المحدود فتنة واختباراً للناس، وبانتهاء هذا الامتحان يتحدد المصير النهائي للشيطان، وهو العذاب الأبدي، هكذا أعلن القرآن المصير المحتوم للشيطان والنهاية الأخيرة للصراع بين الخير والشر[1].

(١) انظر مقالة (بين الدين والفلسفة .. الشيطان ومشكلة الشر في العالم):محمد عثمان الخشت، مجلة المعرفة، العدد (١٣١)، www.almarefh.com .

المطلب الثاني:

الكفر والمعصية

إن خلق الكفر والمعاصي يدل على كمال قدرة الله في خلق المتضادات، ويدل كذلك أن أفعاله تعالى ليست عن حاجة ولا لجلب نفع أودفع ضر، إذ من يخلق الخير والشر والإيمان والكفر لا يفعل هذا طلباً لمنفعة، فهو بذلك يظهر أنه غني عن خلقه، عزيز بذاته، لا يتعزز بكثرة أوليائه وأنصاره، ولا يضعف بتوفر عدد أعدائه وعصاته[1]. ويضاف إلى ما سبق أنه لولا الكفر لما عرف الناس نعمة الإيمان، ولما كان دعوة وجهاد واستشهاد في سبيل الله تعالى، ولكان خلق النار عبثاً[2]، ولما ظهر من يُقدّم محبة فاطره وخالقه على نفسه وأهله وولده، ومن يُقدم أدنى حظ من الحظوظ عليه[3].

والكلام السابق ينطبق معظمه على المعاصي، وانفردت المعاصي عن الكفر ببعض الحكم، منها أن المعصية كثيراً ما تكون سبباً في محبة العبد لربه؛ فالعاصي الذي يندم على معصيته ويبكي حسرةً وألماً على فعلته سيحصل له من لذة القرب والمناجاة والتذلل بين يدي الخالق ما يجعله أهلاً لمغفرة الله ورحمته، ربما أكثر من ذاك الطائع الذي دخل قلبه شيء من العجب بنفسه والغرور بعبادته[4].

وهو تعالى يفرح بتوبة عبده إذا تاب أعظم الفرح، وهذا يتوقف على التوبة الصادقة من الذنوب، والله تعالىواسع المغفرة، فلولم يكن هناك ذنوب، فلمن يغفر، وعمّن يصفح ويتجاوز؟ وكيف يظهر فضل الله وجوده وحلمه وكرمه إذا لم يكن ذنوب ومذنبون ؟ وبالمقابل فإن وقوع الكفر والمعاصي هو إتمام لكلمة الله حيث وعد النار أن يملأها**ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ**[هود: ١١٩][5] .

---

(١) انظر تبصرة الأدلة في أصول الدين: أبوالمعين النسفي، ٢/٢٥٤.

(٢) انظر شرح الواسطية : ابن عثيمين ، ٢/٢١٧.

(٣) انظر شفاء العليل: ابن القيم، ص ٣٧٥.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٣٧٢.

(٥) انظر فتاوى العقيدة : ابن عثيمين، ص ٥٤٩ .

المطلب الثالث:

الحروب

الحروب أفادت كما أضرّت، وقد يكون النفع فيها أكبر من الضرر، فأنفع المخترعات والمعارف العلمية قد جاء عرضاً في طريق التنافس على صنع السلاح الفعّال، ولولا حروب القرن العشرين لما بلغت الطيارة مبلغها من الإتقان، ولما تضافرت الجهود على الإفادة من الذرة واستكناه أسرار المادة[1]، حتى إن الشابكة التي تعد أعظم وسيلة اتصال وتواصل عبر العالم كله، وأغزر منبع للعلوم والمعارف وأسرع طريقة لنشر الأخبار والأحداث والغرائب في كل أنحاء العالم، إنما اخترع في البداية لأسباب عسكرية.

أما كثرة الموت الناجم عن الحروب فهوضرر واقع على كل حال، فحياة الكائن المحدود تنتهي بالموت لا محالة، ولا فرق بين موت الألوف معاً وموت الآحاد متفرقين، من حيث حقيقة الموت، أما منافع الحروب ليست هي بالمنافع الواقعة في جميع الأحوال[2].

وفوق كل هذا، الحروب وآثارها السيئة هي من صنع البشر أنفسهم، سببها أطماع بني آدم المادية وشهواتهم النفسية ورغبتهم العارمة في حب السيطرة والعلو والاستكبار في الأرض، وليست شراً نازلاً على الناس من السماء لا يستطيعون له دفعاً، فكيف يُعترض على الله ورحمته وقدرته وعدله ما دام بنو آدم هم أنفسهم من يشعلون الحروب ويقتل بعضهم بعضاً، ويدمرون وسائل العيش؟ ألم يُقتل أكثر من ستين مليوناً من البشر في الحربين العالميتينالأولى والثانية؟ هل كان سبب قتل هؤلاء طاعوناً أوفيضاناً أوزلزالاً، أم إنها اليد البشرية الآثمة التي تحولت إلى آلة دمار وتخريب للحياة والأحياء جميعاً؟.

---

(١) انظر عقائد المفكرين :العقاد ، ص ٦٧.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٦٨.

المطلب الرابع:

البراكين والزلازل

علينا أن نعلم أولاً أن هذه الزلازل والبراكين من جند الله التي يسخرها عقاباً للمذنبين وابتلاءً للصالحين وعبرةًللناجين، ومن أبرز الآيات القرآنية التي تتحدث عن الزلازل ما ورد فيسورة النحل حيثيقول الله تعالى:ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ ﮊ[النحل: ٢٦][1].

البراكين والزلازل – وإن كان جمع كبير من الناس يعتقد أنها شر محض – يثبت العلم أنها ليست شراً خالصاً، فللبراكين والزلازل من المنافع ما يمتنع أويستحيل وجوده لولا حصولها.كما أن حدوث هذا النوع من الشرور يدل على وجود النظام، فلولا وجود النظام لما استوعبنا الخلل، ولولا الكمال لما تصورنا النقص، وكي يكون هذا الكلام مقنعاً سأذكر بعض المنافع الحاصلة من حدوث البراكين والزلازل.

١- البراكين:

تبني البراكين جزءاً كبيراً من الأرض، فهي التي كونت أجزاء شاسعة من الأرض مثل هضبة (الدكن) في الهند وجزر (اليوشن) و(هاواي) و(أيسلندة) وعدداً لا حصر له من الجزر الصغيرة، كما أنها بنت القواعد التي تنموعليها الجزر المرجانية، والبراكين تدعم القديم كما تدعم الحديث، فقد أخصبت مساحات شاسعة من التربة التي أضعفتها الزراعة، ولبعض الغازات التي تندفع إلى الخارج من باطن البراكين فوائد كالكبريت الذي يتحول إلى مادة صلبة ويترسب في فوهات البراكين، ولولا الحمم لتعذر علينا أن نصل إلى كثير من الفلزات،وبسببالبراكينيحصل الإنسان على الرصاص والزنك والزئبق، ويعد الألماس أعلى منتجات البراكين قيمة، حتى إن الحمم العادية نفسها لها فوائدها، حيث إنها تتحول إلى صخر يعرف بالبازلت المستخدم في رصف الطرق وفي صناعة الإسمنت، وقد ثبت علمياً أنه لولا البراكين التي تنفّس عن باطن الأرض لانفجر هذا الكوكب كما انفجرت كواكب أُخر [2].

٢- الزلازل:

بسبب حدوث الزلازل استطاع العلماء معرفة عدد وسمك الطبقات التي اجتازتها تلك الموجة الزلزالية وسطوح الانفصال القائمة بين تلك الطبقات، كما أصبح من الممكن معرفة التركيب الكيميائي والوضع الفيزيائي لكل طبقة أرضية، ومعرفة نوع الصخور والمعادن التي تتألف منها كل طبقة من طبقات الأرض، وأخيراً فقد أمكن للعلماء أن يعرفوا الطبقات الفرعية التي تشتمل عليها كل طبقة من الطبقات الثلاث الأساسية للأرض[3].

وأكتفي هنا بذكر هذين المثالين؛ الزلازل والبراكين، فإن طبيعة البحث لا تسمح بعرض الظواهر الطبيعية كافةً، فكل الظواهر الطبيعية الأخرى كالفيضانات والعواصف والبروق والرعود وغيرها، هي مما خالط شرَّها الخيرُ الكثيرُ الذي يكتشفه الباحثون يوماً بعد يوم.وإذا ما سأل سائل: لماذا لا يتدخل الله بين الحين والآخر ليمنع حدوث هذه المصائب، أوعلى الأقل،ليمنع حدوث آثارها،الجواب:

---

(١) انظر مقالة (لماذا خلق الله الشر والمرض) : ناصر التوحيد،*www.eltwhed.com* .

(٢) انظر البراكين والزلازل : فردريك هـ.بو، ت: د.الدمرداش عبدالمجيد سرحان، ص٧٨ ، ٨٣.

(٣) انظر الزلازل : إبراهيم حلمي غوري ، ص ١٥١ ، ١٥٢.

لوتدخّل الله في طبائع الأشياء فلن يتعلم الإنسان قوانين المادة ويحسن الإفادة منها[1]، فالذي جعل الإنسان يصل إلى هذا الحد من تسخيره لما في الكون هوعلمه بسنن الطبيعة وقوانينها الثابتة، فهذه المصائب الكونية إنما تحدث حسب قوانين تحكم الطبيعة كلها، ولولا تلك القوانين لم تقم حياة على هذه الأرض.

وينبغي لنا أن نذّكر هنا أن المصائب الطبيعية إما أن تقع على المؤمن الصالح أوالكافر؛ فما يقع على المؤمن فهوامتحان من الله ليرفع منزلته ويحط عنه من سيئاته، وهذا كله خير، والدليل حديث رسول الله ﷺ: "**عجباً لأمرِ المؤمنِ إنَّ أمرَه كلَّه خيرٌ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن؛ إن أصابته سرّاءُ شكرَ فكانَ خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبرَ فكانَ خيراً له** "[2].

وقد تكون بعض هذه المصائب شهادةً في سبيل الله تعالى، لأن الهدمى والغرقى والحرقى والموت بداء البطن ونحوها من أسباب الشهادة التي تكون في قتال الكفار في المعركة، عن أبي هريرة ﷺقال: قال رسول اللهﷺ: " **الشهداءُ خمسةٌ: المطعونُ، والمبطونُ، والغرِقُ، وصاحبُ الهدمِ، والشهيدُ في سبيلِ اللهِ** "[3]، ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: " **الطاعونُ شهادةٌ لكُلِّ مسلمٍ** "[4].

أماما يقع على الكافر فهوتنبيه لما هوفيه من الغفلة والبعد عن الله، وفوق ذلك هوعقاب لمن جاءته النذر ولم يتعظ،يقول الله تعالى:**ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ**[يونس: ١٣]، ويقول أيضاً:**ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ژ**[الأنعام: ٤٢]، والمعنى: لقد أرسل الله إلى أمم من السالفين والقرون المتقدمين فكذبوا الرسل وجحدوا بآيات الله، فابتلاهم الله بالفقر والمرض والآفات والمصائب رحمةً منه تعالى بهم لعلهم يتوبون ويلجأون عند الشدة إلى بارئهم. إلا أنه لا بد من التذكير هنا أن هلاك الإنسان بمصيبة كونية أوموته على يد ظالم ليس تعذيباً له، فربما يكون هذا الحادث رفعاً لدرجاته في الجنة، فالأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – قتل بعضهم على يد اليهود.

---

(١) *The Argument from Evil: Scott M. Sullivan,p٥* .

(٢) رواه مسلم عن صهيب ﷺ ،كتاب الزهد ، باب : المؤمن أمره خير كله ، رقم(٢٩٩٩)، ٢٢٩٥/٤ .

(٣) رواه البخاري كتاب الجهاد والسيَر، باب: الشهادة سبع سوى القتل، رقم(٢٨٢٩)،٢٤/٤، ورواه مسلم : كتاب الجهاد ، باب : بيان الشهداء ، رقم (١٩١٤)،١٥٢١/٣ .

(٤) رواه البخاري عن أنس بن مالك ﷺ ،كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم (٥٧٣٢)، ١٣١/٧، ورواه مسلم: كتاب الجهاد، باب : بيان الشهداء ، رقم (١٩١٦)،١٥٢٢/٣ .

المطلب الخامس:

الموت

كان الموت ولا يزال من أكبر المصائب التي واجهت البشرية، وهومن أعظم أسباب التشاؤم؛ فعندما يتحقق غير المؤمن من أن الموت فناء شامل للمخلوقات جميعاً، يغمره شعور بعبثية الحياة، ومن ثم فإنه سينظر نظرة سوداوية قاتمة للحياة بكل ما تحويه، ويتشاءم حتى من الخير الذييصيبه.

وعبّر **كامو**في روايته (أسطورة سيزيف) عن هذه الفكرة قائلاً: " الموت هوالمشكلة الحقيقية الفلسفية الجادة الوحيدة في الحياة "،ويقول **شوبنهور** أيضاً: " الموت هوالموضوع الرئيس للفلسفة، والملهم الأكبر للتفكيرالفلسفي "[١].

فما حقيقة الموت؟ وهل هوشر محض، أم إنه خير، أم إنه خير وشر؟

١- لقد شاءت إرادة الله أن يعيش الإنسان عمراً محدوداً في الحياة الدنيا، ثم يعيش عمراً خالداً في الآخرة، وبين هاتين الحياتين يقف الموت برزخاً يفصل بينهما. فالموت ما هوفي الواقع إلا محطة عبور إلى عالم آخر، وإذا كانت القضية كذلك، فلا يوصف الموت إذاً بحدّ ذاته بأنه خير أوشر، إلا ما يلابسه من ظروف أخرى خارجية كحزن البشر على فقد عزيز أوحبيب أو قريب.

٢- إن للموت حكَماً تخرجه من الحُكم عليه أنه شر محض، فالموت سبيل لحياة المخلوقات الأخرى، إذ لولا الموت لاستحالت الحياة[٢]، فلو تركت الفئران والكلاب والنمل والنحل والوحوش كلها دون موت، كيف ستكون الأرض؟! وكذلك لو بقي في الوجود كل البشر لعجزت الأرض عن إيوائهم وتغذيتهم، يقول الجاحظ (ت:٢٥٥هـ):" أفرأيت لو كان كل رجل دخل العالم ويدخله يبقون فلا يموت أحد منهم، ألم تكن الأرض ستضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعايش "[٣].

٣- الموت عظة بليغة للناس جميعاً، ويجب أن نعترف بأن الموت سر، بل هو أعظم أسرار الوجود، فالعقل البشري مهما بلغ في رقيه لن يصل إلى إدراك سر الموتوكشف غموضه، يقول أحدهم:"الموت سنة ربانية لا تدفعها قوة من قوى البشر، هي في نفسها ظاهرة تحدٍّ وإعجازٍ، وفي توقيتها ظاهرة تحدٍّ وإعجازٍ، وفي خفاء أمرها ظاهرة تحدٍّ وإعجازٍ،وهي قسيمة الحياة في أنهما عمل خالص لله، فعجز البشر وكل الخلق عن إيجاد الحياة في شيء كعجزهم عن دفع الموت عمن أراد الله به الموت "[٤].

٤- أخيراً، الموت عند المؤمنين ليس نهاية الحياة، وإنما نهاية فصل من فصولها وبداية حياة جديدة، فبعد الموت إما نعيم مقيم في جنات الخلد حيث لا حزن ولا ألم، وإما عذاب أليم في نار الجحيم حيث الحزن والألم والخوف، وفي كلتا الحالتين، سيدرك الفريقان أن الموت ليس مشكلة، فعند المؤمن كان الموت سبيلاً لا بد منه لحيازة هذا النعيم المقيم، وعند أهل النار، فإن ما يلاقونه بعد الموت لهو

---

(١) انظر الموت في الفكر الغربي:جاك شورون ،ت:كامل يوسف حسين ، ص ١٨٩،وانظر مقالة تناصية الموت مع المعرفة والحياة: منير مزيد www.freemediawatch.org

(٢)*See The Philosophy of Religion:G.Gallway,p٥٢٦.*

(٣) كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير: الجاحظ ، ص ٧١، يقول العلماء: لو أن ذبابتين توالدتا هماوأولادهما دون موت، فإنه بعد خمس سنوات تتشكل طبقة من الذباب حول الكرة الأرضية ارتفاعها ٥ سم، وهذا جنس واحد من المخلوقات، فكيف إذا كانت المخلوقات كلها تتوالد ولا تموت،انظر العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث: سعد الدين السيد صالح، ص١٥٣ .

(٤) الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة:د.عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، ص ٣٠٥.

المشكلة الحقيقية الكبرى التي ليس لها من سبيل لحلها أو الهروب منها. عن أبي قتادة بن ربعي ﷺأن رسول الله ﷺمُرّ عليه بجنازة، فقال: " **مُستريحٌ ومُستراحٌ منه . قالوا: يا رسول الله: ما المستريحُ والمُستراحُ منه؟ فقال: العبدُ المؤمنُ يستريحُ من نصبِ الدنيا، والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منه العباد والبلاد والشجر والدواب** "[1]، ففي الموت راحة للمؤمن، وراحة من الفاجر والكافر.

نخلص مما سبق أن الموت شر محض لمن لا يؤمن بحياة أخرى بعد الموت، وهوخير محض لمن يؤمن بالله، وبتعبير آخر، إن من قدّم خيراً لن يخشى الموت ولن يراه شراً، بل إنه سيفرح بلقاء ربه ليجد النعيم المعدّ له، ومن اجترح السيئات فإنه سيكره الموت، وسيجده شراً محضاً، لأنه يعلم أن هذا الموت هوالموصل له بعد ذلك إلى جحيم لا يطاق، وقد ذكر **ديكارت** سابقاً أن الموت ليس شراً،ولا ينبغي أن نخشاه، لأن السعادة التي تتمتع بها النفس بعد الموت أكبر وأشرف من السعادة التي تتمتع بها في الدنيا[2].

(١) رواه البخاري مسلم عن أبي قتادة ﷺ ، البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت، رقم(٦٥١٢)، ٨/ ١٠٧، ومسلم في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في مستريح ومستراح منه، رقم (٩٥٠)، ٦٥٦/٢ .

(٢) انظر ديكارت أو الفلسفة العقلية : د.راوية عباس، ص ٤٩١.

المطلب السادس:

موت الأطفال

هي من أكثر المسائل التي أثارها المشككون، إذ يرون فيها –حسب زعمهم– دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً على عدم وجود الله؛ وحتى إن وُجد، فهو إله ناقص القدرةوالرحمة، إذ لوكان هذا الإله موجوداً وقادراً على كل شيء لمنع موت هؤلاء الأطفال أوتعرضهم للآلام والأمراض والظلم وغير ذلك من الشرور والبلايا.

وقد كانت هذه المسألة سبب إلحاد**دستوفسكي**، الذي خصص فصلاً من روايته (الأخوة كارامازوف) بعنوان (التمرد) للحديث عن العذابات التي يتعرض لها الأطفال، واستنكر رسل كذلك ما تفعله الطبيعةالعمياء–على حد تعبيره– بالأطفال الذين يخضعون لكل صنوف العذاب دون أدنى ذنب ارتكبوه(١)، كما تساءل بول ريكور قائلاً: "لماذا موت الأطفال؟!"(٢).

ومسألة موت الأطفال لا تختلف عن أخواتها مما يراه بعضهم شراً محضاً وفي حقيقة الأمر هي ليست كذلك، ففي موت الأطفال من الحكَم والعبر ما يخرجه من دائرة الشر المحض، فبالإضافة إلى حكم الموت السابقة، نجد أن هذا الموت الذي يختطف الكبار والصغار على السواء فيه تنبيه للإنسان ألا يغتر بطول الأمل ويمنّي نفسه بأنه سيعيش عمراً طويلاً، وهو امتحان لصبر ذويهم.

والله تعالى مالك الملك، وله أن يتصرف في ملكه كيفما شاء، ولا يُسأل عما يفعل، وليس إذا ما خفيت عنا الحكمة في فعلٍ ما فمعناه أنها غير موجودة، ففي قصة الخضر عليه السلام عظة حين قتل ذلك الغلام البريء، واعترض على هذا الفعل نبي الله موسىعليه السلام، فهذا القتل يُرى في ظاهره شراً، ولكنه — حين تبينت الحكمة– ظهر أنه خير للغلام ولوالديه، وهذا درس وعبرة لمن يأخذون الأشياء بظواهرها دون محاولةاستكناه حكم الله منها.

ومما يخفف من حزن المؤمن يقينه أن الأجل محدد**ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ژ** [الأعراف: ٣٤]، وأن الحياة الدنيا لا قيمة لها بالنسبة إلى الآخرة، وأن صبره على المحن والشدائد اليوم، سيجعله من أهل الجنان غداً إن شاء الله تعالى.

وقد ورد في الصحيح أن بنتاً للنبي ﷺأرسلت إليه: إن ابناً لي قُبض فائتنا، فأرسل يقرئ السلام ويقول:"**إنَّ للهِ ما أخذَ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجلٍ مُسمًّى، فَلْتصبِرْ ولْتحتسِبْ**"(٣)، ومعنى (لله ما أخذ): أي كل الخلق ملكه، وهومطلق التصرف فيه.

وفي حديث آخر يقول ﷺ:" **إذا ماتَ ولدُ العبدِ قال اللهُ لملائكته: قبضتُمْ ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقولُ: قبضتُم ثمرةَ فؤادِهِ، فيقولون: نعم، فيقولُ: ماذا قال عبدي، فيقولون: حَمِدَك واسترجعَ، فيقولُ اللهُ ﷻ: أبنوا لعبدي بيتاً في الجنةِ وسمّوُهُبيتَ**

---

(١) انظر عبادة الإنسان الحر: رسل، ص ١١.

(٢) فلسفة الإرادة..الإنسان الخطاء : ريكور، ص ٢٢٦ .

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، البخاري في كتاب الجنائز،باب قوله "يعذب الميت ببكاء أهله عليه" رقم(١٢٨٤)، ٢/٧٩، ومسلم في كتاب الجنائز، باب: البكاء على الميت، رقم (٩٢٣)،٢/٦٣٥ .

الحمدِ"[1]، ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً:" **يقولُ اللهُ تعالى: ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ إذا قبضْتُ صفيَّهُ من أهلِ الدنيا ثمَّ احتسبَهُ إلا الجنَّةُ**"[2]. ومعنى احتسبه: أي صبر على فقده وطلب الأجر من الله تعالى وحده.

(١) رواه الترمذي عن أبي موسى الأشعري ﷺ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، أبواب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، رقم (١٠٢١)،٣٣٢/٣، وابن حبان: باب ذكر بناء الله جلّ وعلا بيت الحمد في الجنة لمن استرجع وحمد الله عند فقد ولده، رقم(٢٩٤٨)، ٢١٠/٧، وقال الألباني:حسن، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف .

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ ، كتاب الرقاق، باب: العمل الذي يبتغى به وجه الله، رقم (٦٤٢٤)، ٩٠/٨ .

المطلب السابع:

آلام الحيوانات

تعد مسألة آلام الحيوانات من المسائل المشكلة حقاً، إذ كل حلول مشكلة الشر السابق ذكرها لا يمكننا تطبيقها هنا؛ فلا يمكن لعاقل أن يقول: إن السبب هوحرية الإرادة أوالعوض الأخروي أوالخطيئة الأصلية ما دامت هذه المخلوقات غير مكلفة أصلاً، لذلك لجأ الفلاسفة والمتكلمون إلى تفسيراتٍ أخرى.

ومن هؤلاء*Lewis* في كتابه *The Problem of Pain* حيث قدم حجتين لحلها، الأولى: إن الآلام التي تشعر بها الكائنات ذات الإحساس المختلف لا يجتمع بعضها إلى بعض، فلا المخلوق (أ) ولا (ب) يمكن أن يحس بآلام الآخر، ومن ثم يفترض أن الحيوانات ليس لديها استمرارية في الوعي يمكنها بوساطته التذكر، وبمعنى آخر: إن الحيوان له إحساس بدون وعي، ولا عبرة إلا بهذا الأخير، فإثارة العاطفة لدى بني البشر هي التي تجعل آلامهم شديدة [١].

وأما الحجة الأخرى فإنه يرجع ما يلحق بالحيوان من ألم إلى الشيطان، وهذا في حقيقة الأمر ليس إلا عودة لمذهب المانوية، وإن حاول*Lewis* أن يبتعد عن ذلك، بما ذهب إليه من أن الله هوالذي منح الشيطان قوة التسلط على الحيوانات من حين لآخر، وأنه محيط بكل أفعاله.

ويضيف *Peter Geach* حجةً أخرى لتبرير ألم الحيوان تتمثل في أن إرادة الله تعالى اقتضت إنتاج حيوانات ونباتات متنوعة لعالمنا هذامن خلال التطور بوساطة قانون الانتخاب الطبيعي، وهذه الخطة الشاملة قد أعفت الله تعالى – في نظره– مما يلحق بالكائنات من ألم، ووفقاً لذلك يمكن مقارنة الله بقائد جيش مسؤول عن الاتجاه الرئيس للسياسة لا عن تفصيلاتتنفيذها[٢].

يُضاف إلى ما سبق أن الألم يُعد من مستلزمات الحيوان الأساسية، فهومرتب لتحقيق أعظم فائدة، ألا وهي: حفظه من الفناء، فالجوع والعطش والبرد...إلخ، كل هذا ينذر الحيوان بضرورة اتخاذ الوسائل الكفيلة بحفظ كيانه، فكيف يمكن أن يأكل الحيوان لو أنه لم يشعر بألم الجوع؟!. فآلام الحيوانات إذاً ما هي إلا تنبيه وتحذير لها كي يمكنها التعايش مع البيئة التي تحيط بها[٣].

ومن المعلوم أن آلام الإنسان تفوق– بكثير– آلام الحيوان الذي لا يحس إلا بالآلام الجسدية، أما النفسية فإنه لا يعرفها، كما أن الحيوان يتألم دون أن يعرف معنى الألم أوينتظره أويفكر فيه، والموت في الحيوان هوتوقف الحياة فقط، أما الإنسان فيفكر في الموت، وفي نتائجه على الأسرة والأولاد قبل مجيئه، فمن المعروف أن الموت من أكثر القضايا التي شغلت فكر الإنسان[٤] .

وقد عالج **ديكارت** مسألة آلام الحيوان بأسلوب آخر عندما قرّر أن الحيوانات عبارة عن آلات لا إحساس لها، وبالتالي لا تشعر بالألم أبداً[٥]، ومن الممكن أن نرد على هذا الكلام من كتاب الله تعالى على لسان سليمان عليه السلام متوعداً الهدهد**ژ** □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ **ژ**[النمل: ٢١]، فقد فرّق سليمان عليه السلام بين التعذيب والذبح، والتعذيب لا بد فيه من إيلام، وإلا لم يكن فيه

---

(١) *See Providence and Evil:Peter Geach,p٦٨-٧٠.* وانظر منبعا الدين والأخلاق : برغسون، ص ٢٣٢ .

(٢) *See Ibid,p٧١.* . وانظر العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم:د.ثائر الحلاق، ص ١٠٢ .

(٣) انظر مشكلة الشر: كاراس المحرقي، ص ٨١ ، ٨٢، وانظر *The Encyclopedia of Philosophy:Edwards,٣/٤٧٦* .

(٤) انظر مشكلة الشر: كاراس المحرقي، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٥) *A Companion to Descarte: Janet Broughton and John Carriero, p٤٠٤.*

فائدة، ولكان عبثاً يتنزه عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، ويدل على هذا أيضاً وصية الرسول ﷺ عند ذبح الحيوان:"**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**"(١).

وفي نهاية الكلام عن آلام الحيوانات لا بد أن نشير إلى حل غريب للمعتزلة لهذه المسألة والتي قبلها؛ آلام الأطفال وموتهم، وآلام الحيوانات، فقد ذهب المعتزلة إلى أنه ثمة أعواض ينالها غير المكلفين (الحيوانات والأطفال) في الآخرة، فالله تعالى لا يوقع الآلام بمخلوقاته إلا لحكم، فإن كانت هذه الآلام واقعة على المكلفين فللعوض والاعتبار، وإن كانت على غير المكلفين فهي للعوض فقط(٢)، وقد استند المعتزلة في تقرير هذه الفكرة إلى القياس؛ فجعلوا الثواب الأخروي المعوّض عن آلام الطاعة والابتلاء والمرض وغيرها مما ينسب فعله إلى الله نظيراً للأجرة التي يأخذها المرء من المؤجر بعد أن يؤدي له خدمة فيها مشقة وتعب وألم، وفي الحالين؛ حال الله المكلِّف وحال الإنسان المؤجِّر لغيره يكون المتسبب لغيره بالألم ونافعاً له لما يمنحه إياه في النهاية من الجزاء(٣). وغير خافٍ أن هذا الرأي هو من الأمور الغيبية التي يحتاج في إثباتها إلى منقول صريح.

نخلص مما سبق أن الله تعالى لا يخلق شراً محضاً، بل يخلق الشر لما يترتب عليه من المصلحة العظيمة والحكمة البالغة، وإن كان هذا الإنسان الجاهل لا يدرك – في كثير من الأحيان – حقيقة الخير الكامنة وراء هذا الشر الذي يصيبه أو يراه في هذا الكون.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم عن شداد بن أوس ﷺ ، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، رقم(١٩٥٥)، ١٥٤٨/٣ .

(٢)انظر شرح الأصول الخمسة المنسوب للقاضي عبدالجبار، ص ٤٨٥، ٤٩٠.

(٣) انظر المغني في أبواب التوحيد والعدل: القاضي عبدالجبار، ٢٨٠/١١، نقلاً عن معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة: محمد التميمي، ص٢٧.

المبحث الثاني :

مشكلة الشر

بين المتشائمين والمتفائلين

وفيه أربعة مطالب

المطلب الأول: شوبنهور والتشاؤم

المطلب الثاني : الفلسفة الوجودية والتشاؤم

المطلب الثالث: مشكلة الشر والتفاؤل

المطلب الرابع: موقف الإسلام من التفاؤل والتشاؤم

تمهيد :

من خلال عرض ما سبق من مواقف الفلاسفة تجاه مشكلة الشر تبيّن لنا أن بعضهم نظر نظرة متشائمة إلى الكون بما يحويه من شرور وآفات، وآخرون كانوا متفائلين، وفريق ثالث وقفوا موقفاً وسطاً بين هؤلاء وهؤلاء.وسأقوم بمناقشة هذه المواقف الثلاثة مبتدئاً ومركزاً أكثر على المتشائمين. وإذا كان أمير التشاؤم هو**شوبنهور**، فإن اتخاذه محوراً للنقاش سيغني عن الرد على باقي المتشائمين كـ**رسل**و**فولتير**و**كامو**و**دستوفسكي**و**سارتر**، بالإضافة إلى **باسكال**[1]، أهم الأفكار التي تجمع بين المتشائمين:

١- سيادة الشر على الخير والألم على اللذة، فالحياة مليئة بالشرور والأحزان والمصاعب والآلام.
٢- الشر في أصل الوجود، ولا سبيل مطلقاً إلى الخلاص منه، فمن الحمق أن نحاول إصلاح شيء فاسد بطبعه.
٣- الناس بطباعهم أشرار يسودهم النفاق والغدر والحقد والرغبة في الأذى والظلم، فالوجود شر، والإنسان شر ما فيه.
٤- فقدان الحرية، فكل شيء مسيَّر ولا مجال للاختيار.
٥- سوء تقسيم الحظوظ، وتحكّم الصدفة والاتفاق في مصائر الناس[2].

(١) انظر تاريخ الفلسفة: إميل برييه، ١٦٨/٤.

(٢) انظر شوبنهور: عبدالرحمن بدوي، ص ٢٦٦-٢٦٩.

المطلب الأول:

شوبنهور والتشاؤم

يرى أصحاب هذا الاتجاه، وعلى رأسهم **شوبنهور**، أنّ الشر والشقاء هما جوهر الحياة وحقيقة الوجود، ولا وجود لشيء اسمه السعادة أواللذة، ولكن هناك شقاء وآلام، قد تكون شديدة، وقد تخف قليلاً أوكثيراً، فيسمي الناس هذه الحالة سعادةً أولذةً.

وقبل أن نبدأ بالرد على **شوبنهور** من خلال كلامه لا بد من الوقوف على معالم حياته لأنها ساهمت –كما يبدو– في تشكيل فلسفته،وإن هذه المعرفة بشيء من تفاصيل حياته ربما تفي بالغرض، وتغني عن الرد العلمي:

١– أول ما يسترعي انتباه الباحث حين النظر في سيرة حياته وجود حالات من الجنون والحماقة في عائلتي والده ووالدته[١]، فقد عاش شقيقان من أجداده في مستشفى الأمراض العقلية،وأصيبت والدته بالجنون، أما والده فقد تميّز بحدة الغضب والثورة لأتفه الأسباب، والإحساس بالملل والضجر والتشاؤم، ويعتقد أن والده مات منتحراً [٢].وقد عاش حياته محزوناً بعد ذلك، فلم يستطع أن يطرد عن تفكيره موت أبيه الذي كان صديقه الوحيد [٣].

٢– لم يكن **شوبنهور** يحب أمه التي عاشت في الهوى المباح، وهي بدورها كانت تكره ابنها،وترى فيه وحشاً يحيّرها ويخيفها. وكان **شوبنهور** يقيم وحيداً متفكراً ك**هاملت** في أسى أبيه وعار أمه، ومما قاله في هذا الشأن: " لقد وجدت من فجر حياتي أني مع العالم على غير وفاق "، أما في مجال العمل فإنه لم يوفق في متابعة مسيرة أبيه التجارية [٤].

٣– يُظن أنه كان مصاباً بنوع من الهوس وحالة مرضية نفسية، وكان فظاًوأنانياً [٥]، وكان له أصدقاء قليلون، وكان يضيق بالأصوات ويؤثر التوحد في نزهته[٦]، وعندما كان يدرس في جامعة (برلين) اختار ساعات محاضراته في الوقت نفسه الذي يلقي فيه **هيجل** محاضراته، على الرغم من أن **هيجل** كان في ذروة مجده، فقلّ عدد من التف حوله من الطلاب، فاستاء وتبرم. ويقال إنه كان ذا دوافع شهوانية قوية لم يستطع التحكم فيها، وأدى به ذلك إلى سلسلة من العلاقات الغرامية غير المستقيمة كان يخجل منها مما زاد في نفوره من الناس، والنساء خاصة [٧].

٤– لم يكن له ثقة بالله وبالناس، وكان دائماً يضع سلاحاً تحت وسادته، ولم يسلم ذقنه لموسى الحلاق يوماً، ولا يكاد يُذكر مرضٌ معدٍ حتى يفرّ من الناس، وكان يصطحب معه قدحاً جلدياً يشرب منه أينما ذهب للعشاء خارج منزله، حتى لا تضطره شفتاه إلى

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت،ص ٣٣٥.

(٢) انظر أعلام في الأدب العالمي : علي عبدالفتاح،ص ٨٢.

(٣) انظر المفكرون من سقراط إلى سارتر :هنري ودانالي توماس، ص ٣١٨.

(٤) انظر المرجع السابق ، ص ٣٢٠.

(٥) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٣٣٥.

(٦) المفكرون من سقراط إلى سارتر: هنري ودانالي توماس، ص ٣٢٢.

(٧) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦.

ملامسة كوب غيره، وكان يحكم الإغلاق على غلايينه ولفافاته لئلا يلوثها أصدقاؤه، وكان خوفه على ماله كبيراً، إذ كان يخبئ نقوده تحت المحبرة، ويدس سنداته بين الخطابات القديمة[١].

هذه خلاصة عن حياة هذا الفيلسوف الخاصة والعامة، وتأسيساً على ذلك نقول:

١- إن كفر الرجل بالله والوحي جعله لا يرى في الوجود إلا هذه الحياة الدنيا، وهذا القصور جعله يصرخ بأعلى صوته من آلام الحياة وشرورها. ولو أنه رأى أنّ الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، وأنّ ثمة حياة أخرى يسعى إليها الناس، وأنّ ما يكابدونه - في هذه الحياة- إنما يكابدونه وهم في غاية السعادة والرضا، لتغيرت نظرته إلى الحياة بما فيها من خيرات وشرور [٢] .

٢- إن كفر الرجل وإلحاده أعمى قلبه ثم بصره عن أن يرى في الوجود سوى الشرور والآلام، وتشاؤمه هذا جعله يعمى عن كل خير، بل يرى الخير شراً، لقد اكتفى بالناحية السوداء القاتمة من الحياة، ناحية البؤس والألم، وأهمل واقعاً آخر مشرقاً؛ وهوحب خلق الفرح في نفوس الآخرين [٣].

٣- إنّ زعمه أنّ مطالب الإنسان وغاياته التي لا تنتهي مصدر شقاء للإنسان قصور في فهمه، فالإنسان يضع أمامه أهدافاً لحياته، ويسعى لتحقيقها، وهويشعر بالسعادة والرضا عندما يحقق غاياته، ويرتفع من نجاح إلى نجاح، وليس في ذلك من التعاسة في شيء، فلحظة واحدة من السعادة عند تحقيق الإنسان هدفه تعدل سنوات من الكد والكدح لتحقيق هذا النجاح الذي ناله[٤].

٤ - إنّ الحياة ليست ساحة قتال كما يدعي أصحاب هذه النزعة ك**شوبنهور** وسلفه **فولتير**، ولكن الحياة فيها من التعاون بين الأحياء ما يربو على ما فيها من نزاعات، فالتعاون بين الكائنات قائم على مستوى الأنواع بعضها مع بعض، فالنبات يعيش على ثاني أوكسيد الكربون الذي ينتجه الإنسان، والإنسان يعيش على الأوكسجين الذي ينتجه النبات، والنبات ينتج الرحيق الذي يعيش عليه النحل، والنحل ينقل بذور النبات إلى أمكنة أخرى فتنبت فصائل جديدة، والإنسان يعيش على النبات والحيوان، وتغذي الإنسان على هذين النوعين ليس خطراً عليهما، وليس هو كذلك شراً ولا اعتداءً[٥]، بل هو من باب التوازن البيئي الذي أقامه الله تعالى في هذا العالم، ولولاه لما كان استمرار للحياة، ولما بقيت هذه الأنواع أصلاً.

٥- إنّ حياة **شوبنهور** وسيرته تتصادم مع كل ما ادعاه في فلسفته، وبخاصة في دعوته إلى الموت انتحاراً تخلصاً من آلام الحياة وشرورها، فحياة الرجل كانت أشد شقاءً من حياة الكثيرين، وقد عاش مريضاً تنتابه الوساوس والمخاوف وسوء الظن بمن حوله، وقد قضى الثلاثين عاماً الأخيرة من حياته في حجرتين وحيداً كئيباً، فأي الناس كان أحق بالانتحار منه تخلصاً من تلك الحياة التعسة بحق ؟!

لكننا نجد أنّ الرجل الذي مجّد الموت، وعدّه المنقذ من شقاء الحياة، والذي تسبب في انتحار عدد من الذين اعتنقوا فلسفته وتأثروا بفكره، هذا الرجل ظلّ محباً للحياة، مستمسكاً بها حتى وصل سنه الثانية والسبعين، وقد قضى حياته تلك لم يبخل على نفسه

---

(١) انظر المفكرون من سقراط إلى سارتر: هنري ودانالي توماس،ص ٣٢٦.

(٢) انظر مذاهب فكرية معاصرة : عرض ونقد : د.محمود مزروعة ، ص ١٨٩- ٢٠٧ ، نقلاً عن مقالة (المفكر الغربي شوبنهور : نقد علمي لفكره):سليمان الخراشي ، *WWW.ELTWHED.COM* .

(٣) انظر المذاهب الأخلاقية :د.عادل العوا ، ص ٤٨٧.

(٤) انظر مذاهب فكرية معاصرة:عرض ونقد : د.محمود مزروعة ، ص ١٨٩- ٢٠٧ ، نقلاً عن مقالة (المفكر الغربيشوبنهور : نقد علمي لفكره) :سليمان الخراشي ، *WWW.ELTWHED.COM* .

(٥) انظر المرجع السابق .

بشيء من متع الحياة التي زهّد الآخرين بها، وزعم أنّها شرّ وشقاء. فيا للعجب من هذا الفيلسوف الذي يقول للناس موتوا، ويستأثر لنفسه بالتمتع بالحياة الدنيا !![1].

وأختم كلامي عن **شوبنهور** برأي أعرف الناس به؛ أمه التي كتبت له مرة:" لقد أخبرتك دائماً أن من الصعب علي أن أعيش معك ..فكآبتك وشكواك من أمور لا مفر منها ونظراتك العابسة وآراؤك العجيبة التي تدلي بها كأنها وحي لا يجرؤ أحد على معارضته..كل هذا يحزنني ويرهقني ..وإن مماحكاتك الدائمة، وأساك لحماقة العالم وشقوة الإنسان لمّا يظلم ليلي، ويبعث فيه أشأم الأحلام "[2]، وهذا كاتب غربي هو ديفيد كلارك *David Clark* يذكر أن حياة **شوبنهور** كفلسفته، وفلسفته لا عقلانية، وتدحض نفسها بنفسها[3].

وقد اقتفى أثر **شوبنهور** في التشاؤم عدد من الفلاسفة والأدباء، وبشيء من الاختصار سأشير إلى اثنين منهم، هما الشاعر البريطاني **بايرون***Pyron*(ت:١٨٢٤م)، والشاعر العربي أبوالعلاء المعري(ت:٤٤٩هـ).

يقول **بايرون** على لسان قابيل مخاطباً إبليس:" لم وُجدت؟ ولماذا أنت شقي؟ ولمَ انتظم الشقاء كل موجود؟ يجب أن يكون بارينا هوالآخر شقياً، ما دام قد خلق هكذا الكائنات؛ فإن الشقاء لا يمكن أن يكون من عادة عمل السعادة. ومع ذلك فإن أبي يقول عنه إنه قادر قدرة مطلقة، فإن كان خيّراً، فلم إذاً وجد الشر؟ سألت أبي هذا السؤال، فأجاب: إن هذا الشر ليس إلا سبيل الوصول إلى الخير. يا عجباً لهذا الخير الذي لا يولد إلا من خصمه اللدود ! "[4]، ويقول **بايرون** أيضاً:" تعساً لمن خلق الحياة التي تفضي إلى الموت "[5].

أما الفيلسوف الشاعر أبوالعلاء المعري فإنه يحمّل آدم عليه السلام شقاء البشرية وتعاستها فيقول :

سعى آدمٌ جدّ البريّة في أذىً لذريّةٍ في ظهره تشبه الذرّا

تلا الناسُ في النكراء نهج أبيهمُ وغرّ بنوه في الحياة كما غرّا[6]

والعجب كل العجب – برأيه – لهؤلاء الذين يغتبطون لاستمرار تلك الخطيئة، فينسلون ويخلّفون لنسلهم الشقاء :

بدا فرحٌ من مُعرس أفما درى بما اختار من سوء الفعال وما جرّا[7]

---

(١) انظر مذاهب فكرية معاصرة:عرض ونقد : د.محمود مزروعة ، ص ١٨٩– ٢٠٧ ، نقلاً عن مقالة (المفكر الغربي شوبنهور : نقد علمي لفكره) :سليمان الخراشي ، *WWW.ELTWHED.COM* .

(٢) انظر المفكرون من سقراط إلى سارتر : هنري ودانالي توماس، ص ٣٢٠ .

(٣) See A Syllabus of Systematic Theology:David S.Clark,p٨٧.

(٤) شوبنهور: عبدالرحمن بدوي، ص ٢٨٩.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(٦) اللزوميات : أبو العلاء المعري، ٣٣٠/١ .

(٧) المرجع السابق، ٣٣٠/١ .

ويعجب أبوالعلاء أيضاً من أولئك الذين يتنافسون في سبيل تحصيل الدنيا وزخرفها:

تعبٌ كلّها الحياة فما أعـ جبُ إلا من راغب في ازدياد[1]

وعلى الرغم من تشاؤم المعري فإنه يرى إرادة الله للخير والشر معاً، فهوخالق لهما، والله تعالى خلق الشر ونحن نجهل الحكمة منه لأننا لا نملك إلا مقاييسنا البشرية التي صنعتها عقولنا[2]، لذلك من الخطأ تشبيه تشاؤم أبي العلاء بتشاؤم **شوبنهور**، فتشاؤم **شوبنهور** هوتشاؤم مطلق، أما تشاؤم المعري فهوتشاؤم نسبي؛ فالله عند المعري لا يصدر عنه إلا الخير، ولا يريد لعباده إلا الرحمة[3]. من ثم فالله عنده واحد وقديم وقادر وعادل وحق وحكيم وعليم لا يجري في العالم شيء إلا بإذنه، وله جميع الكمالات[4].

ففرق كبير إذاً بين تشاؤم المعري، وتشاؤم غيره من فلاسفة الغرب الذين صدحوا بإلحاد سافر، فأفكار المعري كانت تعبّر عما كان ينتاب نفسه من شك وإيمان، وحيرة وتردد، وتشاؤم وثورة، فأدبه عبارة عن خواطر مضطربة أوشذرات خالية من الوحدة والانسجام، لذلك لا نستطيع القول إنه صاحب مذهب فلسفي متماسك العناصر موحد البناء[5].

أما **شوبنهور**و**بايرون**وأمثالهما، فقد كانوا أصحاب منهج تسوده سمة التشاؤم، لذلك نتج عن هذا —كما رأينا–النظرة السلبية للأديان، وإنكار وجود الله، أوعلى الأقل، إنكار صفات الكمال له عز وجل.

وإذا ما تجاوزنا المعري إلى سلفه ابن الراوندي، فإننانجد أنفسنا أمام تشاؤم مطلق وكفر بواح؛ ومما أُثر عنهذا الأخير أنه قال: إن مَن أمرض عبيده وأسقمهم فليس بحكيم فيما فعل بهم ولا رحيم بهم، وإنه ليس بحكيم من أمر بطاعة من يعلم أنه لا يطيعه[6]،وقد ألّف الخيّاط المعتزلي(ت:٢٩٠هـ) كتاب الانتصار رداً عليه.

---

(١) انظر شروح سقط الزند(للمعري) : التبريزي والبطليوسي والخوارزمي، ٩٧٧/٣ .

(٢) انظر النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين:د.سناء خضر، ص ١١٨.

(٣) انظر تاريخ الفلسفة العربية:جميل صليبا ، ص ٣٢٦.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٣٠٩.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٢٩١.

(٦) انظر كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد: أبوالحسين الخياط، ص ٢ ، ويرى بعضهم أن تشاؤم ابن الراوندي لم يكن عن منهج اتبعه لأنه رجل زنديق أراد مما اشتهر به تشكيك الناس في عقائدهم، انظر من تاريخ الإلحاد في الإسلام: د.عبدالرحمن بدوي، ص ١٨٧، ١٨٨ .

المطلب الثاني:

الفلسفة الوجودية والتشاؤم

لا عجب أن نجد أعلام الوجودية أهم من مثلوا النظرة القاتمة تُجاه الحياةوالأحياء جميعاً، إذ إن الفلسفة الوجودية إنما قامت – في الأصل – على هذا الأساس؛ فالمذهب الوجودي هو تعبير عن حالة القلق العام الذي ساور الناس عقب الحرب العالمية الأولى والثانية[١]،فمؤسس المذهب الوجودي **كيركجارد**(ت:١٨٥٥م) يطلب إلينا أن نتحمل العالم، ونتعلم كيف نقبل ألم وجودنا، وسار على منواله **كامو**من خلال أعماله الأدبية، غير أن هذا الأخير بالغ كثيراً في نقده للحياة وما يجري فيها من مصائب حتى عدّه بعض المؤرخين من فلاسفة العبثية لا الوجودية [٢].

ومثل **كاموسارتر** الذي يعد من أهم رموز الفلسفة الوجودية في العصر الحديث حتى ارتبطت باسمه، ويمكن أن تشمل قائمة الوجودية كلاً من **نيتشه**و**دستوفسكي**[٣]، **فنيتشه** يعد نبعاً أصيلاًمن منابع الوجودية المعاصرة [٤].

إنّ الناظر في الفلسفة الوجودية ليجد أنها نزعة تشاؤمية انهزامية، فالإنسان عندهم مقذوف به في هذا العالم رغماً عنه، ويترك هذا العالم رغماً عنه، ويعيش حياته كلها في ضجر وسأم وقلق وندم ويأس، ينظر إلى الآخرين على أنهم هم الجحيم بعينه، وينظر إلى حياته على أنها عبث،ووجوده عبث، بل حريته عبث في عبث. وهكذا ينتهي الأمر بالوجودية– ولا سيما الوجوديةالملحدة – إلى العدم [٥].

تصور الوجودية الكون أنه عرضي، وبالتالي فإن الحياة عبث أولا معقولة، ومن العبث أن نعتقد أن للحياة غايةً أوخطةً، فكل حوادث الحياة عشوائية لا يمكن التنبؤ بها، ويقف الإنسان في هذه الحياة وحيداً، ويعيش وحيداً، ويموت وحيداً، ليس لحياته معنى [٦].ومبدأ العبث هذا يعد حجر الأساس في الفلسفة الوجودية [٧].

أما مصدر القلق في الوجودية فهواعتقادهم أن الوجود الإنساني متناه، لأنه محصور في حدود الزمان والمكان، وبالتالي فإمكاناته متناهية أيضاً، وهذا التناهي مبعث على القلق، ولا ننسى أن الحرية التي طالما تغنى الوجوديون بها هي مصدر أساسي من مصادر القلق، إذ إن الحرية عندهم هي عملية اختيار بين إمكانات متعددة، ونظراً لمحدودية الإمكانات في الوجود الإنساني فإن الإنسان لا يستطيع أن يمارس إمكاناته كلها، ويتحمل هذا الإنسان بعد ذلك مسؤولية اختياراته في جومشحون بالاحتمالات المختلفة التي قد يأتي بها المستقبل،ومن هنا يسود القلق في حياة الإنسان [٨].

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر:د.البوطي، ص ١٨٣.

(٢) انظر مقالة الفلسفة الوجودية ومسألة الشر: الطيب بوعز، *www.liberaldemocraticpartyofiraq.com*.

(٣) انظر مذاهب فلسفية كبرى : د. محمد محمد بالروين، ص ١٤٥.

(٤) انظر أعلام الفكر الفلسفي المعاصر: د.فؤاد كامل ، ص١٨٤.

(٥) انظر مدخل إلى الفلسفة المعاصرة: د. محمد مهران رشوان، ص١٢٠.

(٦) انظر المرجع السابق، ص١١٧ ، ١١٨.

(٧) دستوفسكي :دراسات في أدبه وفكره :غيورغي فريدلندر وآخرون ، ت: نزار عيون السود ، ص٢٥٦.

(٨) انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر : د. البوطي ، ص ١٧٩ ، ١٨٠.

أول ما يلحظه القارئ لأفكار الوجودية أنها نتيجة حالة نفسية، وليست اكتشافاً علمياً قاد إليه الفكر والعقل؛فالقلق النفسي حالة مرضية شاذة تنتاب النفس،وتحتاج إلى استعمالالعلاج الذي يستأصله، وليس حقيقة علمية[١]. والعاقل إذا وصل إلى مرحلة كهذه فإنه سيحاول إزاحة أسباب القلق، وسيتساءل عمن بيده وجوده وإليه مرده ومآله، حتى إذا اهتدى هذا الإنسان الضائع إلى أن الله تعالى هوالخالق البارئ القادر على كل شيء، فإن أسباب القلق ستبدأ بالزوال حين يعلم هذا المخلوق الضعيف طبيعة الدنيا الفانية والأخرى الباقية، ويعلم بعد ذلك وظيفته في هذا الكون تجاه الخالق [٢]. أما مسألة التشاؤم فقد سبق الكلام عنها.

بقي أن نشير إلى أن للديانة المسيحية تأثيراً كبيراً في روح التشاؤم البادية في العالم الغربي، فجذور المسيحية الأولى كانت تهيب بالناس أن ييأسوا من هذا العالم الوحيد الذي هم على يقين من وجوده، وتدعوهم إلى أن يضعوا آمالهم في عالم آخر لا يُعرف ما إذا كان سيوجد أم لا. إن يسوع المسيح عليه السلام لم يكفّ قط عن أن يعظ الناس بالزهد الكامل في متاع هذا العالم وما فيه من خيرات[٣]، والقديس بولس يدين الجسد، ويرفع من شأن العذرية.ومسيحية القرون الوسطى تقدم العالم للناس على أنه مفعم بالخطيئة، وهوفاسد من جذوره،ولهذا يجب أن نتحاشاه وننكره ونحطمه. أما الفكر الحديث للمسيحيةفهورفض لهذا التشاؤم، فهويدعو إلى قبول الطبيعة كما هي، ويحمسنا إلى العمل لجعل العالم أفضل[٤].

وفي نهاية الكلام عن الوجودية لا بد أن نشير إلى وجودي اختلفت طريقة معالجته لمشكلة الشر عن أبناء مذهبه، هو **بول ريكور** الذي اتخذ التأويل والرمز والأسطورة و التحليل النفسي طريقاً لمعالجتها، ونحن هنا نسأل: إلى أي مدى يمكننا أن نمضي مع الاتجاه القائل بالتأويل الرمزي، وما النقطة التي ينبغي لنا أن نتوقف عندها؟ وما المبدأ الذي لا بد من أن يستند إليه لإقامة حد فاصل بين ما سوف ينظر إليه على أنه "رمزي"وما هو حقيقة"حرفية"؟. حقاً إن هذه الرمزية تقود إلى مشكلات أكثر من أنها تقدم لنا حلولاً في ضوء غياب قواعد التفسير، إن هذه النظرة الرمزية إلى الدين أمر خطير لأنها تميل إلى تهميش الدين بأسره وإحالته إلى مجرد أسطورة[٥].

---

(١) انظر العقيدة الإسلامية والفكر المعاصر: د.البوطي، ص ١٨٤.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣.

(٣) ولكن هذا لا يعني أنه كان صاحب دعوة تشاؤمية، بل كان عليه الصلاة والسلام يحذر من انغماس اليهود بشهوات الحياة ولذائذها لدرجة نسيان الآخرة.

(٤) انظر روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط:إتين جلسون، ت:د.إمام عبدالفتاح إمام، ص ١٦١ ، ١٦٢.

(٥) انظر الأزل والزمان : ولتر ستيس، ص ١٣٠- ١٣٤ .

المطلب الثالث:

مشكلة الشر والتفاؤل

التفاؤل ضد التشاؤم والتطير، ومضمونه القول: إن الخير في الوجود غالب على الشر (ابن سينا)، وإن هذا العالم الذي نعيش فيه هو أفضل العوالم الممكنة (ليبنتز)، وإنه ليس في الإمكان أبدع مما كان (الغزالي)، وكل فيلسوف يذهب إلى أن الوجود أفضل من العدم، وأن العالم بجملته بديع الصنع، حسن التأليف، يغلب فيه الخير على الشر، والسعادة على الشقاء، فهوفيلسوف متفائل(١). وكما أن التشاؤم له درجات، فالتفاؤل كذلك، فهناك التفاؤل النسبي والتفاؤل المطلق:

١- التفاؤل النسبي: هوالتفاؤل الذي يعترف بوجود الشر إلى جانب الخير في العالم، ولكن النصر سيكون للخير في النهاية، وعلى الإنسان أن يكون جندياً في صفوف الخير لتحقيق هذا الانتصار، ويعتقد أنصار هذا المذهب أن الخير في تزايد والشر في تناقص.

يؤمن هذا الفريق بالتقدم، ويقررون أنه باستطاعة الإنسان-باستخدام العقل وجهوده الخاصة-أن يعجل مسيرة التقدم، ويمضي بحركته إلى تحقيق نتائج لا حدّ لها، من بينها محوالكثير مما نعده الآن شراً. وتعرف وجهة النظر هذه باسم"مذهب التحسن " *Meliorism*أي المذهب القائل أن الأشياء قابلة لأن تنصلح، وتنادي كثير من الكنائس المتحررة اليوم بأن الله يحتاج إلى مساعدتنا في الكفاح، وفي هذا الصراع بين الخير والشر لا بد من تجنيد كل مقاتل، وفيه يساعد اختيار الخير على قطع دابر الشر من جذوره (٢).

وأشهر الفلاسفة الذين دعوا إلى هذا النوع من التفاؤل **ليبنتز** الذي اتخذ شعاراً له في حياته(الأمور كلها تجري على أحسن الوجوه في أفضل عالم ممكن) (٣)، و**جوزيا رويس** الذي يقول:" المتفائل الحق هوالذي يعترف بوجود الشر، ولكنه لا ييأس من التغلب عليه، ولا يقنط من رحمة الله"(٤)، و**وليم جيمس** الذي اشتهر بمصطلح (المليورزم) الذي يعني عنده أنّ العالم ليس خيراً في ذاته وليس شراً في ذاته، وإنما يمكننا أن نجعله خيراً بمكافحتنا الشر الذي فيه، والشر ليس عنصراً أساسياً من عناصر الكون، ولكنه شيء يمكن التغلب عليه(٥).

ومن هنا لم يجد بعض فلاسفة الغرب مشكلةً في تحديد قدرة الله، لأن هذا يشجع الناس أن يكونوا عوناً لهذا الإله في محاربة الشر؛ فيشعر هذا الإنسان أنه يعمل جنباً إلى جنب مع الله في تخليص العالم من مفاسده وشروره(٦).

---

(١) انظر المعجم الفلسفي:د.جميل صليبا، ص ٣١٢.

(٢) انظر الفلسفة أنواعها ومشكلاتها: هنتر ميد،ت: د.فؤاد زكريا، ص ٦٣.

(٣) انظر محاولات فلسفية : عثمان أمين،ص ٢٠٥-٢٠٨، وانظر*Leibniz: WildonCarr,p ١٧٧*.

(٤) روح الفلسفة الحديثة: رويس، ص ٣١٣.

(٥) انظر وليم جيمس: محمود زيدان، ص ١٨٣ ، ١٨٤.

(٦) Philosophy of Religion:Lewis,p٣٠٧.

٢- التفاؤل المطلق:هوالمبالغة في التفاؤل إلى حد إنكار وجود الشر في الكون، والاعتقاد أن الوجود كله خير محض، مبرأ من النقص، والشر كله أمر عدمي أوعرضي إذا كشف عن حقيقته وجد الخير يلمع من وراء حجاب[١]، ودعاة هذا المذهب بلغ بهم التفاؤل حدّاً غير مقبول ولا معقول.

ومن أمثلة هذا التفاؤل ما ذهب إليه الكاتب الكاثوليكي **جيوفاني بابيني** حيث طبّق فضيلة السماحة على الشيطان، وعدّه في جملة الأعداء الذين تشملهم رحمة الله، ذلك أن الله لا يرضيه دوام الشر ولا دوام السقوط على كائن من الكائنات العاقلة، فلا بد في نهاية التجربة الكونية من حياة لا شر فيها ولا شيطان، وزوال الشيطان إنما يكون بزوالشره بارتداده عنه إلى الخير والصلاح[٢]، وأنكر القديس **أنومورو***Anomorow* وجود الشر وعده خيراًأسيء تأويله أو أسيء تقبله، وأفضى به ذلك في النهاية إلى الإقرار بأن إبليس نفسه من طبيعة خيّرة [٣].

وفي هذا الاتجاه أيضاً نجد عند المسلمين من وصل بهم التفاؤل إلى حد القول بفناء النار، واشتهر بهذا ابن القيم رحمه الله، ونسب أيضاً إلى شيخه ابن تيمية[٤]، واستدل ابن القيم على ما ذهب إليه بآثار وردت عن بعض الصحابة والتابعين[٥]، لكنّ جمهور أهل العلم ردوا هذا القول، وألّف في ذلك السبكي الشافعي رحمه الله (ت:٧٥٦هـ) رسالةً سماها "الاعتبار ببقاء الجنة والنار"، وكفّر فيها من قال بفناء النار[٦]، وإن كان الراجح هو أن الجنة والنار باقيتان، فإن هذا يدل على أن اتجاه المبالغة في التفاؤل لم يكن مقصوراً على مفكري الغرب.

---

(١) انظر المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، ص ٣١٢ ، ٣١٣.

(٢) انظر إبليس : العقاد، ص ٢٠٠ .

(٣) انظر مقالة (مشكلة الشر في الوعي المسيحي): تيسير الفارس العفيشات، *www.tabeeri.com* .

(٤) انظر رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار: الصنعاني، ص٦٣ .

(٥) انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ابن قيم الجوزية، ٣٦٤/١، وانظر شفاء العليل له أيضاً، ص ٢٦٠ .

(٦) ص٢ .

المطلب الرابع:

الموقف الإسلامي من التفاؤل والتشاؤم

من ينظر نظرة سريعة إلى الشريعة الإسلامية بما فيها من تشريعات وأحكام يعلم علم اليقين أن الدين الإسلامي يرفض التشاؤم ويحث على التفاؤل مهما كانت الظروف والأحوال.والرسول الكريم محمد ﷺنهى عن التشاؤم صراحةً حين قال: " **لا عدوى، ولا طِيَرةَ، ولا صفرَ، ولا هامةَ**" [(١)]، وكان النبي ﷺ**يتفاءلُ ولا يتطيَّرُ**[(٢)].

الإسلام إذاً أبطل التطير ومنع التشاؤممحمايةً لجانب التوحيد، وتكريماً للعقل من أن تشوبه الخرافات والأوهام الجاهلية. وأباح الإسلام بدلاً من ذلك ما ينفع النفس من التفاؤل، قال عليه الصلاة والسلام: " **لا طيرةَ، وخيرُها الفألُ " قالوا: وما الفألُ ؟ قال : الكلمةُ الصالحةُ يسمعُها أحدُكم** "[(٣)]، والمعنى : لا حقيقة للطيرة، ولا حقيقة لها على أرض الواقع، لذلك لا يجوز فعلها أواعتقادها، ولكن لا بأس بالتفاؤل عند سماع الكلمة الطيبة. أما الطيرة أو التشاؤم، فكيف يعتقد إنسان عاقل أن أمور حياته متعلقة بطير أورقم أوحرف ؟![(٤)].

خلاصة التشاؤم أنه فساد في الاعتقاد، وضلال في التصور، وخلل في التوكل، لذلك يجب على المسلم أن تكون عقيدته قوية في تعلقها بالله وحده، وأنه لا يضر ولا ينفع إلا الله سبحانه وتعالى**ژ ٱ ب ب ب پ پ پ پ پپ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ**[يونس: ١٠٧][(٥)].

إن هذه النظرة السوداوية للحياة يمجها ذووالعقول السليمة وأولوالفطر المستقيمة، حتى محاولة بعض فلاسفة الغرب ك**سارتر** استخلاص نتائج ثورية من مثل هذا الفهم للوجود البشري، فإنها لم تؤد إلا إلى استنتاجات فوضوية فردية مبهمة[(٦)].

أما الذين ينظرون للحياة أنها عبث في عبث، فحسبنا أن نعلم هنا أن أساس هذا التصور هو الكفر بالله تعالى ولقائه، أما المؤمن فإنه يعلم أن الحياة الدنيا ليست عبثاً، بل هي حياة جِدّ وعمل، فكتاب الله تعالى يلفت انتباهنا إلى أن الذي خلق السموات والأرض على هذا القدر من النظام والدقة من غير المعقول أن يكون قد خلق هذا الإنسان العاقل بلا هدف أو قصد، يقولتعالى:**ژ ے ۓ ۓ**

---

(١) رواهالبخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ ، البخاري في كتاب الطب، باب: الجذام، رقم(٥٧٠٧)، ١٢٦/٧، ومسلم في كتاب الطيرة والعدوى، باب:لا عدوىولا طيرة ولا صفر ولا هامة، رقم(٢٢٢٠)،١٧٤٣/٤ .

(٢) رواه أحمد، مسند عبدالله بن عباس، رقم (٢٣٢٨)، ١٦٩/٤، قال محققه شعيب الأرناؤوط:حسن لغيره، ورواه ابن حبان بزيادة "**ويعجبه الاسم الحسن**" دون لفظ"**ولا يتطير**" في باب الأسماء والكنى، رقم(٥٨٢٥) ١٤٠/١٣ .

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، البخاري في كتاب الطب،باب الطيرة، رقم(٥٧٥٤)، ١٣٥/٧، و مسلم في كتاب الآداب، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيها من الشؤم، رقم(٢٢٢٣)، ١٧٤٦/٤ .

(٤) انظر مقالة التشاؤم:معناه وصوره وأحكامه، موقع الإسلام الوسط،*www.islamwasat.com* .

(٥) انظر المرجع السابق .

(٦) انظر ما هي الفلسفة: كيريلينكووكورشونوفا،ص ٨٧، ٨٨.

ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المبحث الثالث:

الطبيعة الإنسانية

بين الخير والشر

هل يولد الإنسان خيّراً أم شريراً ؟

هذا سؤال طالما شغل بالالمفكرين قديماً وحديثاً، وتعددت الآراء في هذه المسألة تبعاً لنظرة كل فريق لطبيعة الكون والحياة من حوله، وأشهر هذه الأقوالثلاثة:

١- الطبيعة الإنسانية خيّرة بذاتها، والشر عارض بسبب خطأ أوجهل أو نتيجة مؤثرات بيئية. ومن القائلين بهذا قديماً**سقراط** الذي يؤكد على أن الإنسان خيّر بطبعه ولا يحيد عن هذه الطبيعة الخيّرة إلا بسبب الجهل(١)، وأفلاطون(٢) والرواقيون(٣)، ثم **جان جاك روسو**حديثاً(٤)، والعجيب هنا أن يتفق **فولتير** مع **روسو**في طيبة الإنسان الأصلية فيقول في قاموسه الفلسفي:" لم يولد الإنسان شريراً، إنه يصبح شريراً، كما يصبح مريضاً، اجمعوا كل أطفال الكون، فلن تروا فيهم إلا البراءة والوداعة والخشية...إذن لم يولد الإنسان خبيثاً"(٥).

٢-الطبيعة الإنسانية شريرة والخير طارئ عليها، ومن القائلين بهذا من القدماء البوذيون(٦)، والصيني يانغ تشو(٧)، ووجد هذا الرأي قديماً لدى أتباع المسيحية، ومما ورد في ذلك: ضعوا في اعتباركم أن جذور الشر متأصلة في أعماقنا، وهي لن تُنزع منا إلى الأبد(٨)، وقد كانت الخطيئة الأصلية عوناً للمسيحية في القول بسوءالطبيعة البشرية.

وأشهر من نادى بطبيعة شريرة متأصلة في بني البشر الفيلسوف المادي **توماس هوبز**(٩) الذي لعب دوراً كبيراً في تحقير الطبيعة البشرية، فمقولته عن ذئبية الإنسان معروفة للجميع، حتى إن كل نظرة متشائمة لطبيعة الإنسان أصبحت تُوسم بال(هوبزية) (١٠) .

---

(١)انظر مع الفلسفة اليونانية:د.محمد عبدالرحمن مرحبا، ص ١٠٥.

(٢) انظر تأملات في فلسفة الأخلاق : منصور علي رجب، ص ٩٤.

(٣) انظر قصة الفلسفة اليونانية: أحمد أمين وزكي نجيب محمود، ص ٢٩٠.

(٤) انظر جان جاك روسو (حياته – مؤلفاته –غرامياته) : نجيب المستكاوي، ص ١٥٥ ، وانظر روسو (حياته–فلسفته–منتخبات) :كريسون، ص١٤٥ ، ١٤٦.

(٥) *The Philosophical Dictionary: Voltaire, www.history.hanover.edu.*

(٦) انظر الأخلاق في الإسلام : د.كايد قرعوش وآخرون، ص٤٣.

(٧) انظر الفكر الأخلاقي: د.محمد عبدالله الشرقاوي، ص ٥٨.

(٨) انظر مشكلة الشر :كاراس المحرقي، ص ٩٠.

(٩) *See The Levithan:Hobbes,p٨٥-٨٦ .*

(١٠)انظر مقالة (التناقض بين الثقافة والطبيعة وعقيدة الشر الإنساني،هل بُنيت الحضارة الغربية على وهم خالص؟): عبدالهادي عيد،جريدة السفير، ٩/ ٤/ ٢٠١٠ م، *www.rpoli.net* .

وممن ذهب هذا المذهب أيضاً **دارون**(ت:١٨٨٢م) و**فرويد**(ت:١٩٣٩م) و**سبنسر**(ت:١٩٠٣) [١]، وكان **مكيافيللي** (ت:١٥٢٧م) يؤكد على أنّ الحياة في المجتمعات تقوم على استخدام القوة، ذلك أنّ ميل الإنسان للشريفوق ميله إلى الخير،وقد حاول أن يتخذ من نظرته تلك ذلك الفن السياسي الذي عرفبه[٢].

٣- الطبيعة الإنسانية فيها استعداد للخير والشر معاً، وهوالقول الذي تبناه معظم المسلمين في هذه المسألة، فالطبيعة الإنسانية مزودة بمعايير فطرية تدرك الخير والشر، ومن خلال البيئة الاجتماعية والتنشئة يكتسب الإنسان أحد الجانبين بالتطبع وليس بالطبع. ويشهد لهذا قوله تعالى في كتابه الكريم**ژ ٹ ٹ ژ**[البلد: ١٠]، أي بيّنا له طريق الخير والشر، وعرّفناه بعاقبة كل منهما ليختار أحدهما[٣].

ومما كرّم الله به الإنسان أن جعله قادراً على التمييز بين الخير والشر، وجعل له إرادةً يختار بها طريق السعادة أوالشقاء، هذا مع العلم أن الله تعالى خلق الإنسان على فطرة نقية تهديه إلى الرشد والصواب ما لم يحرفها شيء عن طريقها، يقول رسول اللهﷺ: " **ما من مولودٍ إلَّا ويُولَدُ على الفطرةِ، فأبواهُ يُهوّدانِهِ ويُنصِّرَانِهِ ويُمجِّسانِهِ** ..." [٤]، والفطرةهيالخلقةالسليمةالتي لم تصبها شائبة، والتي يوجد عليها كل مولود أول خلقه، فيكون صاحبها مزوداً بالاستعدادات التي تمكنه من التمييز بين الحق والباطل، فالمولود إذاً يولد على الفطرة، والشرور تأتيه من أهله أو أقاربهأو أقرانه، فكأن الخلق جاء على الجمال في الكون، والإفساد إنما جاء من تدخل البشر[٥].

وإذا كان الله تعالى قد ألهم النفس الإنسانية القابلية للفساد والصلاح، وغرس في جبلّتها الاستعداد للخير والشر، فإنه أمره أن يزكي نفسه ويطهرها ليرقى بها أعلى درجات الفضيلة، وأن يبتعد عن كل ما يدنّس نفسه ويهوي بها إلى دركات الرذيلة، يقول الله تعالى:**ژ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ** [الشمس:٧ – ١٠] .

النظرة الإسلامية إذاً هي النظرة الوسط بين القولين السابقين، ويلاحظ هنا أن هذه القضية من الغيبيات التي لا مجال فيها للبشر أن يحكموا فيها بعقولهم، بل لا بد فيها من وحي إلهي، ونشير أخيراً إلى رأي إسلامي آخر هو أن فطرة الخير هي الأصل في الإنسان، وذلك لتوجه الرسالات ونزولها إلى الإنسان بقصد هدايته وإرشاده إلى معالم فطرته الخيّرة التي قد يشرد عنها ويتيه، ولو كانت فطرة الشر هي الأصل لكانت الدعوة إلى الدين من العبث[٦].

---

(١) انظر الأخلاق في الإسلام : د.كايد قرعوش وآخرون، ص٤٣.

(٢) انظر المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية : عمر عودة الخطيب، ص ٩٤.

(٣) انظر الأخلاق في الإسلام : د.كايد قرعوش وآخرون، ص ٤٣ ، ٤٤.

(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ ، البخاري في كتاب الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم(١٣٨٥)، ٢/١٠٠، ومسلم في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة،رقم (٢٦٥٨)،٤/ ٢٠٤٧.

(٥) انظر الخير والشر : الشعراوي، ص ٧.

(٦) انظر مقالة (الفطرة الإنسانية وتجاذب الخير والشر في الرؤية الإسلامية): هشام منوّر، *www.almultaka.net* .

المبحث الرابع:

مشكلة الشر في الإسلام

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشر وحقيقة الخير والشر في الإسلام

المطلب الثاني: الله تعالى خالق الخير والشر

المطلب الثالث: مسألة الحسن والقبح

المطلب الرابع: القضاء والقدر

المطلب الخامس: الشر الخلقي

المطلب السادس: الشر حاصل في مفعولات الله لا في أفعاله

المطلب السابع: حقائق كونية وشرعية لا بد منها

المطلب الثامن: حكم خلق الشر

تمهيد :

خصصت هذا المبحث للكلام عن مشكلة الشر في الإسلام ليدرك القارئ أهمية الحل الإسلامي، ولتكوين رؤية إسلامية صحيحة لهذه المشكلة، هذا من جهة، ولتكتمل أوجه المقارنة بين النظرة الفلسفية الغربية والنظرة الإسلامية للمشكلة محل البحث من جهة أخرى.

لم يكن مفهوم الشر مركزياً في العقيدة الإسلامية وعلم الكلام الإسلامي، ولكنه كان فرعاً من مسألة أخرى هي الحسن والقبيح؛ وللقبيح تفرعات عدة كالشر والظلموالضرر والفساد والعبث[1]. ولكنّ المتكلمين المسلمين عالجوا هذه المشكلة بكل تفرعاتها في أثناء كلامهم عن مسائل أخرى قريبة[2]، فنحن نجد كلاماً عن مسألة الشر عند الكلام عن صفات الله تعالى، وخاصة صفات القدرة والإرادة والرحمة والعلم، فالصفات السابقة أثبتها متكلموالمسلمين لله تعالى وفصلوا القول فيها من حيث كمالها بالنسبة للخالق ومحدوديتها بالنسبة للمخلوق، وردوا على من انتقص من مفهوم هذه الصفات شيئاً بسبب شبهة الشر وغيرها.

ومن البحوث الكلامية التي لها صلة بموضوع بحثنا، القضاء والقدر وخلق أفعال العباد ومسألة الحسن والقبح، وبحوث أخرى اشتهر بها المعتزلة كبحوث الآلام والأعواض واللطف الإلهي .

وسأبدأ الكلام عن مشكلة الشر في الإسلام بتعريف الشر ثم حقيقة الخير والشر في الإسلام،وأناقش بعد ذلك مسألة خلق الله للخير والشر وما يرتبط بها من مسائل تتفرع عنها، ثم حكَم خلق الشر.

---

(١) انظر معضلة الشر بين علم الكلام والفلسفة:محمد التميمي، ص ٦.

(٢) إلا ما كان من صنيع ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، وهو كتاب كبير الحجم عظيم الفائدة، وعنوان هذا الكتاب ينبئنا بما فيه، وقد عُرف صاحبه بسعة علمه وقوة حجته وقدرته الفريدة على سرد الأدلة والبراهين. ويعد هذا الكتاب—بحقٍّ- موسوعة في بابه، فقد عرض فيه مؤلفه كل ما يخطر وما لا يخطر في البال من شبه عقلية تتعلق بمسائل القضاء والقدر،ودخول الشر في القضاء الإلهي، وردّ على من قال بوجود الشر المحض،وعلى من نفى الحكمة عن أفعال الله تعالى،وأتى المؤلف رحمه الله بالأدلة الشرعية وشفعها بالحجج العقلية، فكان الكتاب نوراً على نور.

المطلب الأول:

تعريف الشر وحقيقة الخير والشر في الإسلام

أولاً- تعريف الشر:

الشر لغةً: نقيض الخير، وقومٌ أشرارٌ وأشرّاء، ورجلٌ شرّير، مثال فسّيق، أي كثير الشر[١]. اصطلاحاً: الشر صفة أخلاقية للفعل الذي يقع على خلاف الطبع، وهوعدم ملاءمة الشيء لطبعه. وعند أهل السنة هوالفعل العاري عن الحكمة(أي العبث)، أوهووضع الشيء في غير موضعه اللائق به[٢].

ثانياً-حقيقة الخير والشر في الإسلام:

الخير والشر لا يخضعان في معناهما للمزاج، فليس الشر هوما لا تألفه النفس ولا ما تكرهه، وليس الخير هوما تحبه النفس وترضاه، والله تعالى يقول :**ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ** [البقرة: ٢١٦]، لأنّ النفس فيما تحبه وتبغضه خاضعة لبعض المؤثرات السطحية والمزاجية، وتخضع المسألة أيضاً لتأثيرات البيئة التي يعيشها الإنسان، فتفرض على مشاعره وأحاسيسه قيماً معينةً على أساس أنها إيجابية وهي في الواقع سلبية، أوعلى أساس أنها سلبية وهي في حقيقتها إيجابية[٣] .

وبناءً على ما سبق كانت القاعدة الآتية: (لا خير في خير يؤدي إلى النار، ولا شر في شريؤدي إلى الجنة)، مثال اللص الشريف أو الظريف الذي يسرق ليتصدق على المحتاجين، هذا ليس خيراً لأنه سرق ما حرّم الله أن تمتد يده إليه، ومن نصر مظلوماً وأصابه من ذلك أذى،فهوليس شراً ولكنه خير، لأنه سيثاب عليه أحسن الثواب [٤].

ولكن إذا ما كان الشيء الواحد قد امتزج فيه الخير والشر معاً، فهل هوخير أم شر في هذه الحالة؟ الشر هوالذي غلب ضرره على نفعه، والخير هوالذي غلب نفعه على ضرره،وليس هناك خير محض ولا شر محض إلا في الجنة والنار، وأما أمور الدنيا فهي ما بين غالب الشر وغالب الخير[٥].

وينطبق الكلام السابق على قصة الإفك المشهورة، ففي قوله تعالى**ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ** [النور:١١] تنبيه للمسلمين أن ما حدث لهم عامةً، ولآل أبي بكر خاصةً، هومما اختلط فيه الخير والشر، ولكن خيره أكبر، لذلك قال تعالى**ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ**وهذا الخير حاصل في الدنيا والآخرة؛ إذ هولسان صدق لهم في الدنيا، ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء الله تعالى بعائشة رضي الله عنها، حيث أنزل الله براءتها في القرآن العظيم[٦].

---

(١) انظر الصحاح: الجوهري، مادة (شرر)،٦٩٥/٢، وانظر القاموس المحيط: الفيروزآبادي، مادة (شرر)، ص٣٨٦، ٣٨٧ .

(٢) انظر موسوعة المفاهيم: (الشين) : د. محمد السيد الجليند .*www.elazhar.com*.

(٣) انظر مجلة فكر وثقافة: مقالة(الخير والشر): محمد حسين فضل الله، السنة الخامسة، العدد(٢٠٠).

(٤) انظر الخير والشر: الشعراوي، ص ٢٠، ٢١.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١٩٨/١٢.

(٦) انظر تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ٢٥/٦ .

ثالثاً – اللذة والألم:

ومما يتصل بمشكلة الشر اختلاف الفلاسفة في تعريف الشر، والذي يعنينا هنا هم أولئك الذين ساووا بين الشر والألم، وهذا التعريف هوتطبيق لمذهب اللذة الذي يعرّف الخير باللذة والشر بالألم؛ فكل ما جلب لذةً للإنسان فهوخير بالنسبة له، وما سبّب له ألماً فهوشر.

ومذهب اللذة هذا دان به كثير من الفلاسفة، ومنهم على سبيل المثال **توماس هوبز**[١]و**هيوم** الذي يزعم أنّ الإنسان يعيش حياته شبه آلة تحركها الشهوات، وتنحصر أفعاله كلها في ردود الأفعال تجاه ما يسبب له لذةً أو ألماً[٢]،و**ستيوارت مل**[٣]، بالإضافة إلى فلاسفة آخرين، وإن كان هناك اختلافات في تفريعات كلام هؤلاء الفلاسفة في شرح معنى اللذة وحدودها وأحكامها عند تعارض لذة الفرد مع مصلحة المجتمع وغير ذلك.

وقبل أن نناقش مذهب اللذة لا بد أن نشير إلى أن هذا المذهب هوتجسيد للمادية الغربية؛ تلك المادية التي تنزع من الإنسان صفة الإنسانية فيغدو آلة جامدة لا تتحرك إلا من أجل تحقيق لذة حسية مسفة. وأهم الاعتراضات التي وجهت لمذهب اللذة ما يلي:

١– إن بعض الضار قد يكون مفيداً ومن ثم خيراً، وكذلك بعض اللذات قد تكون ضرراً ومن ثم شراً، وذلك بالنظر إلى العاقبة في الحالتين، مثال، التكليف بالعبادات فيه مشقة وضرر وتحمّل للآلام كالصلاة والصيام والجهاد، ولكن عاقبته في الآخرة نعيم مقيم،يقول الغزالي رحمه الله:" الألم القليل إذا كان سبباً للذة الكثيرة لم يكن شراً، بل كان خيراً"، ويمثّل لهذا ببتر عضوالمريض الذي قد يخلص الحياة، فما من عاقل إلا ويرضى بذلك في سبيل أن يبقى حيّاً، وبالمقابل فإن بعض اللذات قد تسبب شراً، فلذة الشراهة قد تقود المرء أحياناً إلى المرضوفساد الصحة[٤].

٢– مذهب اللذة مبني على حب الذات، لأنه يجعل خيرية العمل في تحصيل أنفع الملذات لشخص العامل[٥]، فهويسوّغ للإنسان أن يلتزم سياسة قضاء المآرب وجر المغانم وانتهاز الفرص، ولا يفيد في وضع قاعدة أخلاقية تمكّن الإنسان من التمييز بين الخير والشر. والإنسان اللذّي أوالنفعي يهتم بتقدير المنافع وحساب اللذات وتوقع النتائج والآثار، وهذه إنما تجيء بالتخمين والتقدير الجزافي، ولا يتيسر فيها وضع قاعدة عامة يسير السلوك بمقتضاها ولا يشذ عنها[٦].

٣– إن الحياة الأخلاقية تقوم على مجاهدة النفس في ضبط الأهواء والنزوات، ولا تكون في إشباع الشهوات والتمتع بالملذات[٧]، وهذا ما يميز الإنسان عن البهائم التي تعيش لتأكل، أما الإنسان، فهو – بما أعطاه الله من نعمة العقل والتفكير–يسعى إلى إشباع لذاته

---

(٢) *See Leviathan: T.Hobbes, p٤١،٤٢.*

(٢) انظر تاريخ الفلسفة الحديثة : رايت، ص ٢١٢ .

(٤)*See The Encyclopedia Americana, ١٠/١١٢.*

(٤) المقصد الأسنى : الغزالي ، ص ٧٦.

(٥) انظر مقدمة في علم الأخلاق : د. محمود حمدي زقزوق، ص ٨٣.

(٦) انظر جون ستيوارت مل: د.توفيق الطويل، ص ١٢٠.

(٧) فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها:د. توفيق الطويل، ص٢٠٧.

بالطريقة التي يسمح بها القانون الإلهي؛ بما لا يضر أويؤذي أحداً من الناس، ودون أن يقدّم مصلحته الشخصية على مصلحة الجماعة أوالمجتمع.

٤- إن مذهبهم باطل من سلوكهم أنفسهم، أليس الواحد منهم يتجرع الدواء المر طلباً للشفاء؟ فلماذا أقبل عليه على الرغم من أنه يسبب له ألماً، ولا يجلب له لذةً حسيةً ؟ أليس الواحد منهم يجري عمليةً جراحيةً فيها آلامٌ حسيةٌ، وفيها شق اللحم وإسالة الدم بل وبتر عضو، كل ذلك طلباً للشفاء؟ فلماذا يفعلون ذلك؟ إنّ هذه الأفعال فيها رد واضح على ما يدعيه هؤلاء من أصحاب مذهب اللذة في فلسفة الأخلاق مثل الأبيقوريين ومن جرى مجراهم.

ونشير أخيراً إلى أن **نيتشه** ليس من أنصار مذهب اللذة، فهويمجّد الألم لأنه ذوقيمة إيجابية، إذ إنه يعطي الإرادة فرصةً لأن تتغلب عليه، يقول **نيتشه** :" يوجد في الألم من الحكمة قدر ما يوجد في المتعة، وهومثلها، ينتمي إلى القوى الأساسية لحفظ النوع "[1].

(١) العلم المرح: نيتشه، ص ١٦٨ .

المطلب الثاني:

الله تعالى خالق الخير والشر

القاعدة العامة عند المسلمين هي أن الله تعالى خالق الخير والشر، ولكن لا نقول الله خالق الشر تأدباً معه سبحانه وتعالى، ولا ينسب الشر إليه إلا بثلاث طرق:

الأولى: إدخاله في عموم المخلوقات، فإنه يفيد عموم القدرة والمشيئة والخلق، كقوله تعالى:**ژ ک ک ک گ گ ژ** [الزمر: ٦٢]، فيدخل في الخلقِ الخيرُ والشرُ، ومن هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع، والضار النافع، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يفرد الاسم (المانع) عن قرينه، ولا (الضار) عن قرينه، لأن اقترانهما يدل على العموم، وما في الوجود من رحمة ونفع ومصلحة فهومن **فضله** تعالى، وما سوى ذلك فهومن **عدله** تعالى.

الثانية : حذف الفاعل كما فعلت الجنّ، قال تعالى: **ژ ۈ ۇ ۆ ۆ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ژ** [الجن: ١٠].الثالثة : إضافة الشر إلى شيء كما قال تعالى**ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ژ** [الفلق:١، ٢]، لهذا ليس من أسمائه الحسنى اسم يتضمن الشر، وإنما يذكر الشر في مفعولاته[١].

ويشهد لما سبق قوله تعالى**ژ گ گ گ ڳ ڳ ژ**[الكهف: ٧٩]، وقوله **ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ژ**[الكهف: ٨١] مع قوله**ژ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ**[الكهف: ٨٢]، فقول الخضر عليه السلام عن السفينة**ژ گ گ ڳ ڳ ژ** هو من التأدب مع الله تعالى، حيث نسب إرادة العيب إلى نفسه، ولم ينسبه إلى الله مع أنه هو الذي قدّره[٢].

أما قوله **ژ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ژ**[الكهف: ٨١]فقد ذكر القرطبي رحمه الله(ت:٦٧١هـ) أن الخضر عليه السلام أضاف القتل، الذي هو شر، إلى نفسه، والتبديل، الذي هو خير، إلى الله تعالى، وأما قوله تعالى: **ژ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ژ**[الكهف: ٨٢]فهوجار على الأصل من نسبة الخير إلى الله تعالى[٣].

ومثله قوله تعالى:**ژ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ژ** [الشعراء: ٨٠] حيث أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه، مع أنه من قدر الله وقضائه وخلقه، ولكن أضافه إلى نفسه أدباًمع الله تعالى، بخلاف إبليس فإنه نسب الشر إلى الله حيث يقول: **ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ**[الأعراف: ١٦]، مع أنه هوالغاوي الذي غوى بكِبره وغروره بنفسه[٤].

أما الخير فإنه مضاف إلى الله تعالى على سبيل الخصوص**ژ گ گ گ ڳ ڳ ژ**[آل عمران: ٢٦]، فالله تعالى نسب إلى نفسه الخير دون الشر بهذه الآية، وقد خطّأ ابنُ القيم رحمه الله (ت:٧٥١م) من فسّر معناها بأن الخير والشر بيد الله، لأنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة هذا المحذوف، بل ترك ذكره قصداً أوبياناً أنه ليس بمراد، وليس في يد الله تعالى إلا الفضل والعدل[٥]، فأفعاله تعالى كلها خير،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٨/٩٤ ، ٩٥.

(٢) انظر المرجع السابق، ٨/٩٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١١/ ٤٠ .

(٤) انظر مقالة(هل المكروه والشر ينسب إلى الله مع أنه خلقه وقدّره):عبد الرحمن السحيم،*www.saaid.net* .

(٥) انظر شفاء العليل: ابن القيم، ص ٤٤٧.

وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك، فمن أسمائه القدوس، وهوالمنزّه عن كل شر وعيب ونقص، وهكذا باقي أسمائه كالسلام والعزيز والجبّار والمتكبّر[1].

(١) انظر المرجع السابق، ص ٣٠٢ .

المطلب الثالث:

الحسن والقبح

تعد مسألة الحسن والقبح من أشهر المسائل الكلامية التي كثر الجدال حولها في إطار الثقافة الإسلامية، وخاصة بين الأشعرية والماتريدية والمعتزلة. والناظر في هذه المسألة وما يتفرع عنها من تفريعات يجد الصلة وثيقة بينها وبين مشكلة الشر؛ إذ الشر هو أحد معاني القبيح، إلى جانب الضرر والفساد والعبث وغير ذلك، ويهمنا هنا أننشير –باختصارٍ – إلى أشهر الأقوال في المسألة دون الدخول في التفصيلات الأخرى.

ولنحرر محل النزاع نشير إلى أن الحسن والقبيحالمختلف فيه هو ما يترتب عليه الثواب والعقاب، ويتعلق به المدح والذم[١]، تقرر الأشعرية أن خالقية الله لجميع الأشياء بجميع صفاتها تقتضي أن يكون هوالخالق لمعنى الحُسن والقبح، والحسن والقبح ليس لهما جذور ذاتية مرتبطة بذات الشيء بحيث لا يمكن الانفكاك عنه، وإنما هواستتبع حكماً من أحكام الله عز وجل، فكان ما نسميه نحن بالحسن أوالقبح، فالذي جعل الصالح صالحاً والفاسد فاسداً والقبيح قبيحاً هوالله تعالى، ولا شيء يسمى بالنظر لذاته حسناً أوقبيحاً[٢] .

وبناء على ما سبق نقول: إن صفات الأفعال من الحسن والقبح عند الأشعرية لا يمكن إدراكها عقلاً، بل يأتي الشرع ليثبت كون الفعل حسناً أوقبيحاً، فأمر الشرع أونهيه هوالمعيار الأوحد لحسن الأفعال أوقبحها، وهذا معنى أن صفات الأفعال عندهم لا تحمل أي حقيقة موضوعية، بل هوشيء اعتباري. والحكم بحسن الأفعال وقبحها يكون للفعل الإنساني، ولا يجوز أن يخضع الفعل الإلهي لمثل هذه الأحكام، لأن الله تعالى يتنزه عن النفع والضرر واللذة والألم[٣].

وقد ذهب الأشعرية هذا المذهب في نفي الحسن والقبح العقليين ليتخلصوا من مشكلة وجود الشر في العالم، إذ لو كان للحسن والقبح معنى موضوعي يعقل لأدى ذلك إلى الحكم على بعض أفعال الله تعالى بالقبح، تعالى الله عن ذلك؛ فالله تعالى قد يبتدئ العباد بالإيلام والإغراق والإهلاك، وهذا قبيح منا، لذلك تبنى الأشعرية القول بالحسن والقبح الشرعيين[٤] .

أما المعتزلة فيرون أن اتصاف الأفعال بالحسن والقبح هوحكم عقلي، لأن الحسن والقبح صفات ذاتية للأفعال[٥]، وقرر المعتزلة بموجب ذلك أن أحكام الله تعالى لا بد أن تسير وفق الأصلح والأحسن، وأن ذلك واجب من الله تعالى، ويرد عليهم بأنه لوكان الأصلح واجباً على الله تعالى، لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنياوالآخرة[٦] .

---

(١) انظر المواقف : عضد الدين الإيجي، ص ٣٢٤ .

(٢) انظر غاية المرام في علم الكلام: الآمدي، ص٢٣٤، وانظر كبرى اليقينيات الكونية: د.البوطي، ص ١٦٠ ،١٦١ .

(٣) انظر معالم أصول الدين: فخر الدين الرازي،١/ ٩٣، وانظر الغائية عند الأشاعرة : نوران الجزيري، ص ٢٣٠ .

(٤) انظر الغائية عند الأشاعرة : نوران الجزيري، ص ٢٣٦ .

(٥) انظر المحيط بالتكليف : القاضي عبد الجبار، ص ٢٣٤.

(٦) انظر شرح العقائد النسفية : التفتازاني، ص ٩٥.

ومما استدل به المعتزلة الرجوع إلى العادات، فالعقلاء يستحسنون الإحسان وإنقاذ الغرقى وتخليص الهلكى، ويستقبحون الظلم والعدوان، وإن لم يكن ثمة سمع، ويجاب عن هذا بأننا لا ننكر ميل الطباع إلى اللذات ونفورها عن الآلام، والذي استشهدوا به من هذا القبيل، ومحل النزاع فيما يحسن في حكم الله تعالى وفيما يقبح فيه[1].

أما الماتريدي رحمه الله تعالى (ت:٣٣٣هـ) فقد أقرّ مع المعتزلة أن للأشياء حسناً ذاتياً وقبحاً ذاتياً، وأن العقل قد يستقل بمعرفتهما. كما اتفق مع الأشعرية في أن تعيين الأحكام تنفرد به الشريعة، وأن التكليف لا يكون إلا بعد الرسالة[2]، وبهذا يكون ما ذهب إليه الماتريدي مذهباً وسطاً بين الأشعرية والمعتزلة.

وقول الماتريدي رحمه الله تعالى هو ما رجحه ابن تيمية؛ فالأفعال –كما يرى ابن تيمية– متصفة بصفات حسنة وسيئة تقتضي الحمد والذم، ولكن لا يُعاقِب الله أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة، كما دلّ عليه القرآن في قوله تعالى:ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[الإسراء:١٥]، وهذا أصح الأقوال، وعليه يدل الكتاب والسنة[3].

ونشير أخيراً إلى قول رابع رجحه بعض أهل العلم؛ وهوأن الحسن والقبح منه ما يعرف بالعقل ومنه ما يعرف بالشرع، واستدل أصحاب هذا القول بأدلة شرعية من الكتاب والسنة والمعقول لا مجال لسردها هنا[4] .

---

(١) انظر كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد: الجويني، ص ٢٢٦ .

(٢) انظر التوحيد للماتريدي، ص١٠٠و٢٢٤، وانظر أبو منصور الماتريدي وآراؤه العقدية: بلقاسم الغالي، ص٧٣ .

(٣) انظر درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية، ٤٩٣/٨ .

(٤) انظر الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين العمراني، ١ / ٣٨ .

المطلب الرابع:

القضاء والقدر

من المسائل المترتبة على عدل الله تعالى، تأثير القضاء والقدر في مصير الإنسان، ومسألة القضاء والقدر من المسائل الأصولية في العقيدة الإسلامية، ووقع كثير من الجدل والنقاش فيها، ووصل الأمر إلى درجة التكفير وإراقة الدماء بين المسلمين في العصور الأولى.

ويهمنا هنا أن نعلم أنّ القدر سر من أسرار الله تعالى لم يُطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل، بل يجب على العبد أن يعتقد أن الله تعالى خلق الخلق فجعلهم فرقتين؛ فرقة خلقها للنعيم فضلاً، وفرقة للجحيم عدلاً[1].

والإيمان بالقدر يعني الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه. ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعتهونهاهم عن معصيته، والعباد بعد ذلك فاعلون حقيقة، والله خلق أفعالهم، وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم، وخالق قدرتهم وإرادتهم[2].

وقد رأينا أن بعض الفلاسفة أرادوا أن يحتجوا بقدر الله ومشيئته على باطلهم، وأنه لولم يشأ الله لهم الكفر والمعاصي لما وقعوا فيها، فنقول: إن هذه الحجة حجة قديمة احتج بها المشركون وسطّرها الله تعالى في كتابه فقال:**ژ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج ئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تخ تم تى تي ثج ثم ثى ثي جح جم حج حم خج خح خم سج سح سخ سم صح صم ضج ضح ضم طح طم ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ

إن من المسلمات الشرعية عند المسلمين علم الله تعالى لما كان وما سيكون، وأن هذا العلم الإلهي لا شأن له بإجبار الناس على فعل الشر، لأن الله تعالى- بموجب ألوهيته- لا بد أن يكون عالماً بما سيفعله عباده من مختلف الأعمال، وبما سيقع في ملكه، فعلمه تعالى إذاً إنما هو علم يكشف الأمور على ما هي عليه، أو على ما ستوجد عليه، وليست صفةً مؤثرةً بحيث تبعث على أي تغيير في الشيء المعلوم[1] .

ومهما يكن من أمر، فإنه لا يجوز للإنسان أن يحتجّ بقدر الله أو علمه بما سيكون على معصيته، بل الواجب عليه أن يعترف بتقصيره، وأن ذنبه كان بمحض إرادته، فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه، وإبليس لما أصرّ واستكبر واحتجّ بالقدر لعنه الله وأقصاه.

وفي النهاية على العبد أن يعلم أن الجدال في القدر مما نهي عنه شرعاً، وأن يعلم أن الله عادل لا يظلم أحداً، وأنه حكيم منزه عن العبث، ولا يحتاج هذا الموضع أكثر من ذلك، وما علم الله حاجتنا إليه بيّنه لنا، وما طواه عنا لا يجوز أن نتكلف البحث عنه فنختلف ونهلك، فإن عقولنا محدودة خلقها الله للإسهام في عمارة الأرض، وليس وظيفتها اكتشاف الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وليس أمامنا إلا الإيمان والتسليم[2].

(١) انظر مبادئ العقيدة الإسلامية : د.مصطفى الخن، ص ١٨٥، وانظر حرية الإنسان في ظل عبوديته لله تعالى: د.البوطي، ص ٤٥ .

(٢) انظر مقالة بعنوان (أبهذا أمرتم):د.خالد سعد النجار،موقع صيد الفوائد،*www.saaid.net*.

المطلب الخامس:

الشر الخلقي

الشر الخلقي هوما يكتسبه الإنسان بإرادته في الحياة الدنيا من عمل قلبي، أونفسي، أوجسدي، يستحق عليه عند الله جزاءً سيئاً، ولوجلب له في الدنيا منفعةً أولذةً.وهوما يسمى بالمعصية، والمعصية والذنب والسيئة والإثم يجمعها جامع الخروج عن طاعة الله [1]، ومن هنا نفهم المقصود بعبارة الخير كله من الله، والشر كله من النفس؛ فإن الشر هوالذنوب وعقوبتها، والذنوب من النفس، وعقوباتها مترتبة عليها[2].

وعلى أي حال، فإن الله تعالى لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية، ولكنّه تعالى حذّر من المعصية لما فيها من أضرار بفاعلها وبالمجتمع، ورغّب في الطاعات لما فيها من خير لهما، ولقد قرّر القرآن هذه الحقيقة بقوله:ﮋ □ □ □ □□ □ □ □□ □ □ □ □ □ ﮊ[فصلت: ٤٦]، والخطايا تؤدي إلى غضب الله وعقابه للإنسان، ويمكن للإنسان أن يمحوذنوبه التي ارتكبها بالتوبة الصادقة بينه وبين الله تعالى، وكل إنسان مسؤول عن نفسه لا يتحمل إثم غيره.

وقد مرّ معنا سابقاً أن الله تعالى خالق الخير والشر، وهذا يعني أن الله تعالى خالق لأفعال العباد كلها من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان[3]، يقول تعالى:ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮊ [الصافات: ٩٦]، وخلق الله للشر لا يعد شراً، ولكن اكتساب الإنسان لهذا الشر المخلوق هوعمل من أعمال الشر، لأنّ اكتساب الإنسان لفعل الشر هواستبدال أفعال الخير المهيأ لها بأفعال الشر التي خلقها الله تعالى لكي يجتنبها لا ليكتسبها.

وإذا كان الله تعالى هو الخالق لأفعال العباد، فكيف يُحاسب الإنسان على ذنوبه؟ يجاب عن ذلك بأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي تتم بالمشاركة بين الله وعباده، فلا يستقل أي من الطرفين بها وحده، فالله تعالى يخلق في العبد الفعل والاستطاعة، إذ القدرة على تنفيذ الفعل شيء خارج عن ذات الإنسان لأنها قد تفارقه أحياناً فيعجز عن الفعل، وسمّى الأشاعرة عمل الله-أي إتقان الفعل والاستطاعة-خلقاً وإيجاداً واختراعاً، أما عمل العبد؛ أي الإرادة فقد سمّوه كسباً، يقول الله تعالى:ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [الطور: ٢١]،فالله سبحانه وتعالى يخلق في العبد الفعل والاستطاعة، والعبد يتصرف بهذا الفعل كما يريد فيوجهه إما إلى فعل الخير وإما إلى فعل الشر، فيكتسب بذلك إما ثواباً وإما عقاباً [4].

وتثار هنا شبهة أخرى، وهي إذا كانت إرادة الله تشمل كل أفعال العباد، فالله تعالى مريد للمعاصي والشرور، فكيف ذلك؟الجواب: الله تعالى مريد لكل أفعال العباد جملةً لا تفصيلاً، فالله مريد لكل أفعال العباد، ولا نقول مريد الزنا والقتل والسرقة والكفر تأدباً مع الله تعالى، كما نقول على الجملة عند الدعاء يا خالق الإنسان ورازق الجميع، ولا نقول يا رازق الخنافس والحشرات، ويا خالق

---

(١) انظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد : عبد الكريم زيدان، ص ٢٠٥ .

(٢) انظر شفاء الليل : ابن القيم ، ص ١٦٦.

(٣) انظر شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ص ٧٨.

(٤) انظر المواقف: الإيجي، ص٣١١-٣١٤، وانظر الإرادة عند المعتزلة والأشاعرة : د.عبد الباري محمد داود، ص ١٣٢، ويقول ابن القيم في هذا:" العبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب سبحانه هوالذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب ، فجعله فاعلاً خير، والمفعول شر قبيح"، شفاء العليل، ص ٣٠٢ .

النمل والبعوض، أيضاً من باب الأدب معه سبحانه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، إن إرادة الله تتعلق بالمرادات تخصيصاً بالوجود دون العدم، أوبالعدم دون الوجود، أوتخصيصها ببعض الأحوال والأوضاع دون بعض، وهذا التخصيص لا يتعلق بكونها شراً، فالموجودات من حيث تعلقها بإرادة الله لا تُوصف بالشر، حيث إن إيجادها ليس شراً، لأن الوجود لا يُوصف بكونه شراً، وكونها موجوداتٍ ليس شراً لأنها ليست شراً في ذاتها[1] .

وربما أشكل على بعضهم هذا الكلام وأمثاله فلم يفرقوا بين إرادة الله للشيء ومحبته ورضاه عنه، فالله تعالى- عند جمهور المسلمين- يريد الكفر والمعاصي والشرور بأنواعها، لأنه لا يجري في ملكه ما لا يريد، وإلا كان عاجزاً، أما المحبة والرضا، فالله تعالى لا يحب الكفر والكافرين ولا يرضى عن الكفر والمعاصي والقبائح،يقول اللهتعالى:**ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ** [الزمر: ٧]، ويقول أيضاً: **ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

المطلب السادس:

الشر حاصل في مفعولات الله لا في أفعاله

لا ينسب الشر إلى الله لأنه ليس في فعله شر، بل أفعاله كلها خير محض لا شر فيها، لأنه لوفعل الشر لاشتق له منه اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى وهذا باطل، ولأن أفعاله دائرة بين العدل والفضل والحكمة، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه، فلو أضيف إليه لم يكن شراً،وكما لا يدخل الشر في صفاته ولا يلحق ذاته فكذلك لا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه؛ لا يضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته، وفرق بين الفعل والمفعول، فالشر قائم بمفعوله المباين له لا بفعله[1].

ويتبين مما سبق أنّ قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبداً، لأنه صادر عن حكمة ورحمة، وإنما يكون الشر في مقتضياته لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علمه الحسن رضي الله عنه: " **وقِني شرَّ ما قَضَيتَ** "[2]، فأضاف الشر إلى ما قضاه. ومن المعروف أن الناس تصيبهم المصائب وتنالهم الخيرات، فالخيرات خير، والمصائب شر، لكن الشر ليس في تقدير الله تعالى، والله تعالىلم يقدّر هذا الشر إلا لخير،ومع ذلك، فإن الشر في المقتضيات ليس شراً محضاً، بل هوشر في محله من وجه، خير من وجه آخر، أوشر في محله، خير في محل آخر،فالفساد في الأرض من الجدب والمرض والفقر والخوف شر،لكنه خير في محل آخر، كما قال تعالى في كتابه:**ژ ې ې** □ □ □ □ □ □ □ **ژ**هذا بيان سبب الفساد، وأما الحكمة فقال:**ژ** □ □ □ □ □ □ □ **ژ** [الروم: ٤١]،إذاً هذه المصائب مآلها الخير، فصار الشر لا يضاف إلى الرب، ولكن يضاف إلى المفعولات والمخلوقات، وهذه المفعولات والمخلوقات تكون شراً بالنظر إلى ما يحصل منها من الأذية، ولكنها خير بما يحصل فيها من العاقبة الحميدة[3].

إن الأصل في كل الأشياء الخير ؛ إذ تمكين الأشياء من طبائعها هوخير لا شر فيه، فالنار من طبيعتها أن تحرق كل شيء تلاقيه، وهذا خير وكمال للنار ، وإلا لما كانت ناراً ، وإنما شيئاً آخر ، أمّا الملاقي للنار، مثل القطن الذي احترق، فلم يلحقه شر أيضاً، والسبب أنه كما أنّ النار خيرها في تمكينها من طبيعتها، وهوالإحراق، فكذلك القطن، طبيعته أن ينفعل مع النار، فأين الشر في هذا[4] ؟.

والإنسان إذا ألمّ به مرض، فالمرض قد مكّنه الله تعالى من طبيعته، وهوطلب الغذاء على جسم الإنسان المريض، فبالنسبة للمرض لا شريطوله في ذلك، أمّا الإنسان فإنّ انفعال جسمه مع المرض هوكمال له، فالجسم المنفعل أكمل من الجسم الذي لا ينفعل، وعلى

---

(١) انظر شفاء العليل : ابن القيم، ص ٣٠١ .

(٢) جزء من حديث رواه أحمد في مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، رقم(١٧١٨)، ٢٤٥/٣، وقال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، ورواه أبوداود: كتاب الصلاة، باب القنوت في الوتر، رقم (١٤٢٥)، ٦٣/٢ ، والنسائي: كتاب قيام الليلوتطوع النهار، باب الدعاء في الوتر، رقم (١٧٤٥)، ٢٤٨/٣،والترمذي: أبواب الوتر، باب ما جاء في القنوت في الوتر، رقم (٤٦٤)، ٣٢٨/٢، وقال الترمذي حسن .

(٣) انظر فتاوى العقيدة : ابن عثيمين، ص ٥٥٩ .

(٤) انظر شفاء العليل : ابن قيم الجوزية، ص ٣٠٦، وانظر الشر في أفعال الله : إسماعيل إبراهيم التل، ص ١٠٩ .

ذلك، فإن انفعال الأجسام للجوع والألم ليس بشر، إذ قد مكّن الله تعالى هذه الأجسام من طبائعها، وهذا التمكين بحد ذاته ليس شراً [1].

(١) انظر الشر في أفعال الله تعالى : إسماعيل إبراهيم التل، ص ١٠٩، ومثال آخر على ما سبق: لو أن ملكاً عادلاً اشتهر بقمع المخالفين وأهل الفساد، وكان مقيماً للحدود والتعزيرات الشرعية على مستحقيها، لعدّ العقلاء هذا خيراً يحمده الناس عليه ويمدحونه، وإن كان شراً بالنسبة إلى من أقيم عليه، وكذلك رب العالمين– ولله المثل الأعلى– فهو أولى بذلك، لأن له الكمال المطلق من جميع الوجوه . انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد:سليمان بن عبد الله، ص ٦٩٢.

المطلب السابع:

حقائق كونية وشرعية لا بد منها

لا بد من التذكير ببعض الحقائق التي تكشف لنا سر هذا الوجود، وحقيقة الخير والشر بالنسبة للخالق والمخلوق:

١- إنّ الله تعالى ربّ العالمين، ومن كمال الربوبية وشموليتها أن يكون الله تعالى ربّاً لكل شيء، وخالقاً لكل شيء، للخير والشر معاً [١].وكما أن له الخلق، له الأمر كذلك، وهو تعالى لا يأمر إلا بالأحسن، ويأمر بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإذا تعارض أمران رجح أحسنهما وأصلحهما، وليس في الشريعة أمر يفعل إلا ووجوده للمأمور خير من عدمه، ولا نهي عن فعل إلا وعدمه خير من وجوده، فالله إذاً لم يخلق شيئاً من الشر إلا ووجوده خير من عدمه[٢].

٢- إنّ الله سبحانه وتعالى عدل؛ فهولا يضع الشيء إلا في موضعه، فهوالمحسن الجواد الحكيم العدل في كل ما خلقه[٣]، والله تعالى متصرف في ملكه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، والعدل وضع الشيء موضعه، وهوالتصرف في الملك على مقتضى المشيئة والعلم،والله تعالى يستحيل عليه أن يتصف بالظلم، ليس فقط لأن الظلم لا يليق بالكمال الإلهي وأنه صفة نقص، بل لأن اللهتعالى يتصرف في خالص ملكه فلا يكون فعله ظلماً على أية حال.

ومقتضى الكلام السابق أنه لا يُعترض على الله تعالى في تدبيره وحكمه وجميع أفعاله، وافق مراد العبد أولم يوافق، لأن كل ذلك عدل، وهوكما ينبغي. ولولم يفعل ما فعله لحصل شر أعظم ضرراً مما حصل،كما أن المريض لولم يحتجم لتضرر ضرراً يزيد على ألم الحجامة [٤].

٣- إن الله تعالى رحيم لا يفعل إلا الخير، فرحمته سبحانه غلبت الغضب، والعفوسبق العقوبة.وقد يسأل سائل هنا: ما معنى كونه رحيماً والدنيا طافحة بالأمراض والبلايا والمحن، والله قادر على إزالتها جميعاً ؟ يجيب الإمام الغزالي(ت:٥٠٥هـ) رحمه الله:إن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهراً. والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته[٥].

---

(١) مقالة (لماذا خلق الله الشر والمرض):ناصر التوحيد، منتدى التوحيد، *www.eltwhed.com* .

(٢) شفاء العليل: ابن القيم الجوزية، ص ٣٠٣.

(٣) انظر المرجع السابق ، ص ٣٠١.

(٤) انظر المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: الغزالي، ص ٧٤،وقد ورد أن سيف الدولة الحمداني كان يوماً في ندوة أدبية وقد حضرها الشاعر أبوفراس، فقال سيف الدولة : إني قد أنشدت بيتاً من الشعر لا أظن أحداً يأتي بثانيه ما عدا أبي فراس : لك جسمي تُعلّهفدمي لا تُطلّه، فأجاب أبوفراس على البديهة: قال إن كنتُ مالكا فلي الأمرُ كلّه ، انظر العدل الإلهي: المطهري، ص ٥٨.

(٥) انظر المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: الغزالي، ص ٤٣.

٤- الله تعالى لا يُسأل عما يفعل ﴿ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[الأنبياء: ٢٣]،ويجوز في حقّ الله تعالى أن يعذب من أطاعه وأن يثيب من عصاه[١]، وليس لأحد أن يعترض عليه، لأنه وحده صاحب الملك والحكم﴿ ں ڻ ڻ ﴾[الأعراف: ٥٤].

٥- جميع ما في الوجود من الضرر لا بد فيه من حكمة، قال الله تعالى:﴿ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[النمل: ٨٨] وقال ﴿ ۀ ہ ہ ﴾[السجدة: ٧][٢]، فكل الوجود إذاً نافع للمخلوقات في مجموعها، والله سبحانه وتعالى سخّر جزءاً كبيراً من الكون لعمل الإنسان ونشاطه، وإن بعض الأحياء، إن كان فيها ضرر، فلا بد أن يكون فيها في ناحية من نواحيها نفع، والجهل بالنفع ليس دليلاً على أنه لا يوجد، فإن ما يجهله الإنسان من أسرار الكون أكثر مما يعلمه[٣].

٦- إن التفويض في أصل الخلق وسببه وتنوع المخلوقات واختلافها أمر ضروري، لأن أفعال الله تعالى فوق تقديرنا، ولأننا لا ندرك الأسباب والمسببات إلا فيما وقع من أمور، فعقل الإنسان مجاله في تجاربه، وفي الصور المستمدة من التجارب، وليس فيما وراء ذلك مجال[٤].

٧- مسألة الخير والشر من المسائل التي تحتاج إلى إيمان بالله ورسوله أولاً، وإيمان بالآخرة ثانياً، وبكلام آخر، حتى يُفهم المقصود من الخير والشر في الكون لا بد من تأسيس العقائد الإيمانية الأساسية، ومن ضمنها الإيمان بالقضاء والقدر، لذلك فمن العبث في كثير من الأحيان الجدل في هذه الفرعيات ما دام أن الأصول غير متفق عليها.

٨- الإنسان بطبيعته يعشق الكمال اللامتناهي، ولا يحب الأمور المحدودة والمعرضة للزوال، فهوعاشق للسعادة والحياة الأبديتين، وقد نقل القرآن الكريم عن بني إسرائيل أنهم كانوا يحبون أن تطول أعمارهم﴿ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ﴾[البقرة: ٩٦]، ومن الواضح أن التعبير بهذا العدد كناية عن الكثرة، وهذه رغبة عامة مركوزة في أعماق الإنسان[٥].

٩- الملحدون وأمثالهم يريدون عالماً لا شر فيه ولا نقص، عالماً لا موت فيه ولا مرض ولا ألم، إنهم يريدون أن يكونوا آلهةً لا بشراً، أوعلى الأقل يريدون الحياة جنة فيها ما تشتهيه أنفسهم من خيرات ونِعَم،كأنهم يريدون أن يفرضوا على الله تعالى شروطهم في قبول الامتحان، فهم يعترضون على مكان الامتحان وزمانه وشروطه وظروفه، وتناسوا حقيقة وجودهم ووظيفتهم في هذا الكون. ولكن لا بد من الإشارة أنه إذا كان من المحرّم على العبد أن يعترض على الامتحان الإلهي فإنه يجوز بل يُسن للمسلم أن يدعوالله تعالى أن يعيذه من الفتن والابتلاءات، وقد ورد عن رسول الله

---

(١) انظر طوالع الأنوار: البيضاوي، ص ٢٠٣، وانظر كبرى اليقينيات الكونية: د.البوطي، ص ١٦١، وقد شنّع كل من ابن تيمية وتلميذه ابن القيم على من قال بتعذيب الله من أطاعه أو إثابة من عصاه، وحشد ابن القيم عدداً كبيراً من الأدلة في أكثر من مئة صفحة لإبطال هذا الكلام، وأصل الخلاف يرجع إلى مسألة تعليل أفعال الله تعالى، فقد ذهب ابن تيمية وابن القيم إلى أن أفعاله تعالى معللة بالأغراض، بينما ذهب الأشاعرة إلى أن أفعاله تعالى غير معللة بالأغراض، لأنه لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصاً لذاته مستكملاً بتحصيل ذلك الغرض، انظر المواقف في علم الكلام: الإيجي، ص ٣٣١ ،٣٣٢، وانظر شفاء العليل: ابن القيم، ص ٣٤٧ .

(٢) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ٨ / ٩.

(٣) انظر العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم: محمد أبوزهرة، ص ٦٣.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٦٣ ، ٦٤.

(٥) انظر فلسفة الدين :كمال الحيدري، ص ٩٤ .

ﷺأنه كان يقول: "**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ** "(١)(٢).

١٠- ينظر الإنسان غالباً إلى الكون وما يحصل فيه من خلال نفسه ومصالحها وجعلها محوراً لتقييم الأمور كلها، ويتجاهل الموجودات الأخرى في هذا العالم، ولكن هذا الإنسان إذا نظر إليها من منظار عام لانقلبت الظواهر التي يراها شاذة إلى ظواهر خير وصلاح، ولَنَظَر إلى حوادث الدهر كلها على أنها حلقات مترابطة متسلسلة في سلسلة ممتدة، فما يقع الآن منها يرتبط بما وقعفي أعماق الماضي وبما سيقع في المستقبل في سلسلة من العلل والمعلولات والأسباب والمسببات(٣).

١١- الخير والشر البادي لنا لا يعبر بالضرورة عن حقيقة الحال، فكثير ممن نرى عليهم أشد مظاهر البؤس والفقر ربما تكون أفئدتهم نابضةً دائماً بفرح عجيب قد لا يشعر به ولا يتذوقه أولئك الذين تظهر عليهم مظاهر البهجة والسرور، وهم في حقيقة الأمر ممن يحملون صدوراً مليئةً بالهموم والأحزان تمنعهم نوم الليل ومتعة النهار،فالعبرة بما تشعر به النفس، وليس بما يظهر لنا(٤).

١٢- على الإنسان أن يعلم أنه لا يستطيع أن يتحكم في نظام الكون ولا أن يغير شيئاً من مظاهر سنة الله فيه، وسنة الكون منذ أن خلقه الله تعالى مركب من مظاهر الخير والشر، والبؤس والنعيم، واللذائذ والآلام، ولم يقدر إلى هذا اليوم أحد، ولن يستطيع بعد اليوم أحد، أن يغير فيه شيئاً من هذا المزيج أو أن ينسخ شيئاً من شروره وآلامه(٥). ولكن الإنسان يستطيع أن يغيّر من موقفه النفسي تُجاه شرور الكون.

١٣- الأمراض والآلام من طبيعة هذه الحياة الدنيا**ژ چ چ ڍ ڍ ڌ ژ**[البلد:٤]، ومعنى الآية أن جنس الإنسان مغمور بمكابدة المشاق والشدائد، والتعب والمعاناة حتى الموت(٦).

١٤- ممارسة العبودية الصادقة لله تعالى لا تتم إلا بأن يكون الإنسان عبداً لله تعالى بالسلوك والاختيار، كما قد قضى عليه بالعبودية له بالخلق والاضطرار، ومن ثم يقبل السير في طريق الحياة التي فيها كلفة ومشقة، لا لشيء إلا ابتغاء الحصول على مرضاة الله تعالى(٧).

١٥- إنّ مع كل نفع ضرراً، ومع كل خير شر يلازمه؛ هذا المال، وهوالنعمة التي يريدها الإنسان إلى غير حد، ليس خالصاً للخير، فكم حصل من شرور بسببه، وكذا الماء الذي هوسلسبيل الحياة، كم أهلك من غريق، وهذه النار، وهي عصب الحضارة، كم

---

(١) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها في كتاب الدعوات، باب: التعوذ من المأثم والمغرم، رقم(٦٣٦٨)، ٧٩/٨ .

(٢) انظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإلهية:د.عبد الكريم زيدان، ص ٩٦.

(٣) انظر العدل الإلهي: مرتضى المطهري، ص ١٣٦ ، ١٣٧.

(٤) انظر الإنسان وعدالة الله في الأرض: د.البوطي، ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٥)انظر المرجع السابق، ص ٣٠.

(٦)انظر التفسير الوجيز:د.وهبة الزحيلي، ص ٥٩٥، ويُروى في هذا الصدد أن حكيماً سمع رجلاً يقول لرجل: لا أراك الله مكروهاً، فقال له الحكيم: كأنك دعوت عليه بالموت، فإن صاحب الدنيا لا بد أن يرى مكروهاً، انظر المستطرف في كل فن مستظرف:الأبشيهي، ص ٤٢٢.

(٧) انظر الإنسان وعدالة الله في الأرض: د.البوطي، ص ٣٢ ، ٣٣.

أهلكت من أنفس، وأبادت من متاع، حتى فيما يفعله الإنسان لنفسه من الخير لا يكون خالصاً للخير أبداً؛ فهذه القطارات والسيارات، وهي نفع وخير، كم جنت على أحياء، ومع ذلك ما زال الناس يعدونها- مع وجود الشر فيها- نعمةً يلتمسون منها المزيد[١].

١٦- الخير أكثر من الشر: من ضعف الإنسان وقصر نظره وبعده عن حقيقة عبوديته لله تعالى أنه لا يرى إلا الشرور القليلة، ويتعامى عن نعم الله التي لا تعد ولا تحصى في أرجاء هذا الكون الفسيح، وهذه النعم من الكثرة بحيث إنه لا مجال للمقارنة بينها وبين ما يصيب بني آدم من الشرور والمصائب.

إن النظر المنصف المحايد يقر بأن الخير في الوجود هوالقاعدة وأن الشر هوالاستثناء؛ فالصحة هي القاعدة والمرض استثناء، فنحن نقضي معظم سنوات عمرنا في صحة، أما المرض فهو طارئ، وكذلك الزلازل والبراكين، هي في مجملها بضع دقائق في عمر الكرة الأرضية الذي يُحصى بملايين السنين[٢].

يقول ابن سينا: "الشر الحاصل في أشخاص الموجودات قليل، ومع ذلك فإن وجود ذلكالشر في الأشياءضرورة تابعة للحاجة إلى الخير[٣]"،ويذكرأيضاً أنّ" الأمر الأكثري هو حصول الخير المقصود في الطبيعة"[٤]، وضرب ابن سينا مثالاً على هذا النار؛ إذ الغاية من وجودها إيجاد منافع كثيرة للبشر؛ حيث يتم من خلالها قضاء بعض حوائجهم ورغباتهم، ولكن هذا لا يمنع من وجود بعض الشرور العارضة التي تسببها تلك النار؛ إذ قد تحرق عضو إنسان ناسك أوثوب فقير، لكن هذا ليس سبباً كافياً لسلب خاصية الإحراق عنها، لأنها لا تبلغ غايتها إلا بها، فالأمر الأكثري- وهوحصول الخير- لا يتحقق إلا عندما تبلغ النار كمالها بالإحراق[٥]، وما قيل عن النار يُقال أيضاً عن المطر والرياح والحر والبرد، إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم يكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها. فالشر إذاً - برأي ابن سينا —كثيروليس أكثرياً .

وذكر ابن تيمية أن هذا الجواب (الشر مغمور بجانب الخير الكثير) قال به طوائف من المسلمين وأهل الكلام والفقه وغيرهم من الحنفية والحنبلية وغيرهم من الكرامية والصوفية وكثير من المتفلسفة[٦]، وإذا ما سأل سائل: ما ضرورة هذا الشر القليل؟ وبتعبير آخر، لماذا لا نعيش في عالم يكون خالياً من الشر تماماً؟ والجواب على هذا، أنه لوحذف الشر من هذا العالم لأصبحت حياتنا على وجه هذه الأرض حياةً أخرويةً لا حياةً دنيويةً.

وفيما سبق رد على **هيوم** في محاوراته حين أكّد على لسان فيلون أن الشر غالب على الخير في هذا الكون[٧]، وليست هذه نظرة **هيوم** فقط، بل هي نظرة كل المتشائمين الذين لا يرون في هذا الوجود إلا الشر، ويغفلون عن هذا الخير الكثير الذي يملأ العالم كله .

---

(١) انظر الجائزة أولماذا أؤمن بالله: هلال علي هلال، ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) انظر حوار مع صديقي الملحد:مصطفى محمود، ص ٢٨ .

(٣) النجاة في المنطق والإلهيات: ابن سينا، ص ١٤٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٥) انظر الإشارات والتنبيهات: ابن سينا، ٣/ ٣٠١ ، وانظر العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم : د.ثائر الحلاق، ص ٣٩٧ .

(٦) انظر مجموع الفتاوى: ابن تيمية،٨/٩٤.

(٧) انظر محاورات في الدين الطبيعي : هيوم، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

المطلب الثامن:

حكم خلق الشر

أما فيما يتعلق بحكَم خلق الشر، فهي حكَم كثيرة يقصر هذا البحث عن تناولها كلها، لذلك سأقتصر على أهمها:

١- الدنيا دار عمل واختبار وبلاء، وهذا من لوازمه أن يخلق الله تعالى الخير والشر، يقول الله تعالى:**ژ □ □ ى ى ې □ □ □ □ □ ژ** [الأنبياء: ٣٥]، فقبل الحديث عن هذه المشكلة علينا أن ندرك الحكمة من وجودنا، الحكمة هي الابتلاء والاختبار، والاختبار يتضمن أسئلة، والإجابة الصحيحة تؤدي إلى نجاح في الآخرة، أما الإجابةالخاطئة فتؤدي إلى الخسران، يقول الله تعالى:**ژ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ژ**[الملك: ٢].

ومن المعلوم أن للممتحِن أن يضع من الأسئلة ما يعتقد أنه الوسيلة الصحيحة لكشف حقيقة الممتحَن، كما أنّ لهذا الممتحَن الحرية الكافية في أن يجيب عن هذه الأسئلة المطروحة بما يشاء، وبما أنّ هذه الدار دار امتحان فقد نوّع الله تعالى الأسئلة المطروحة على عباده، فمنها الغنى والفقر، ومنها الصحة والمرض، ومنها الخير ومنها الشر،وكل هذا اختبار.

ولقد أنبأنا الله تعالى في كتابه الكريم بأمثلة من الابتلاءات التي ستصيبنا في حياتنا، فقال:**ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ڤ ڤ ژ**[البقرة: ١٥٥]، ومن هذا المنطلق، فإن المؤمن لا يرى فيما يعانيه من آلام وما يصيبه من شرّ مشكلة، ما دام يعتقد أنه في قاعة امتحان(١).

وهنا تعرض شبهة يكررها المشككون واللادينيون عموماً، وهي باختصار: ما ضرورة هذا الابتلاء؟ وبمعنى آخر يسألون استكباراً: لماذا خلقنا الله من العدم وعرضنا لهذا الشقاء، ثم بعد ذلك يعذبنا؟ فنقول: إن المرء يسهر الليالي في تحصيل العلم، ويتصبّب جبينه عرقاً ليحصل على الراحة، وما يُسند منصبٌ كبيرٌ إلا لمن تمرّس بالتجارب وتعرّض للمتاعب، فإن كان ذلك هوالقانون السائد في الحياة القصيرة التي نحياها على ظهر الأرض، فأي غرابة في أن يكون ذلك هوالجهاد الصحيح للخلود المرتقب؟(٢).

٢- أن تظهر قدرته لخلقه، وأنه قادر على خلق الشيء وضده، فكما أنه تعالى قادر أن يخلق الخير، فهوقادر كذلك أن يخلق الشر، وكما أنه تعالى قادر على خلق الحياة من العدم فهوسبحانه قادر على أن يخلق الموت وأسبابه، ولو أنه تعالى خلق الخير فقط ولم يخلق الشر فإن ذلك قد يشير إلى نقص في قدرته، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلا يعجزه تعالى لا خلق الخير ولا الشر(٣). ويلاحظ هنا أن هذه الحكمة قريبة من تفسير **هوبز** للشر، فقد علّل **هوبز** ما حدث لأيوب عليه السلام من مصائب وشرور بأن الله تعالى أراد من هذا أن يظهر لأيوب- عليه السلام- مدى طلاقة قدرته(٤).

٣- من مقتضيات ولوازم أسماء الله الحسنى وصفاته وجود الخير والشر، فالله تعالى هو الغني الرزاق، وهذا من مقتضياته ولوازمه وجود الفقير المحتاج الذي يسأل الله تعالى الغنى والرزق. والله تعالى غفور رحيم، وهذا من لوازمه ومقتضياته وجود الشر والإثم الذي يحمل

---

(١) انظر مبادئ العقيدة الإسلامية : د. مصطفى الخن، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) انظر قذائف الحق : محمد الغزالي، ص ٢٠١ .

(٣) انظر مقالة (لماذا خلق الله الشر والمرض):ناصر التوحيد، منتدى التوحيد *www.eltwhed.com* .

(٤)*See Leviathan: T.Hobbes, p٣٤٥،٣٤٦.*

صاحبه على طلب المغفرةمن ربه، فيغفر له ويرحمه.والله تعالى منتقم جبّار، وهذا من لوازمه ومقتضياته وجود الظالمين الذين ينتقم الله منهم.وهكذا كل اسم من أسماء الله تعالى تجد له مقتضيات في خلقه، لا بد من ظهورها ووجودها[1].

٤- تنبيه للإنسان أن يعرف حجمه في هذا الكون، أيها الإنسان: من وما أنت في هذا الكون؟ أنت لست شيئاً مذكوراً، إنك لا تعرف ماذا يحدث لك بعد لحظة، هذا الإنسان الذي صنع الحاسوب وغزا الفضاء ووصل إلى القمر ووقف على سطحه وفعل وفعل، ولكنه أمام هذه المصائب والبلايا من الزلازل والبراكين وغيرها لا يستطيع أن يفعل شيئاً ﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[الشورى: ٣١].

٥- الخير المحض يُطغي صاحبه وينسيه أن له رباً يُعبد، كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ﴾[العلق: ٦، ٧]، فالإحساس بالغنى سبب للطغيان كما صرح البيان الإلهي، فيأتي الشر ليذكره ويدفعه لأن يقول: يا رب اغفر لي .. يا رب ارحمني، فالشر-في الغالب - يصيب العبد ليقف بين يدي ربه منكسراً ذليلاً يسأله العفو والمغفرة، وهذا مطلب شرعي يحبه الله، بخلاف الخير، فإنه في كثير من الأحيان يحمل صاحبه على الغرور والأمن والرجاء إلا من رحم الله[2]، وهذا ما ذكره **هيوم**في محاوراته من أن الناس حينما يحزنون يجدون عزاءهم في الدين[3] .

٦- الشر يؤدب بعضه بعضاً، فينتقم الله من شر بشر آخر، فيسلط الله الظالمين بعضهم على بعض، ومن لوازم الابتلاء تمكين المجرمين من ممارسة ظلمهم وجرائمهم في الحياة الدنيا ليستوفوا عقابهم يوم القيامة﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾[الفرقان: ٢٠][4].

---

(١) انظر شفاء العليل: ابن القيم، ص ٣٩٤ ، ٣٩٥.

(٢) انظر مقالة (لماذا خلق الله الشر والمرض) :ناصر التوحيد، *www.eltwhed.com* .

(٣) انظر محاورات في الدين الطبيعي : هيوم، ص ١٥٦.

(٤) انظر مقالة (لماذا خلق الله الشر والمرض) :ناصر التوحيد، *www.eltwhed.com* .

٧- من النفوس من لا ينفع معها الخير، فالخير يزيدها طغياناً وتجبراً، بخلاف ما لوجرّب معها الشر فإنه يهذبها ويعيدها إلى رشدها وصوابها، كما في القصاص من المجرمين الخارجين عن حدود الله، وكم سمعنا عن أناس كانوا غافلين تائهين فما ردهم إلى الحق إلا المصائب، وقد مضت سنة الله تعالى في الأمم الكافرة أن يبتليها بالبأساء والضراء عسى أن يردعها هذا الابتلاء عن كفرها وعنادها وترجع إلى ربها،ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ[الأعراف: ٩٤].

٨- معالجة الشر والصبر عليه احتساب الأجر، يرفع صاحبه يوم القيامة درجات ومقامات عالية في الجنان ما كان ليحظى بها لولا البلاء والصبر عليه ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾

وبعد الكلام عن حكم وجود الشر في الكون بشكل عام، لا بد لنا من التفصيل في بعض القضايا، كي نزيد الأمر وضوحاً، وكي تتجلى حكمة الله تعالى في كل ما خلق، وسنتكلم هنا عن بعض المسائل التي هي محل إشكال عند بعض الناس لجهلهم بحكم وجودها، وهذه المسائل هي: الأمراض والأوبئة، وخلق الحيوانات الضارة، والمنع والعطاء.

١- الأمراض والأوبئة:

الابتلاء بالأمراض سنة إلهية تجري على البشر كلهم، مؤمنهم وكافرهم، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، رئيسهم ومرؤوسهم، وللمرض حكم كثيرة نكتفي منها بأهمها:

١- استخراج عبودية الضراء، وهي الصبر.

٢- تكفير الذنوب والسيئات: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما : أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول:" **مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ**"(١).

٣- كتابة الحسنات ورفع الدرجات.

٤- سبب في دخول الجنة: والدليل قوله عليه الصلاة والسلام : " **يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ** " (٢).

٥- النجاة من النار : عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ عاد مريضاً ومعه أبوهريرة، فقال له رسول اللهﷺ:"**أَبْشِرْ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّهُ مِنَ النَّارِ، فِي الْآخِرَةِ** "(٣).

٦- رد العبد إلى ربه وتذكيره بمعصيته، وإيقاظه من غفلته.

٢- الآلام:

الحديث عن الأمراض يقودنا للحديث عن آلام الناس، فنقول: إن في الجسم الإنساني شعوراً عاماً هوسياج الصحة، فإذا ما تعطلت وظيفة عضوٍ بعض الشيء فسرعان ما يصل خبر ذلك إلى المخ فيحصل الإحساس به على هيئة الألم لا لغرض الإيلام والتعذيب، بل ليكون ذلك دافعاً للإنسان ولمن حوله لالتماس العلاج وإسعاف الخطر، وإذا ما جرح عضو أودخل في الجسم دخيل آذى الجسم وعاث فيه فإن الشعور له بالمرصاد يعرف ذلك ويبلغه ويحمل على البتّ في أمره والتماس علاجه (٤).

---

(١) صحيح مسلم: كتاب البر والصلة، باب: ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض،أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، رقم (٢٥٧٣)، ١٩٩٢/٤.

(٢) رواه الترمذي عن جابر في أبواب الزهد وقال هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه،رقم (٢٤٠٢)، ٤/ ٦٠٣، قال الألباني :حسن.

(٣) رواه أحمد في مسند أبي هريرة، رقم (٩٦٧٦)،٤٢٢/١٥، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط وآخرون: إسناده جيد، والترمذي بلفظ قريب في أبواب الطب، رقم(٢٠٨٨)، ٤١٢/٤، وابن ماجه: كتاب الطب، باب الحمى، رقم(٣٤٦٩)،١١٤٩/٢، وابن أبي شيبة: كتاب الجنائز، باب ما قالوا في ثواب الحمى والمرض، رقم(١٠٨٠٢)، ٤٤٠/٢، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني: رقم(٥٧٧)، ٩٨/٢.

(٤) انظر الجائزة :هلال علي هلال، ص ٤٩.

وبهذا الإحساس يعرف الجوع والعطش والحرارة والبرودة، فهذه هي غايته، ولولا هذا الشعور أوالإحساس لهلك الإنسان وهولا يشعر، ولتحللّ من الجوع وهولا يدري، ثم إنّ الإحساس هاد يهدي الإنسان سواء السبيل في أمور يضر فيها الخطأ إن أخطأ [١].وقد أجريت بحوث على أطفال ماتت أعصاب الشعور عندهم فكانت نتائجها خطيرة، إذ إنهم كانوا يحرقون أنفسهم ويجرحون أرجلهم وأيديهم دون شعور مما يصل بهم إلى الهلاك في نهاية المطاف.

وباختصار، الألم وإن نفر منه الطبع قد يحسن، بل قد يجب كما هو الحال في الحجامة والفصد، ومن ثم فقد وجب أن يطلب الإنسان الألم إذا لم يكن ضرراً محضاً، بل كان نفعه أكبر من ضرره، كما يجب على الوالد الشفيق أن يحسن تأديب ابنه بقطعه عما يشتهي وحرمانه مما يهواه، وألا يخلي بينه وبين ضروب الفساد، فلا يقبح الألم إلا إذا انطوى على الضرر المحض أو جرى مجرى الظلم[٢].

ومهما يكن من أمر، فإن المشكلة الحقيقية ليست في الآلام الظاهرة، إنما هي في الشعور الداخلي الذي يجعل صاحبه صابراً راضياً، أوهلوعاً جزوعاً، فـ "في حين ينقص الإيمان عند كثيرين لوجود الألم، فإن الألم ينقص عند آخرين لوجود الإيمان عندهم"[٣].ومن الغرابة هنا أن نجد كلاماً لـ**نيتشه** يؤيد هذه الفكرة حيث يقول:" عندما يصيبنا سوء حظ، فبإمكاننا أن نتغلب عليه إما بإزالة سببه أوبتغيير أثره في أحاسيسنا "[٤]. فالألم إذاً سر من أسرار الحياة، وعظمة الإنسان تتجلى حين يحارب الألم ويقف ضده إذا كان ذلك في قدرته، أما إذا كان ذلك فوق طاقة القدرة وجب عليه التسليم بحكمة لا يدريها[٥].وأخيراً فقد ذهب **برديائيف**(ت:١٩٤٨م) إلى أن تحقيق الذات فعل أليم لا يتحقق بدون عناء ومشقة ومقاساة [٦].

٣- خلق الحيوانات الضارة:

خلق الحيوانات الضارة له علاقة بسبب وجود الإنسان بالأصل على ظهر الأرض، وهو الامتحان والبلوى، ومن صنوف الابتلاء خلق ما فيه ضرر للإنسان؛ فالله خلق هذه الحيوانات الضارة وأمرنا بالصبر عليها لتمكيننا من درجة الصابرين، هذا فضلاً عن أن بعض الحيوانات كالحيات والعقارب السامة والمؤذية يستفاد من سمها في علاج بعض الأمراض كما أثبت العلم.

يضاف إلى ما سبق أن الله تعالى ربما ينتقم بهذه الحيوانات من عباده الظالمين، فهذه الحيوانات الضارة من البعوض والنمل والجعلان والجراد جند من جند الله يهلك بها أقواماً طغوا وتجبروا[٧]، ولا ننسى فوق ذلك كله دورها في الحفاظ على التوازن البيئي، ومن الملاحظ أن الضرر الحاصل من الحيوانات المؤذية لا يصل إلى ما يتحقق من ضرر واحد من أشرار الناس.

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢) انظر الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي : أحمد محمود صبحي، ص ٥٦ .

(٣) انظر مشكلة الشر :كاراس المحرقي، ص ٦.

(٤) إنساني ..إنساني إلى أقصى حد : نيتشه ، ص ١٠٨ ، نقلاً عن مقالة بعنوان : *If God is all powerful and good, where does evil come from?: Wayne Ferguson, www.kheper.net .*

(٥) انظر الله في العقيدة : أحمد بهجت، ص ٢٢٨.

(٦) انظر مشكلة الإنسان : د.زكريا إبراهيم ، ص ١٠٦ .

(٧) انظر شرح الأصول الخمسة المنسوب للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، وانظر معضلة الشر : التميمي، ص ٢٥، وأنشد بشر بن المعتمر في هذا (الرجز):

والحشرات الغُبر منبثّة بين الورى والبلد والقفر

وأخيراً، فإن هناك دلالةً على طلاقة قدرة الله في الكون، وضعف قدرة الإنسان؛ حيث نرى الطفل الصغير يقود الجمل الضخم أو الحصان أو الفيل، بينما يعجز الإنسان عن تسخير العقرب أو الثعبان، فلو كان هذا الإخضاع الحاصل في الحالة الأولى بقدرة الإنسان لاستطاع تسخير بقية الحيوانات[1].

أما ما يتوهمه بعض الناس من وجود مخلوقات كثيرة عديمة الفائدة، سواء من الحيوانات أو النباتات، فالجواب: ماذا كشف هذا الإنسان الجاهل الضعيف من أسرار الكون، حتى يحكم على آلاف المخلوقات أنها عديمة الفائدة، فربما تكون عديمة الفائدة للإنسان، ولكنّ الكون كله يكون بأمس الحاجة لها ليحافظ على توازنه، ومتى عرف العلم كل الحقيقة؟ إنه ما يزال على الشاطئ، هذا ما يقرره العلماء أنفسهم. وكما أشرنا أكثر من مرة أن مصلحتنا ليست هي المقياس في الحكمة والغاية من المخلوقات كلها، أضف إلى ما سبق، أن هناك حقيقة علمية متفقاً عليها تشير إلى أنه لا يوجد في الكون شيء بغير هدف[2].

٤- المنع والعطاء:

عطاء الله ومنعه هو من باب الابتلاء، فالله تعالى يعطي ويمنع ليمتحن عباده، من يشكر منهم عند العطاء، ومن يصبر عند المنع، فليس العطاء نعمةً والمنع نقمةً كما يظن كثير من الناس، بل كلاهما ابتلاء من اللهﷻ،والدليل على ذلك قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦]، فسمى الله تعالى كلا الأمرين ابتلاءً، وانظر بعد ذلك إلى قوله تعالى"**كَلَّا**"، أي إنكم تفهمون الأمور فهماً خاطئاً، فلا كثرة الرزق والخير معناها الرضا، ولا قلة الرزق والخير معناها الغضب، بل كلاهما امتحان للإنسان [3].

ويقول الله أيضاً: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾[الزمر: ٤٩، ٥٠]أي أن الله تعالى إنما أنعم عليه بهذه النعمة ابتلاءً واختباراً.ومما سبق يمكننا أن نفهم كلام بعض السلف: ابتلينا بالضراء فصبرنا، وابتلينا بالسراء فلم نصبر[4].

والله تعالى لا يفرق في عطائه ومنعه بين مؤمن وكافر؛ فالله تعالى يرزق المؤمن والكافر والطائع والعاصي: ﴿ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ﴾[الإسراء: ٢٠]، وقد يسأل سائل: لماذا يعطي الله الكافر؟ فنقول: إن رزق الله بعض عباده دون بعضلايدل على محبة الله هؤلاء دون أولئك، وقد ذكر الله تعالى أنه يعطي غير المؤمنينوالطائعين ليستدرجهم بسبب معاصيهم ﴿ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ﴾[آل عمران: ١٧٨] [5]، وأن الله تعالى ربما يعطي

وكلها شرٌ ، وفي شرها خير كثير عند من يدري

انظر الحيوان : الجاحظ ، ص٤٠٦.

(١) انظر الخير والشر : الشعراوي ، ص ٨١ .

(٢) انظر الله بين الإيمان والإلحاد : صدر الدين القبانجي، ص ٩٢ .

(٣) انظر الخير والشر : الشعراوي ، ص ٤٥ .

(٤) انظر مجموع الفتاوى : ابن تيمية ، ٢٠٩/٨ .

(٥) انظر الخير والشر: الشعراوي، ص٤٥ .

الكافر ويمده ليكون سبباً في عذابه﴿ ﴾[التوبة: ٥٥]، هذه الآية خطاب لرسول الله ﷺ، ولأمته من بعده: إياكم أن تأخذوا المال والولد على أنه عطاء ورضا من الله، وأن تظنوا أن الخير فيهما، فهذا المال والولد قد يكون سبباً في سوء العذاب لصاحبه، لأنه ربما لا يلتفت إلى النعمة ولا يتذكر المنعم، ويعجب بنفسه فيزيد طغيانه وظلمه [١].وما قصة قارون ببعيدة عن أذهاننا.

وبالمقابل يتساءل كثيرون لماذا يحرم الله المؤمن؟ يجيب ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ) رحمه الله:" قد ثبت أن المؤمن بالله كالأجير، وأن زمن التكليف كبياض نهار، ولا ينبغي للمستعمل في الطين أن يلبس نظيف الثياب، بل أن يصابر ساعات العمل، فإذا فرغ تنظّف ولبس أجود ثيابه. فمن ترفّه وقت العمل ندم وقت تفريق الأجرة، وعوقب على التواني فيما كلف، فهذه النبذة تقوي أزر الصبر "[٢].

ومهما يكن من أمر، فإن الابتلاءات والمحن ليست دليلاً على عدم محبة الله لهذا العبد أوذاك، بل ورد عن الرسولﷺ ما يناقض هذا المعنى عندما سئل: يا رسول الله،أيّ الناس أشدّ بلاءً؟ فقال: " **الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، فيُبتلَى الرَّجلُ على حسَبِ دينِهِ،فإنْ كانَ دِينُه صُلباً اشتدَّ بلاؤُه، وإن كانَ في دينِهِ رِقّةٌ أُبتلي على قدْرِ دينِهِ، فما يبْرحُ البلاءُ بالعبْدِ حتَّى يتركَه يمشي على الأرضِ وما عليه خطيئةٌ** " [٣]، أي كلما كان العبد قوياً في إيمانه كان أكثر جهاداً في سبيل الله، فيكون أكثر بلاءً من غيره لما يلقاه من الكفرة وأهل الباطل في جهاده ومدافعته لهم [٤].

إن فلسفة الاقتصاد تقرر أن التفاوت ضروري لاستمرار الحياة للناس جميعاً بكل طبقاتهم، فهذا التفاوت هو السبيل الوحيد ليكمل الناس بعضهم بعضاً، إذ المجتمع بحاجة إلى الطبيب كما هو بحاجة إلى من يكنس الطرقات ويزيل عنها الأذى، فلابد من أن يخدم الناس بعضهم بعضاً،﴿ ﴾[الزخرف: ٣٢] .

ومن حكم التفاوت أيضاً منع البغي بين الناس: ﴿ ﴾[الشورى: ٢٧]، فالله تعالى يفعل الرزق بقدر ما، ولا يبسطه بسطاً يفسدون عنده ﴿ ﴾ فالسبب هو علمه تعالى بأحوال عباده، وأنهم لا يصلحون إلا على هذه الطريقة، فدلّ ذلك على محكم تدبيره [٥] .

ومن المعلوم أيضاً أن التساوي في الغنى يجعل الجميع فقراء، فتوافر المال لجميع الناس يجعل كثيرين لا يعملون، فما أكثر الذين لا يعملون إلا للضرورة، وإن وجد من يقدس العمل، فما أكثر الكسالى في عالم يميل إلى الراحة، فإذا ما توقف العمل فإن البشرية ستنهار [٦].

---

(١) انظر المرجع السابق، ص٧٠، ٧١ .

(٢) انظر صيد الخاطر : ابن الجوزي، ص ٩٢ .

(٣) رواه أحمد في مسند أبي إسحق سعد بن أبي وقاص، رقم(١٤٩٤)، ٨٧/٣، ورواه الترمذي، عن مصعب بن سعد عن أبيه، أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم (٢٣٩٨)، ٦٠١/٤، وقال : حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه، باب: الصبر على البلاء، رقم(٤٠٢٣)، ١٣٣٤/٢ .

(٤) انظر السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإلهية : د.عبد الكريم زيدان، ص ٩٠ .

(٥) انظر الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي : أحمد صبحي، ص ٥٧ .

(٦) انظر مشكلة الشر : كاراس المحرقي، ص ٨٣ .

ونذكّر أخيراً بأن الابتلاء بالغنى وأسباب النعمة والرخاء ليس أقلّ خطورةً وصعوبةً من الابتلاء بالفقر وأسباب الشدائد الأخرى، وهذا كتاب الله تعالى يوضح لنا أن مفهوم الابتلاء يصدق على كل من الخير والشر فيقول:ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷻ[الأنبياء: ٣٥].

ونشير هنا إلى شبهة تتردد على ألسنة المؤمنين وغيرهم، وهي: لماذا لا يكون الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم؟ وللإجابة عن هذه الشبهة نذكر ما ذكره الجاحظ رحمه الله تعالى بأنه لو كان الأمر هكذا " لذهب موضع الاختيار والتجربة التي فضل بها الإنسان، وحمل الناس على البر والعمل الصالح احتساباً للثواب وثقةً بما وعد الله منه، ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف "[1].

ونذكّر أخيراً أن أهم الأسباب التي أدت إلى هذا التفاوت في الأرزاق بين البشر الظلم وسوء التوزيع والتقصير في استثمار خيرات الأرض وكنوزها مما سبّب هذا الفقر الذي خيّم على ملايين الناس، فالله تعالى أودع في كونه ما يكفي خلقه جميعاً إلى يوم القيامة.

في نهاية الكلام عن حكم وجود الشر في الكون لا يسعنا إلا أن نقول: إنّ كل شيء في الدنيا شاهد على إبداع الباري وألوهيته، فالألم شاهد على قهره، كما أن الفرح شاهد على وده، والمرض شاهد على جبروته، كما أن الصحة شاهد على منته، والخير شاهد على رحمته، كما أن الشر شاهد على حكمته[2].

ملحوظات:

انطلق متكلمو الأشاعرة في حلهم لمشكلة الشر من الصفات الإلهية، وهي صفات الجود والعدل والحكمة والإرادة، فحرصوا على إثبات مطلق القدرة وتأكيد انفراده بالخلق والإيجاد لذلك نسبوا كل شيء موجود إليه بما في ذلك الشر وعدوه خالقه،أما المعتزلة فقد فسروا جميع أفعال الله من حيث صلتها بالإنسان في ضوء العدل والحكمة.

ولكن المعتزلة حينما نسبوا الشرور الخلقية إلى الإنسان، وإن تخلصوا من مشكلة نسبة الشر إلى الله عز وجل إلا أن ذلك أوقعهم في مشكلة أخرى؛ وهي أن جزءاً مما يحدث في هذا العالم لا يقع ضمن مجال الإرادة الإلهية، وبالتالي فهي تكون غير مسؤولة عن وقوعه، مما يترتب عليه القول بمحدودية الإرادة الإلهية، ويترتب عليه أيضاً القول بوجود فاعلين في العالم؛ الله تعالى والإنسان، مما يشكل استعادةً

(١) كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير : الجاحظ، ص ٧٢.

(٢) انظر الله في العقيدة: أحمد بهجت، ص٢٢٠.

لمذهب الثنوية بشكل أو بآخر، فالمعتزلة من حيث أرادوا تنزيه الله تعالى عن نسبة الشر إليه وقعوا في القول بنسبة فاعلين متغايرين للخير والشر[١].

ومن هنا يتبين أصل الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في تفسير العدل الإلهي؛ فالمعتزلة فسروه بمعنى يقترب من العناية الإلهية بمقتضى ما يراه العقل ويحكم به، وهذا اتجاه أخلاقي، أما الأشاعرة فقد فسروه بمعنى يقترب من القداسة الواجبة لله تعالى، وهذا اتجاه ديني[٢]، لذلك كان الخلاف بين الأشاعرة والمعتزلة في مسألة الشر وغيرها من المسائل،ومنها مسألة فعل القبيح من قبل الله تعالى، فالأمة تجمع على أن الله لا يفعل القبيح، ولكن الخلاف في الأساس والتصور، هل يرجع ذلك إلى ذاته وصفاته، فهو الحاكم يفعل ما يشاء في حكمه، وملك يفعل ما يريد في ملكه، أم لأن ذلك حكم العقل رعايةً للصلاح والأصلح، وإعمالاً للغائية، وتعويضاً عن الآلام، ولطفاً بالعباد؟.

من الأشياء التي تبدو جلية اهتمام الثقافتين اليهودية والمسيحية بمشكلة الشر أكثر من اهتمام الثقافة الإسلامية، ولذلك لا نجد عند المتكلمين المسلمين تمييزاً بين أنواع الشر الميتافيزيقي والطبيعي والأخلاقي،ولا نجد كذلك تكلفاً في ابتداع حلول فلسفية معقدة لا يقبلها أكثر الناس، كما عند **بول ريكور** مثلاً.

العجب والغرور بالنفس وبالعلومالدنيويةفي الغرب جعلهم يرفضون معونة الله تعالى لهم على مصائبهم، يقول برنارد ليكيند[٣]:" لكي نتعايش مع المصائب الكونية علينا أن نعتمد على أنفسنا، إذ لا يمكننا أن نعتمد على قوى خارقة للطبيعة كي تساعدنا"[٤]، أما المؤمن فإنه يصبر على مصائبه، ولا ييأس من رحمة الله، وبالتالي يسعد في الدنيا قبل الآخرة، أما غير المؤمن، فإنه يجزع ويعترض على قضاء الله، فيشقى في الدنيا والآخرة.

إن كان ابن سينا قد أجاد وأبدع في حل مسألة الشر، إلا أنه اعتمد على الحل الفلسفي دون الإفادة من نظرة القرآن والسنة إلى المشكلة وكيفية حلها، لذلك فإن الإمام الغزالي يمتاز عنه بأنه جمع بين التعاليم الأشعرية والآراء الفلسفية والأفكار الصوفية، يضاف إلى ذلك براعته في العلوم الفلسفية والمنطقية.

---

(١) انظر مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة : د. عبد الحكيم يوسف الخليفي، ص ٢٣١ ،٢٣٢، يفهم هذا من المعتزلة في حال أخذ كلامهم هذا بغض النظر عن آرائهم الأخرى في الألوهية .

(٢) انظر العدل الإلهي بين الشريعة والعقل : د.عبد الرحمن الصمدي، ص ٢٠٥ .

(٣) هو فيزيائي أمريكي ذو نزعة شكية.

(٤) مقالة (الله وإبليس: الشر والعذاب) : برنارد ليكيند،*www.alawan.org*.

النتائج والتوصيات:

أولاً : إن مسألة الألوهية بتفرعاتها كلها إنما تحددت معالمها في سياق حل مشكلة الشر لدى كثير من الفلاسفة والديانات.

ثانياً : الحلول الغربية لمشكلة الشر إما أنها بعيدة عن المنطق السليم كالقول أن الشر وهم لا حقيقة له، أو أنها حلول مقبولة كما عند **ديكارت** و**ليبنتز** ولكنها تفتقد الأصالة.

ثالثاً : أهم الحلول الذي هوالابتلاء والاختبار غير موجود في الحلول الغربية، وإن وجد أحياناً، فعلى استحياء.

رابعاً : مجمل الحلول التي قدمها علماء المسلمين تذهب في اتجاه التقليل من خطورة مشكلة الشر، فلم يوافقوا المسيحيين في كونها من الخطورة بحيث يحتاج الله ليخلص الناس منها إلى إرسال ابنه—كما يدعون- إلى الأرض.

خامساً : إن بعض الحلول الغربية لمشكلة الشر هي من حكم وجود الشر التي ذكرها علماؤنا، ومنها دور الشر التكميلي للخير والحرية الإنسانية والخير الأكبر ونتائج الخطايا والعلم البشري المحدود ونسبية الشر وعرضيته والتعويضبالأجر في الآخرة.

سادساً : تبرير الشر بما يتضمنه من خير هي فكرة عامة في الديانات والفلسفات القديمة والحديثة.

سابعاً : حل **توماس هوبز** لمشكلة الشر بأن الله أراد أن يظهر طلاقة قدرته هوحل جديد لم يسبق إليه، ولم يتابعه فيه أحد.

ثامناً : كانت مشكلة الشر من الصعوبة بحيث أدت إلى إنكار وجود الخالق عند عدد من فلاسفة الغرب، أما في الثقافة العربية والإسلامية فلا نجد هذه النتيجة عن ذلك السبب؛ أعني الإلحاد الذي سببه وجود الشر.

تاسعاً : لم ينشأ عند المسلمين ذلك القدر الهائل من التشاؤم بسبب مشكلة الشر إلا ما كان من زندقة ابن الراوندي واعتراضه على القضاء الإلهي وحيرة المعري وشكه، في حين أننا نجد الثقافة الغربية سمتها العامة التشاؤم واليأس.

وفي ختام هذا البحث، وانطلاقاً من خطورة شبهة الشر على عقول ناشئة المسلمين، فإني أوصي بما يلي:

أولاً: ضرورة مواجهة شبه اللادينيين بالدراسات العلمية الجادة والمتصفة بالموضوعية؛ وذلك من خلال إنشاء مراكز للبحوث العلمية، والتوسع في إنشاء أقسام مختصة بالفلسفة والفكر في الجامعات العربية، ومدها بأحدث وسائل التقنية المعاصرة، لتهيأ للباحثين الاطلاع على إنتاج الفلاسفة والمفكرين المتخصصين في الدراسات الإسلامية، وإعداد جيش من الباحثين المتمرسين، في اللغات الأوربية الحديثة وغيرها، وتزويدهم بالدراسات اللازمة، وتوفير المصادر والمراجع الغربية.

ثانياً: ضرورة تتبع أعمال المفكرين الحديثة بالرد العلمي عليها وبشكل سريع، وبذات اللغة الأوربية التي كتبت بها، والتي نجدها منتشرةً في المكتبات العربية، وذلك بتقديم البحوث والدراسات الإسلامية الواعية في ضوء الكتابوالسنة، والإفادة من علوم العصر كافةً في إنشاء علم كلام جديد، أو تطوير القديم بما يتناسب مع هذا الزمان في سبيل إحداث صحوة إسلامية في مجالاتالحياة كلها.

ثالثاً: دراسة كتابات تلاميذ المفكرين الغربيين، في عالمنا العربي والإسلامي، والذين تشبعوا بالفكر الإلحادي والنظرة السلبية للإسلام وحضارته، وواقعه المعاصر، وضرورة الرد عليهم، من خلال إعداد المؤلفات المنهجية الشاملة والموسوعية، في مجالات العلوم الإسلامية المختلفة، وذلك لبعث جيل جديد، من أبناء المسلمين، على درجة من العلم والوعي بهذه الشبه الفكرية والعقدية الخطيرة الموجهة ضد الإسلام.

الفهارس العامة

أولاً : فهرس الآيات

ثانياً : فهرس الأحاديث

ثالثاً : فهرس المصادر والمراجع

رابعاً : فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات

طرف الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ژ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ژ	٣٠	البقرة	٢	١١٩-١٣٧
ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ژ	٣١	البقرة	٢	١١٩
ژ ڍ ڍ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٣٧	البقرة	٢	١٤٢
ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ	٩٦	البقرة	٢	٢٠٠
ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ژ	١٠٩	البقرة	٢	١٦
ژ □ □ □ □ □ □ □ ژ	١٥٣	البقرة	٢	٢٠٥
ژ ڈ ڈ ڈ ډ ډ ڊ ژ	١٥٥	البقرة	٢	٢٠٢-٢٠٥
ژ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ژ	١٥٦	البقرة	٢	٢٠٥
ژ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ	١٥٧	البقرة	٢	٢٠٥
ژ ڑ ڑ ک ک ک ژ	٢٠٥	البقرة	٢	١٩٧
ژ ڪ ڪ ۇ ۇ ۆ ۆ ژ	٢١٤	البقرة	٢	٢٠٥
ژ ڀ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ژ	٢١٦	البقرة	٢	١٤٠-١٨٧
ژ ک ک ک ک ژ	٢١٧	البقرة	٢	١٦
ژ گ گ گ ژ	٢٦	آل عمران	٣	١٩٠
ژ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ژ	١٧٥	أل عمران	٣	١٥٨
ژ گ گ گ گ گ گ گ گ ژ	١٧٨	آل عمران	٣	٢٠٩
ژ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ژ	١٩١	آل عمران	٣	١٤٠-١٥٧
ژ ډ ډ ډ ډ ډ ژ	٧٦	النساء	٤	١٥٨
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٧٨	النساء	٤	١٣٥
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٧٩	النساء	٤	١٣٥
ژ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ژ	١٢٣	النساء	٤	١٣٦

طرف الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ژ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄژ	١٥٧	النساء	٤	١٤٢
ژ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ژ	١٥٨	النساء	٤	١٤٢
ژ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ژ	٦	الأنعام	٦	١٣٥
ژ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ژ	٤٢	الأنعام	٦	١٦٣
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٥٩	الأنعام	٦	١٠١
ژ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ژ	١٤٨	الأنعام	٦	١٩٤
ژ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ژ	١٤٩	الأنعام	٦	١٩٤
ژ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ژ	١٤	الأعراف	٧	١٥٩
ژ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ژ	١٥	الأعراف	٧	١٥٩
ژ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ژ	١٦	الأعراف	٧	١٥٩
ژ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ژ	١٦	الأعراف	٧	١٩٠-١٥٩
ژ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ژ	٢٧	الأعراف	٧	١٥٨
ژ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ژ	٣٤	الأعراف	٧	١٦٦
ژ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ژ	٥٤	الأعراف	٧	٢٠٢
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٩٤	الأعراف	٧	٢٠٥-١٢٢
ژ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ژ	٢٠٠	الأعراف	٧	١٥٩
ژ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ژ	٢٨	الأنفال	٨	١٣٨
ژ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ژ	٢٣	الأنفال	٨	١٢٨
ژ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ژ	٥٥	التوبة	٩	٢٠٩
ژ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ژ	١٣	يونس	١٠	١٦٣
ژ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ژ	١٠٧	يونس	١٠	١٨٠
ژ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ژ	١١٩	هود	١١	١٦٠
ژ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ژ	١١	الرعد	١٣	١٢٧

طرف الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ژ ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ژ	٤	إبراهيم	١٤	١٩٧
ژ ژ ڑ ک ک ڪ ژ	٢٢	إبراهيم	١٤	١٥٨
ژ پ پ پ پ ڀ ڀ ژ	٣٤	إبراهيم	١٤	١١٢
ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ژ	٢٧	الحجر	١٥	١٥٨
ژ گ گ گ گ ں ں ژ	٤٢	الحجر	١٥	١٥٨
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٢٦	النحل	١٦	١٦٢
ژ ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ہ ہ ژ	٦١	النحل	١٦	١٣٥
ژ ۇ ۇ ې ې ۅ ژ	١٥	الإسراء	١٥	١٩٠-١٤٢
ژ □ □ □ □ □ □ ژ	١٥	الإسراء	١٥	١٩٣
ژ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ ژ	٢٠	الإسراء	١٧	٢٠٩
ژ □ □ □ □ □ ى ژ	٨٥	الإسراء	١٧	١٣٨
ژ گ گ گ ژ	٧٩	الكهف	١٨	١٩٠
ژ ۓ ژ	٨١	الكهف	١٨	١٩٠
ژ □ □ ژ	٨٢	الكهف	١٨	١٩٠
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٥٠	طه	٢٠	١١٤
ژ ۀ ہ ہ ہ ھ ژ	١٢١	طه	٢٠	١٤٢
ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ژ	١٢٢	طه	٢٠	١٤٢
ژ ۇ ۇ ۅ ۅۇ ۇ ې ې ژ	١٢٣	طه	٢٠	١٤١
ژ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	١٢٤	طه	٢٠	١٥٢-١٤١
ژ ۇ ۇ ۅ ۅ ۇ ۇ ې ې ژ	٢٢	الأنبياء	٢١	١١٢
ژ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٢٣	الأنبياء	٢١	٢٠٠-١٣٦
ژ □ □ ى ى ژ	٢٣	الأنبياء	٢١	٢٠٢
ژ ۓ □ □ □ □ □ ژ	٣٥	الأنبياء	٢١	٢١٣-٢١٠

طرف الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ژ ﮒ ﮒ ﮒ ﮒ ﮒ ﮒ ﮒ ژ	١١	الحج	٢٢	١٠٤
ژ ے ے ۓ ۓ ژ	١١٥	المؤمنون	٢٣	١٨١
ژ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ژ	١١	النور	٢٤	١٨٧
ژ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ژ	١١	النور	٢٤	١٤٠-١٨٧
ژ □ □ □ □ □ ژ	٢٠	الفرقان	٢٥	٢٠٤
ژ □ □ □ □ □ ژ	٨٠	الشعراء	٢٦	١٩٠
ژ □ □ □ □ □ □ ژ	٢١	النمل	٢٦	١٦٨
ژ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٨٨	النمل	٢٧	١٥٧-٢٠٠
ژ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ژ	٦٤	العنكبوت	٢٩	١٣١
ژ ﭨ ﭨ ﭨ ﭨ ﮧ ﮧ ژ	٦٩	العنكبوت	٢٩	١٢٣
ژ ۓ ۓ □ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٤١	الروم	٣٠	١٣٥-١٩٨
ژ ﭑ ﭒ ﭒ ﭒ ﭒ ﭙ ﭙ ﭙ ﭙ ژ	٢٠	لقمان	٣١	١١٣
ژ ﮩ ﮦ ﮦ ﮦ ﮦ ے ژ	٣٣	لقمان	٣١	١٤٢
ژ ﮧ ﮦ ہ ہ ژ	٧	السجدة	٣٢	٢٠٠
ژ ﮧ ﮦ ہ ہ ﮩ ﮦ ﮦ ژ	٧٠	الأحزاب	٣٣	٥
ژ ے ے ۓ ۓ ﮎ ژ	٧١	الأحزاب	٣٣	٥
ژ ﭑ ﭒ ﭒ ﭒ ﭙ ژ	٤٥	فاطر	٣٥	١٣٦
ژ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٤٠	يس	٣٦	١١٣
ژ ﯓ ﯓ ﯗ ﯗ ژ	٩٦	الصافات	٣٧	١٩٦
ژ ﭽ ﭾ ﭾ ﮋ ﮋ ژ	٧	الزمر	٣٩	١٩٧
ژ ﭙ ﭟ ﭟ ﭠ ﭠ ﭡ ژ	٤٩	الزمر	٣٩	٢١٢
ژ ﭺ ﭺ ﭻ ﭻ ﭼ ﭼ ژ	٥٠	الزمر	٣٩	٢١٢
ژ ﮎ ﮎ ﮎ ﮒ ﮒ ژ	٦٢	الزمر	٣٩	١٩٠

طرف الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ژ □ □ □ □□ □ □ □□ ژ	٤٦	فصلت	٤١	١٩٦
ژ ہ ھ ہ ھ ے ۓ ژ	٢٧	الشورى	٤٢	٢١٠
ژ ی ی ی □ □ □ ژ	٣٠	الشورى	٤٢	١٣٦
ژ □ □ □ □ □ □ ژ	٣١	الشورى	٤٢	٢٠٤
ژ ۆ ۆ ۇ ۇ ژ	٣٢	الزخرف	٤٣	٢٠٩
ژ ی □ □ □ □ □ □ ژ	٣٨	الدخان	٤٤	١٨١
ژ □ □ □ □ □ □ □ ژ	٣٩	الدخان	٤٤	١٨١
ژ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ژ	٢١	الطور	٥٢	١٩٦
ژ ے ۓ ۓ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ	٢٢	الحديد	٥٧	١٥٠
ژ ې □ □ □ □ □ ژ	٢٣	الحديد	٥٧	١٥٠
ژ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۇ ۇ ژ	١٠	الجن	٧٢	١٩٠
ژ □ □ □ □ □ □ ژ	١٢	الطلاق	٦٥	١٤٦
ژ ې ې ۈ ۈ ۇ ۇ ٹ ژ	٢	الملك	٦٧	٢٠٢
ژ ڤ ڤ ڤ ڃ ڃ چ چ ژ	٣	الملك	٦٧	١٤٦
ژ گ گ گ ڳ ڳ ژ	١٧	الطارق	٨٦	١٣٦
ژ ہ ھ ہ ھ ھ ژ	١٧	الغاشية	٨٨	١١٢
ژ ے ۓ ۓ ڭ ژ	١٨	الغاشية	٨٨	١١٢
ژ ڭ ڭ ۇ ۇ ژ	١٩	الغاشية	٨٨	١١٢
ژ ۆ ۆ ۆ ۇ ۇ ژ	٢٠	الغاشية	٨٨	١١٢
ژ گ گ گ گ ڳ ڳ ژ	١٥	الفجر	٨٩	٢٠٨
ژ ں ڻ ڻ ڈ ڈ ۀ ۀ ہ ژ	١٦	الفجر	٨٩	٢٠٨
ژ ڈ ڈ ڤ ڤ ژ	٧	الشمس	٩١	١٥٨-١٨٤
ژ ۋ ۋ ڤ ڤ ژ	٨	الشمس	٩١	١٥٨-١٨٤

طرف الآية	رقمها	السورة	رقمها	الصفحة
ژ ڤ ڤ ڃ ڃ ژ	٩	الشمس	٩١	١٥٨-١٨٤
ژ ڃ ڃ ڃ ڃ ژ	١٠	الشمس	٩١	١٥٨-١٨٤
ژ ڃ ڃ ڍ ڍ ڈ ژ	٤	البلد	٩٠	٢٠١
ژ ٹ ٹ ژ	١٠	البلد	١٠	١٨٤
ژ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇ ۇ ۆ ژ	٥ ، ٦	الشرح	٩٤	١٢٣
ژ ٻ ٻ ٻ ٹ ٹ ڈ ژ	٤	التين	٩٥	١١٨
ژ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ژ	٦ ، ٧	العلق	٩٦	٢٠٤
ژ ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ڤ ڤ ڤژ	١ ، ٢	الفلق	١١٣	١٩٠

ثانياً:
فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الراوي من الصحابة	المخرج	الصفحة
(أبشر فإن الله يقول: هي ناري ...)	عن أبي هريرة ﷺ	أحمد والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة	٢٠٦
(إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته..)	عن أبي موسى الأشعري ﷺ	الترمذي وابن حبان	١٦٦
(الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل...)	عن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنهما	أحمد والترمذي وابن ماجه	٢٠٩
(إن الله كتب الإحسان على كل شيء.)	عن شداد بن أوس ﷺ	مسلم	١٦٩
(إن لله ما أخذ وله ما أعطى...)	عن أسامة بن زيد ﷺ	البخاري ومسلم	١٦٦
(خلق الله آدم على صورته)	عن أبي هريرة ﷺ	البخاري	١٢٩
(الشهداء خمسة : المطعون والمبطون ...)	عن أبي هريرة ﷺ	البخاري ومسلم	١٦٣
(الطاعون شهادة لكل مسلم)	أنس بن مالك ﷺ	البخاري ومسلم	١٦٣
(عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله ...)	صهيب ﷺ	مسلم	١٦٣

طرف الحديث	الراوي من الصحابة	المخرج	الصفحة
(كان النبي ﷺ يتفاءل ولا يتطير)	عن ابن عباس رضي الله عنهما	أحمد وابن حبان	١٨٠
(لا طيرة، وخيرها الفأل...)	عن أبي هريرة ﷺ	البخاري ومسلم	١٨٠
(لا عدوى، ولا طيرة، ولا صفر ...)	عن أبي هريرة ﷺ	البخاري ومسلم	١٨٠
(ما من مولود إلا ويولد على الفطرة...)	عن أبي هريرة ﷺ	البخاري ومسلم	١٨٤
(ما يصيب المؤمن من وصب ولا...)	عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما	مسلم	٢٠٦
(مستريح ومستراح منه...)	عن أبي قتادة ﷺ	البخاري ومسلم	١٦٥
(من رأى مبتلى، فقال الحمد لله...)	عن أبي هريرة ﷺ	الترمذي	٢٠٥
(وقني شر ما قضيت)	عن الحسن بن علي ﷺ	أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي	١٩٨
(والخير كله في يديك، والشر ليس إليك)	علي ﷺ	مسلم	١٥٦
(يقول الله تعالى: ما لعبد ي المؤمن...)	عن أبي هريرة ﷺ	البخاري	١٦٧
(يود أهل العافية يوم القيامة لو...)	عن أبي هريرة ﷺ	الترمذي	٢٠٦
(اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم..)	عن عائشة رضي الله عنها	البخاري	٢٠١

ثالثاً:

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١- الكتب العربية:

- أبحاث جديدة في الفهم الإنساني"نظرية المعرفة":ج. ف. ليبنتز، تقديم وترجمة وتعليق:د.أحمد فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر و التوزيع،١٩٨٣م.
- إبليس:بحث في تاريخ الخير والشر وتمييز الإنسان بينهما من مطلع التاريخ إلى اليوم: عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطبع والنشر(الفجالة-القاهرة)،١٩٨٥م.
- أبيقورس(من سلسلة أعلام الفكر العالمي): بيار بويانسي، ت:د.بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(بيروت)، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- اتجاهات الفلسفة المعاصرة : اميل برييه ،ت: د. محمود قاسم ، راجعه: د. محمد محمد القصاص، منشورات دار الكشاف(بيروت)، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: ترتيب:علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت:شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة(بيروت)، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، ت: د.محمد وهبي سليمان وأسامة عمورة، دار الفكر(دمشق)، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الأخلاق في الإسلام : د.كايد قرعوش وآخرون ، دار المناهج (عُمان)، ط٢ ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م.
- أدباء فازوا بجائزة نوبل: د.أنيس فهمي إقلاديوس، مركز الأهرام للترجمة والنشر(القاهرة)،ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- أديان العالم: د.هوستن سميث، ت: سعد رستم، دار الجسور الثقافية(حلب)، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- الإرادة عند المعتزلة والأشاعرة(دراسة فلسفية إسلامية): د. عبد الباري محمد داود، دار المعرفة الجامعية (مصر)،١٩٩٦ م.
- أرسطو: د.عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة)،١٩٤٤م.
- إسبينوزا : أندريه كريسون، ت: تيسير شيخ الأرض ، دار الأنوار(بيروت)، ط ١ ، ١٩٦٦ م.
- إسبينوزا: د. فؤاد زكريا، سلسلة الفكر المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر(بيروت)، ط٢، ١٩٨١م.
- أسس الفلسفة : د. توفيق الطويل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، ١٩٥٢ م.
- الإسلام بين الشرق والغرب:علي عزت بيجوفيتش، ت:محمد يوسف عدس،مؤسسة بافاريا، دار النشر للجامعات (مصر)، ط٢، ١٩٩٧م.
- الإشارات والتنبيهات: أبو علي بن سينا، شرح: نصير الدين الطوسي، ت: د.سليمان دنيا، دار المعارف(القاهرة)، ط٣، ١٩٨٥م.
- إشكالية الشر: د. هاني يحيى نصري، دار علاء الدين(دمشق)، ط١، ٢٠٠١م.
- أزمة الضمير الأوربي : بول هازار ، ت: جودت عثمان ومحمد نجيب المستكاوي، (القاهرة)،ط١، ١٩٨٤ م.
- أصل الأخلاق وفصلها: فريدريك نيتشه، ت:حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية(بيروت)، ط١ ،١٤٠٠ هـ-١٩٨١ م.
- الاعترافات: روسو، ت: خليل رامز سركيس، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع(بيروت)، ١٩٨٢م.
- اعترافات القديس أغوسطينوس : ت : الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق(بيروت)، ط٦ ، ٢٠٠٠م.
- أعلام الفكر الفلسفي المعاصر : فؤاد كامل ، دار الجيل (بيروت)، ط ١ ، ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣م.
- أعلام في الأدب العالمي : علي عبد الفتاح، مركز الحضارة العربية (مصر)، ط١ ، ١٩٩٩ م.
- أفكار روسو الحية : رومان رولان ، ت: محمود يوسف زايد ، دار العلم للملايين(بيروت)، ١٩٦١م.
- أفلاطون: د.أحمد فؤاد الأهواني، من سلسلة نوابغ الفكر الغربي رقم (٥)، دار المعارف(القاهرة)، ط٤، ١٩٩١م.
- أفلاطون: غاستون مير، ت:بشارة صارجي، من سلسلة أعلام الفكر العالمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(بيروت)، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- أفول الأصنام : نيتشه ، ت: حسان بورقية ومحمد الناجي ، أفريقيا الشرق(ردمك) ،ط١، ١٩٩٦ م.
- أقدم لك ديكارت :ديف روبنسون وكريس جارات ، ت: إمام عبد الفتاح إمام، من منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية (القاهرة)، ٢٠٠١م.
- أقدم لك سارتر :فيليب تودي وهوارد ريد ، ت:إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة)،٢٠٠٢م.
- إلجام العوام عن علم الكلام: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي، ت: رياض مصطفى العبد الله، دار الحكمة(دمشق)، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- الإلحاد في الغرب : د. رمسيس عوض ، دار الانتشار العربي — بيروت ومينا للنشر(القاهرة)، ط١ ، ١٩٩٧م.
- الألوهية في المعتقدات الوثنية : فاروق الدملوجي ، (الموصل).
- الآلهة والأبطال في اليونان القديمة: أ.أ.نيهاردت، ت: د.هاشم حمادي، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع(دمشق)، ط١٩٩٤،١م. ١٩٩٤م.
- آمال جديدة في عالم متغير: رسل، ت: عبد الكريم أحمد، مراجعة: علي أدهم، دار أسعد(القاهرة).
- إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد : جان جاك روسو، ت:د.نظمي لوقا، تقديم : أحمد أمين، الشركة العربية (القاهرة)،ط١، ١٩٥٨م.

- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين العمراني اليمني، ت: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف(السعودية)، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- بحث في الحرية : جون ستيوارت مل، من منشورات وزارة الثقافة في سوريا ،العدد(٢١)، ٢٠٠٥ م.
- البحث عن الحقيقة الكبرى : المهندس عصام قصاب ، دار الفكر (دمشق)، ط٣ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- البراكين والزلازل : فردريك هـ . بو ، ت: د. الدمرداش عبد المجيد سرحان ، سلسلة كل شيء عن ، دار المعارف (مصر)،ط٤ ، ١٩٧٦م.
- برتراند رسل : د. زكي نجيب محمود ، من سلسلة نوابغ الفكر الغربي ، دار المعارف(القاهرة).
- بوذا الأكبر حياته وفلسفته : حامد عبد القادر ، مكتبة نهضة مصر(الفجالة)،١٩٥٧م.
- تاريخ الأخلاق : محمد يرسف موسى ، مطابع دار الكتاب العربي (مصر)، ط٣ ، ١٩٥٣م.
- تاريخ الفلسفات الكبرى: بيير دوكاسيه، ت:جورج يونس، إشراف كمال يوسف الحاج، منشورات عويدات(بيروت)، ط١، ١٩٦٠م.
- تاريخ الفلسفة(سبعة أجزاء) : اميل برهييه ، ت: جورج طرابيشي، دار الطليعة (بيروت)، ط٢ ، ١٩٨٧ م.
- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط : يوسف كرم ، دار الكاتب المصري (القاهرة)،ط١ ، ١٩٤٦م.
- تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم ، دار المعارف (مصر)، ١٩٤٩م.
- تاريخ الفلسفة الروسية: نيقولاي لوسكي، ت: فؤاد كامل، مراجعة: د.زكي نجيب محمود، دار المعارف(القاهرة)، ١٩٨٤م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (مصر)، سنة ١٩٣٦م.
- تاريخ الفلسفة اليونانية من بداياتها حتى المرحلة الهلنسية: د.محمد عبد الرحمن مرحبا، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر (بيروت)، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- تاريخ الفلسفة والعلم في أوروبا الوسيطية :جونو وبوجسوان، ت: د.علي زيعوود وعلي مقلد، مؤسسة عز الدين للطباعة(بيروت)، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق: كانط، ت:د.عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر(مصر)، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- تاسوعات أفلوطين: ت: د.فريد جبر، مراجعة: جيرار جهامي وسميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون(بيروت)،ط١، ١٩٩٧ م.
- تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق: كانط، ت:د.عبد الغفار مكاوي، مراجعة: عبد الرحمن بدوي، الدار القومية للطباعة والنشر(مصر)، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
- تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى: رينيه ديكارت، ت: كمال الحاج، منشورات عويدات(بيروت)،ط١، ١٩٦١م.
- تطور الفكر الفلسفي : ثيودور أويزرمان ، ت: سمير كرم ، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت)، ط١، ١٩٧٧م.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- التفسير الوجيز على هامش القرآن العظيم ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل: أ.د.وهبة الزحيلي، دار الفكر(دمشق)، ط٣، ١٤٢٥هـ.
- تكوين العقل الحديث: جون هرمان راندل، ت: د.جورج طعمة، مراجعة:برهان الدين الدجاني، دار الثقافة(بيروت)، ١٩٥٥م.
- تهافت الفلاسفة: أبو حامد الغزالي، ت:محمود بيجو، مطبعة الصباح(دمشق)، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- توماس هوبز فيلسوف العقلانية : د. إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٥ م.
- تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث: أندريه كريسون، ت: نهاد رضا، منشورات عويدات(بيروت)،ط١، ١٩٦٢ م.
- تيارات فلسفية حديثة : د. على عبد المعطي محمد ، دار المعرفة الجامعية(الإسكندرية)، ١٩٨٤ م.
- الجائزة أو لماذا أؤمن بالله ؟ : هلال علي هلال ، المطبعة اليوسفية (طنطا) ، ط١، ١٩٤٨ م.
- جان جاك روسو(حياته — مؤلفاته – غرامياته): نجيب المستكاوي، دار الشروق(القاهرة-بيروت)، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي: د. محمد البهي ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط٢، ١٣٦٨هـ — ١٩٤٨ م.
- جون ستيوارت مل : د. توفيق الطويل ، من سلسلة نوابغ الفكر الغربي تصدرها دار المعارف (مصر).
- حرية الإنسان في ظل عبوديته لله تعالى: البوطي، دار الفكر المعاصر(بيروت–دمشق)، ط١، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م.
- الحسنة والسيئة : أبو العباس أحمد بن تيمية ، ت: محمد جميل غازي، دار الجيل(بيروت)،١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.
- الحضارة الأوربية في العصر الحديث: د.نعيم فرح، منشورات جامعة دمشق(دمشق)، ط٢، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.
- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه : عباس محمود العقاد ، دار نهضة(مصر) ، ١٩٥٧ م.
- حكمة الغرب: الجزء الثاني، برتراند رسل، ت: فؤاد زكريا ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (الكويت)، ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م.
- حوار مع صديقي الملحد : مصطفى محمود ، دار المعارف (مصر) ، ط٤.
- الحيوان : أبو عثمان عمرو بن الجاحظ ،ت: عبد السلام محمد هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي(بيروت)، ط٣ ، ١٣٨٨ هـ- ١٩٦٩م.
- خريف الفكر اليوناني : عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية (مصر) ، ١٩٤٣م.
- الخطايا في نظر الإسلام : عفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٢، ١٩٨٥م.
- الخلاص من الخطيئة في مفهوم اليهودية والمسيحية والإسلام : محمد عبد الرحمن عوض ، دار البشير(القاهرة).
- الخلاصة اللاهوتية (خمسة أجزاء): توما الأكويني، ت: الخوري بولس عواد، المطبعة الأدبية(بيروت)، ١٨٩٨ م.
- دراسات في الفلسفة الحديثة : د. محمود حمدي زقزوق ، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط٢، ١٩٩٣م.
- دراسات في الفلسفة المعاصرة : د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة(القاهرة)، ١٩٦٨م.
- دنيا وأديان : د. نقولا فياض ، دار العلم للملايين(بيروت)، ١٩٥١م.
- دوستويفسكي : هنري ترويا ، ت: بهيج شعبان ،دار بيروت، ١٩٥٥ م.
- دوستويفسكي دراسات في أدبه وفكره :غيورغي فريدلندر وآخرون ، ت: نزار عيون السود ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق)، ١٩٧٩م.
- ديفيد هيوم : د. زكي نجيب محمود ، سلسلة أعلام الفكر الغربي رقم (٧) ، دار المعارف (مصر).
- الدين والسلام عند كانط : د. فريال حسن خليفة ، دار مصر العربية (القاهرة)، ط١، ٢٠٠١ م.
- الدين والعقل الحديث : ولتر ستيس ، ت: د. إمام عبد الفتاح إمام ،مكتبة مدبولي (القاهرة)، ط١ ، ١٩٩٨ م.
- الدين والعلم : برتراند رسل ، ت: د.رمسيس عوض، دار الهلال(مصر).
- الرحمن والشيطان الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية : فراس السواح ، دار علاء الدين (دمشق)، ط٢، ٢٠٠١م.
- الرسائل الفلسفية : فولتير ، ت: عادل زعيتر ، دار المعارف (مصر)، ١٩٥٩ م.
- رسالة في اللاهوت والسياسة: اسبينوزا، ت: د.حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، دار الطليعة(بيروت)، ط٢، ١٩٨١م.
- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار: عز الدين محمد بن إسماعيل الصنعاني، ت: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي(بيروت)، ط١، ١٤٠٥هـ .
- روح الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط: إتين جلسون، ت:د.إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، ط٣ ، ١٩٩٦م.
- روسو: حياته– فلسفته– منتخبات: أندريه كريسون، ت: نبيه صقر، منشورات عويدات (بيروت–باريس)، من سلسلة زدني علما رقم(٢٦)، ط٤، ١٩٨٨م.
- رينه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة: د.كمال يوسف الحاج، دار مكتبة الحياة(بيروت)، ١٩٥٤م.

- الزلازل : إبراهيم حلمي غوري ، دار الشرق العربي، (بيروت).
- الزمان والأزل، مقال في فلسفة الدين : ولتر ستيس ، ت: د. زكريا إبراهيم ، المؤسسة الوطنية (بيروت)،١٩٦٧ م.
- سكينة الإيمان : د. محمد كمال الشريف ، دار ابن كثير (دمشق)، ط٢ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: د.عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.
- سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي،ت:أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض،مطبعة مصطفى البابي الحلبي (مصر)، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.
- شرح الأصول الخمسة: المنسوب للقاضي عبد الجبار بن أحمد، ت: عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة (القاهرة)، ط٣ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- شرح العقائد النسفية: سعد الدين التفتازاني، ت: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث(القاهرة)، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- شرح المقاصد في علم الكلام: سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية (باكستان)، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- شروح سقط الزند : التبريزي والبطليوسي والخوارزمي، الدار الثقافية للطباعة والنشر(القاهرة)، ١٩٤٥م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبد الغفور عطار ، مطابع دار الكتاب العربي(مصر).
- صراع التأويلات..دراسات هرمنيوطيقية : بول ريكور، ت: د. منذر عياشي، مراجعة: جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة(بيروت)، ط١، ٢٠٠٥م.
- صيد الخاطر : الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، دار الكتب العلمية (بيروت).
- الطاعون: ألبير كامي، ت د.كوثر عبد السلام البحيري،مكتبة الأسرة،من سلسلة روائع الأدب العالمي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٢٨ هـ — ٢٠٠٤م.
- طيماوس :أفلاطون ، ت: فؤاد جرجي بربارة ، تحقيق: ألبير ريفو ،منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي(دمشق)، ١٩٦٨ م.
- عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة : فوزي محمد حميد ، دار حطين (دمشق)، ١٩٩٣ م.
- عبادة الإنسان الحر: برتراند رسل، ت:محمد قدري عمارة ، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة)،ط١، ٢٠٠٥ م.
- العدل الإلهي : الشهيد مرتضى المطهري، ت: محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية (بيروت)، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- العدل الإلهي بين الشريعة والعقل : د.عبد الرحمن الصمدي ، دار اليوسف(بيروت) ، ط١ ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- العدل الإلهي وأين أثره في المخلوقات : حسن حسين ، مطبعة المقتطف والمقطم ، ط١ ، ١٩٢٩ م.
- عصر البنيوية : إديث كريزويل، ت: جابر عصفور، دار سعاد الصباح (الصفاة-الكويت)، ط١، ١٩٩٣م.
- العقل والدين وهو السفر الثاني من إرادة الاعتقاد : وليم جيمس، ت: د .محمود حب الله ، دار إحياء الكتب العربية(القاهرة)،١٩٤٩م.
- العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث : د. سعد الدين السيد صالح ، دار الصفا (القاهرة)، ط٢ ،١٤١١هـ - ١٩٩١ م.
- العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن الكريم : محمد أبو زهرة، مطبعة الأزهر (مصر)، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م.
- عقيدة المؤمن: أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام (القاهرة-الإسكندرية)، ط٣، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- عقائد المفكرين في القرن العشرين : عباس محمود العقاد، دار المعارف (القاهرة).
- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة: د. عبد الوهاب المسيري ، دار الشروق(القاهرة)، ط١، ١٤٢٣ هـ — ٢٠٠٢ م.
- العلمانيون والقرآن الكريم (تاريخية النص):د. أحمد الطعان، دار ابن حزم(الرياض)، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
- العناية الإلهية ومشكلة الشر في العالم عند ابن سينا وموسى بن ميمون وتوماس الأكويني دراسة مقارنة: د.ثائر الحلاق، رسالة دكتوراه قدمت في كلية دار العلوم(القاهرة)، بإشراف أ.د.محمد السيد الجليند، ونوقشت سنة ٢٠٠٥م .

- غاية المرام في علم الكلام: الآمدي، ت: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة).
- الغريب : ألبير كامو، ت: فوزي عطوي ونديم مرعشلي، مكتبة الطلاب (بيروت)، ط١، ١٩٦٧م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، تعليق: عبد الله بن عبد العزيز بن باز، إخراج وتصحيح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة(بيروت)، ١٣٩٧هـ.
- الفصل في الأهواء والملل والنحل : ابن حزم الظاهري، ت: د. محمد إبراهيم نصر و د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل (بيروت)، ط٢، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- الفكر الأخلاقي ، دراسة مقارنة: د.محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل(بيروت)، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الفكر الإسلامي ودوره في بناء المعرفة: ج١ المشكلات الفلسفية: د. عيسى عبد الله، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط١ ، ١٤٢٨ هـ - ١٩٩٨م.
- فكرة الألوهية في فلسفة باركلي : د. فريال حسن خليفة، مكتبة الجندي(القاهرة)، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الفكر الديني الشرقي القديم وموقف المتكلمين:د.علي عبد الفتاح المغربي،مكتبة وهبة (القاهرة) ،ط١، ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.
- الفكر الوجودي عبر مصطلحه ، عدنان بن ذريل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، ١٩٨٥م.
- فلسفة الأخلاق نشأتها وتطورها :د. توفيق الطويل ، دار النهضة المصرية ، ط٣ ، ١٩٧٦م.
- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي(العقليون والذوقيون أو النظر والعمل): د.أحمد محمود صبحي، دار المعارف(القاهرة)، ط٢، ١٩٨٣م.
- فلسفة الإرادة الإنسان الخطّاء: بول ريكور، ت: عدنان نجيب الدين، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء(المغرب)، ط٢، ٢٠٠٨م.
- الفلسفة الإسلامية بين الندية والتبعية : د. جمال المرزوقي ، دار الهداية ، ط١ ، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م.
- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها : هنتر ميد، ت: د. فؤاد زكريا، دار مصر للطباعة(القاهرة)، ١٩٦٩م.
- الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم : د. إبراهيم مصطفى إبراهيم ، دار الوفاء (الإسكندرية).
- فلسفة ديكارت ومنهجه(دراسة تحليلية ونقدية): د.مهدي فضل الله، دار الطليعة(بيروت)، ط٣، ١٩٩٦م.
- فلسفة الرواق دراسة ومنتخبات: جلال الدين سعيد، مركز النشر الجامعي، ١٩٩٩م.
- الفلسفة الرواقية : د.عثمان أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)،١٣٦٤ هـ- ١٩٤٥ م.
- الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر : جان فال، ت : فؤاد كامل، دار الكاتب الغربي(القاهرة) ، ١٩٦٨م.
- فلسفة كانط : إميل بوترو، ت:د.عثمان أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٢م.
- الفلسفة لكل الناس : د. عادل البكري ، من سلسلة الموسوعة الصغيرة(بغداد)، ١٩٨٥م.
- الفلسفة المعاصرة في أوربا : إ.م.بوشنسكي، ت:عزت قرني،من سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة(الكويت)، العدد (١٦٥)، ١٩٩٢م.
- الفلسفة موضوعات مفتاحية: جوليان باجيني ، ت: أديب يوسف شيش، سلسلة آفاق ثقافية ، العدد (٣٦)، منشورات وزارة الثقافة (دمشق)، ٢٠٠٦م.
- الفلسفة وقضايا العصر مقالات وأبحاث: جون.ر.بورر وميلتون جولدينجر،الهيئة المصرية العامة للكتاب(مصر)، ط٢، ١٩٩٠م.
- فلسفيات: كمال يوسف الحاج، دار ريحاني(بيروت)، ١٩٥٥م.
- الفوائد : ابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- الفوز بالسعادة: برتراند رسل، ت: سمير عبد هـ، منشورات دار مكتبة الحياة(بيروت)، ١٩٨٠م.
- فولتير :حياته – آثاره– فلسفته: أندريه كريسون، ت: د.صباح محيي الدين، منشورات عويدات(بيروت)،ط١، ١٩٦١م.
- في التفسير: بول ريكور ،ت: وجيه أسعد، دار أطلس، ط١، ٢٠٠٣م.
- القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي (لبنان)، ط٢، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

- قذائف الحق : محمد الغزالي ، دار القلم (دمشق)،ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١ م.
- قراءة نقدية في علم الكلام: الغائية عند الأشاعرة: نوران الجزيري، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب(القاهرة)، ١٩٩٢ م.
- قراءة نقدية في وجودية سارتر : د. علي حنفي محمود، المكتبة القومية الحديثة (طنطا - مصر)، ١٩٩٦ م.
- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن : نديم الجسر ، (طرابلس لبنان).
- قصة النزاع بين الدين والفلسفة : د. توفيق الطويل ، مكتبة مصر ، ط ٢ ، ١٩٥٨م.
- القضاء والقدر عند السلف : أبو عبد الرحمن علي بن السيد الوصيفي، دار الإيمان (الإسكندرية)، ٢٠٠٢م.
- قضايا فلسفية : د. ميلاد زكي غالي وآخرون ، منشأة المعارف(الإسكندرية)، ١٩٩٨م.
- قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر : د. حسن حنفي ، دار الفكر العربي(القاهرة)، ط٣ ، ١٩٨٨م.
- كامو والتمرد: روبير دولوبيه، ت: سهيل إدريس، سلسلة قضايا الفكر المعاصر، مطابع الآداب(بيروت)، ط١، ١٩٥٥م.
- كانط : أوفي شولتز، ت: أسعد رزوق، المؤسسة العربية للنشر (بيروت)، ط١ ، ١٩٧٥م.
- كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق: د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر(دمشق)، ط٥، ١٣٩٧هـ .
- كتاب التوحيد: أبو منصور الماتريدي، ت: د.فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية(الإسكندرية).
- كتاب الحوار: كونفوشيوس، ت: محمد مكين، المطبعة السلفية (القاهرة)، ١٣٥٤هـ.
- كتاب الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد ما قصد به من الكذب على المسلمين والطعن عليهم: أبو الحسين الخياط، ت: د. نيبرج، أوراق شرقية للطباعة (بيروت)،ط٢ ، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م.
- كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير : أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، طبعه محمد راغب الطباخ في المطبعة العلمية(حلب)، ط ١، ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.
- كتاب المقاومات: السهروردي، ت: د.ياسين حسين الويسي، دار الفرقد (دمشق)، ط١، ٢٠٠٩م.
- كتاب المواقف: عضد الدين الإيجي، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل(بيروت)، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- كنديد أو التفاؤل : فولتير، ت: عادل زعيتر، دار المعارف (مصر)، ١٩٥٥م.
- الكون والفساد : أرسطوطاليس ، ت : أحمد لطفي السيد ، مطبعة الدار القومية.
- اللزوميات : أبو العلاء المعري، ت: جماعة من الأساتذة، دار الكتب العلمية(بيروت)، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- اللمعات : بديع الزمان النورسي ، ت: : إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر(القاهرة) ، ط٣، ٢٠٠١م.
- الله أساس المعرفة والأخلاق عند ديكارت : د.نظمي لوقا، المطبعة الفنية الحديثة(مصر)، ١٩٧٢م.
- الله بين الإيمان و الإلحاد في التصور الإسلامي: صدر الدين القبانجي، دار التعارف(بيروت).
- الله : سعيد حوا ، دار السلام (القاهرة) ، ط٢ ،١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
- الله ، الإنسان والشر دراسة لاهوتية وجودية: نجيب جورج عوض، قدمس للنشر والتوزيع(دمشق)،ط١، ٢٠٠٤ م.
- الله في الفلسفة الحديثة : جيمس كولينز، ت: فؤاد كامل، مكتبة غريب (القاهرة)، ط٢، ١٩٩٨م.
- ما هي الفلسفة: كيريلينكو وكورشونوفا، دار التقدم (الاتحاد السوفياتي)، ١٩٨٧م.
- مبادئ العقيدة الإسلامية : د. مصطفى الخن، منشورات جامعة دمشق، ط٩، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن-دار الثريا، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.
- محاورات في الدين الطبيعي: ديفيد هيوم، ت:د. محمد فتحي الشنيطي، مكتبة القاهرة الحديثة (القاهرة)، ط١، ١٩٥٦م.
- المحاورات الكاملة: أفلاطون، م١، ت: شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع(بيروت)، ١٩٩٤م.

- محاورة فيليبوس: أفلاطون، ت: فؤاد بربارة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي(دمشق)، ١٩٧٠م.
- محاولات فلسفية: د.عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٥٣م.
- محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه : د. صفاء عبد السلام علي جعفر، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩م.
- المحيط بالتكليف: القاضي عبد الجبار،ت: عمر السيد عزمي، مراجعة: د.أحمد فؤاد الأهواني، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- المدخل إلى دراسة علم الكلام : د. حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة(القاهرة)، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة: د.محمد مهران رشوان،دار الثقافة للنشر والتوزيع،ط٢، ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤م.
- المدخل إلى الفلسفة : أزفلد كوليه ، ت: أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة)، ١٣٦١هـ-١٩٤٢م.
- مدينة الله: القديس أوغسطينس، ت: الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق(بيروت)،ط١، ٢٠٠٢م.
- المذاهب الأخلاقية عرض ونقد : د.عادل العوا ، مطبعة الجامعة السورية ، ١٣٧٨هـ — ١٩٥٨م.
- المذاهب الفلسفية : د. عادل العوا، منشورات جامعة دمشق، ط٧، ١٤٢١ هـ — ٢٠٠٠م.
- مذاهب فلسفية كبرى: مواجهة بدائل بناء وهدم المحتوى:د. محمد محمد بالروين،دار النهضة العربية (بيروت)، ١٩٩٥ م.
- المذاهب الفلسفية المعاصرة : سماح رافع أحمد، مكتبة مدبولي، ط١ ، ١٩٧٣م.
- المسند: أحمد بن حنبل، ت: د.شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، دار الرسالة(دمشق)،ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- مشاكل الفلسفة: برتراند رسل، ت: محمد عماد الدين إسماعيل وعطية محمود هنا، مطبعة دار الشرق(مصر)، ط١، ١٩٤٧م.
- مشكلات ما بعد الطبيعة: بول جانيه وجبريل سياي، ت: يحي هويدي، مكتبة الأنجلوالمصرية (القاهرة)، ١٩٦١م.
- المشكلات الميتافيزيقية الكبرى: فرانسوا غريغوار، ت: نهاد رضا ، دار مكتبة الحياة (بيروت).
- المشكلة الأخلاقية والفلاسفة: أندريه كريسون، ت: د. عبد الحليم محمود وأبو بكر زكرى، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦م.
- مشكلة الإنسان : د. زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر.
- مشكلة الألوهية : د.محمد غلاب ، دار إحياء الكتب العربية ، ط٢ ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م.
- مشكلة الشر : كاراس المحرقي ، مراجعة وتقديم الأنبا رافائيل ، مطبعة شركة الطباعة المصرية ، ٢٠٠٧ م.
- مشكلة الشر عند قدماء المعتزلة:د.عبد الحكيم يوسف الخليفي،حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية(جامعة قطر) ، العدد١٥، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- معالم أصول الدين: فخر الدين الرازي، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي(لبنان).
- المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جيفري باندر، ت: د . إمام عبد الفتاح إمام ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ، ١٩٩٦م.
- المعجم الفلسفي : د. جميل صليبا ، الشركة العالمية للكتاب(بيروت) ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة : يوسف الصديق، الدار العربية للكتاب(ليبيا- تونس)، ١٩٧٦ م.
- المفكرون من سقراط إلى سارتر : هنري توماس ودانالي توماس، ت: عثمان نويه، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٧٠م.
- مقالات فلسفية :د.أحمد محمود صبحي، دار النهضة العربية (بيروت)، ط١، ١٩٩٧ م.
- مقدمة ابن خلدون :عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مكتبة المثنى (بغداد).
- مقدمة في علم الأخلاق : د. محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي (القاهرة)، ط٤، ١٩٩٣م.
- مقدمة في الفلسفة الإسلامية : د . عمر محمد التومي الشيباني، الدار العربية للكتاب(تونس)، ط٣ ، ١٩٨٣م.
- المقدمة في فلسفة الدين : أديب صعب ،دار النهار (بيروت)، ١٩٩٤م.
- مقدمة في الفلسفة المعاصرة : د. محمد مهران ، ود. محمد مدين، دار قباء (القاهرة)، ٢٠٠٤م.
- من الحكيم القديم إلى المواطن الحديث: للأساتذة بوجليه،بربيه، دي لاكروا،بارودي، ت: محمد مندور (القاهرة)، ط١، ١٩٤٤م.

- من زاوية فلسفية : د. زكي نجيب محمود، دار الشروق، ط٤، ١٤١٤ هـ — ١٩٩٣م.
- من فلسفة الوجود إلى البنيوية: ت.أ.ساخاروفا، ت: د.أحمد برقاوي، دار دمشق ودار المسيرة(لبنان)، ط١، ١٩٨٤م.
- منبعا الأخلاق والدين: هنري برجسون، ت:سامي الدروبي وعبد الله عبد الدايم، مكتبة نهضة مصر (الفجالة)، ط١، ١٩٤٥م.
- ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان: د.حربي عباس عطيتو، دار المعرفة الجامعية (بيروت)، ١٩٩٢م.
- الموت في الفكر الغربي :جاك شورون، ت: كامل يوسف حسين (الكويت)، من سلسلة عالم المعرفة العدد٧٦ .
- الموسوعة الإسلامية العامة : د. محمود حمدي زقزوق،(القاهرة)،١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م.
- موسوعة تاريخ الأديان : فراس السواح ، دار علاء الدين (دمشق)، ط١ ، ٢٠٠٤ م.
- موسوعة الفلسفة والفلاسفة : د.عبد المنعم الحفني ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ١٩٩٩ م.
- الموسوعة الفلسفية المختصرة: مجموعة مؤلفين غربيين، ت: فؤاد كامل، جلال العشري، عبد الرشيد الصادق، مراجعة: د.زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلوالمصرية(القاهرة).
- موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباده المرسلين: مصطفى صبري،دار التربية(دمشق — بيروت)، ط١، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٧ م.
- المونادولوجيا أو مبادئ الفلسفة: ليبنتز، ت: د.ألبير نصري نادر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية(بيروت)، ١٩٥٦م.
- الميتافيزيقا :د.إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة(القاهرة)،١٩٨٦م.
- ميتافيزيقا الفن عند شوبنهور : سعيد محمد توفيق، دار التنوير (بيروت)، ط١ ، ١٩٨٣م.
- النجاة في المنطق والإلهيات: الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا، ت : د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل (بيروت) ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.
- النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين : د. سناء خضر ،دار الوفاء(اسكندرية)، ط١،١٩٩٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، ،دار الكتب العلمية(بيروت)،ط١، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.
- نقد العقل المحض: إمانويل كانط، ت: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي(بيروت)، ١٩٨٨م.
- نيتشه : د. عبد الرحمن بدوي، من سلسلة خلاصة الفكر الأوربي، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢.
- الوجود الحق : د. حسن هويدي ، المكتب الإسلامي(دمشق — بيروت).
- الوجودية والإسلام : محمد لبيب البوهي، دار المعارف (مصر)، ١٩٦٠م.
- وليم جيمس : محمود زيدان، من سلسلة نوابغ الفكر الغربي (١٠)، دار المعارف(مصر).

٢- المراجع الأجنبية غير المترجمة:

- *A Companion to Descartes: Janet Broughton John Carriero,Blackwell Publishing,٢٠٠٨.*

- *A Companion to Kant: Graham Bird, Blackwell Publishing , ٢٠٠٦ .*

- *A Companion to Nietzsche: Keith Ansell Pearsonby Blackwell Publishing Ltd:٢٠٠٦.*

- *A Companion to Plato: Hugh H. Benson by Blackwell Publishing Ltd,٢٠٠٦.*

- *A Critical Exposition of the Philosophy of Leibniz,Bertrand Russell,London,George Allen and Unwin Ltd.*

- *A Syllabus of Systematic Theology:David S.Clark,Published by the Writer,Second Edition.*

- *An Introduction to the Philosophy of Religion:Brian Davies,Oxford University Preass,New York.*

- *Augustine and the Problem of Evil:Giedrius Saulytis.*

- *Between Absurdity and the Playwright: William I. Oliver, The Johns Hopkins University Press.*

- *Creator,Creation and Faith:Norman Young,Collins,St James Place,London,١٩٦٧.*

- *Divine Justice or The Problem of Evil:Javad Shayvard,World Organization for Islamic Services.Tehran-Iran,First Edition,١٩٧٧.*

- *Early Modern Philosophy : Donald Rutherford, Cambridge University Press, ٢٠٠٧.*

- *Encyclopedia of Philosophy, Paul Edwards ,Macmillan Publishing ,New York,١٩٦٧ .*

- *Encyclopedia of Religion: Lindsay Jones, Second Edition,Editor in Chief Printed in the United States of America,٢٠٠٥.*

- *Essays in Pragmatism:William James,Hafner Publishing Company,New York,١٩٥٧.*

- *Ethics,An Essay on the Understanding of Evil:Alain Badiou,Verso,London. New York,٢٠٠١.*

- *Evil in Modern Thought:Susan Neiman,Princeton University Press .*

- *Existentialism For Dummies:Christopher Panza and Gregory Gale, Wiley Publishing,*
Inc Indianapolis, Indiana,٢٠٠٨.

- God and Evil:Readings on the Theological Problem of Evil:Nelson Bike,Prentice-Hall,inc.New Jersey.
- God in Patristic Thought:G.L.Prestige,London,S.P.C.K.
- Introduction to Philosophy:Knowledge and Reality:Dr.Brandon C.Look,University of Kentucky.
- Good and Evil Readings on the Theological Problem of Evil:Nelson Pike,New Gersey.
- Good and Evil Two Interpretations:Martin Buber,Charles Scribner,s Sons,New York,١٩٥٢.
- Leibniz:Logical and Metaphysics:Gottfried Martin,translated from the German by K.J.Northcott and P.G.Lucas,Manchester University Press,١٩٦٤.
- Leibniz:New Essays Concerning the Human Understanding:John Dewey,Hillary House Publishers,Ltd,New York,١٩٦١.
- Leviathan:Thomas Hobbes,Volum٣,from The English Works of Thomas Hobbes,London,John Bohn,First Edition,١٩٦٦.
- Our Buddha:Moni Bagchee,Buddhist Missionary Society(Kuala Lumpur,Malaysia), First Edition,١٩٩٩.
- Religion Withen the Limits of Reason Alone:Immanuel Kant,Translated by Theodore M. Greene & Hoyt H. Hudson.
- Some Knowledge About Buddhism:Dr.C.T.Shen,Ybam Buddhist Digest(Penang).
-The Encyclopedia Americana :By Americana Corporation,١٩٧٥.
- Karma,Rebirth,and the Problem of Evil:Whitly R.P.Kaufman,University of Hawaii Press,٢٠٠٥.
-Leibniz:Herbert Wildon Carr,Dover Publications,Inc.New York,١٩٦٠.
- Leibniz:New Essays Concerning the Human Understanding:John Dewey,Hillary House Publishers,Ltd,New York,١٩٦١.
- Medieval Philosophy:Frederick C. Copleston,Harper Brothers, New York.
- Philosophy Of Religion: A Book of Readings: George L. Abernethy and Thomas A. Langford,New York-The Macmillan Company.
- Philosophy Of Religion:Edgar Sheffield Brightman, New York _ Hall, Inc١٩٤٠.

- *Philosophy Of Religion A Contemporary Introduction:Keith E. Yandell,Routledge, London and New York .*
- *Philosophy of Religion: William E. Mann,. ed., Oxford:Blackwell Publishers.*
- *Philosophy of Religion:H.D.Lewis,St.Paul House Warwick Lane London .*
- *Principles of Christian Theology:John Macquarrie, Scm,Press Ltd,London,١٩٦٦.*
- *Providence and Evil:Peter Geach,Cambridge University Press.London.New York,١٩٧٩.*
- *Readings in the Philosophy of Religion: An Analytic Approach:Baruch A.Brody, Prentice Hall,Englewood Cliffs,New Jersey ٠٧٦٣٢.*
- *Saint Thomas and the Problem of Evil:Nihil Obstat,Marquette University Press Mikwaukee,١٩٤٢.*
- *Science and Health:Mary Baker Eddy,Boston,١٩٣٤.*
- *Studies in the Philosophy of Religion:A.Seth Pringle-Pattison,Oxford,at the Clarendon Press,١٩٣٠.*
- *The Brothers Karamazov :Fedodor Dostoevski,www.planetpdf.com .*
- *The Cambridge Companion to Leibniz:Nicholas Jolley, Cambridge University Press,١٩٩٥.*
- *The Encyclopedia of Philosophy:Ed, paul Edwards,New York, ١٩٦٧.*
- *The Faith of the Christian Church:Gustaf Aulen,translated from the fifth Swedish edition by Eric H.Wahlstrom,The Muhlenberg Press,Philadelphia,١٩٦٠.*
- *The History of Philosophy:Paul. Glenn,B.Herder Book co.,١٩٤٨.*
- *The New Encyclopedia Britannica: William Benton,Publisher,USA, ١٩٧٥.*
- *The Oxford Companion to Philosophy : Ted Honderich, Oxford University Press,New York,١٩٩٥ .*
- *The Philosophical Dictionary : Voltaire, Selected and Translated by H.I. Woolf, New York: Knopf, ١٩٢٤.www.history.hanover.edu.*
- *The Philosophy Of Religion:George Galloway,Edinburgh ,printed by Morrisson and Gibb Limited,London. New York.*
- *The Problem Of Evil : Vincent Cheung,Boston,USA, Copyright © ٢٠٠٤ by Vincent Cheung, www.vincentcheung.com.*
- *The Reality of God and the Problem of Evil:Brian Davies , Continuum*

International Publishing Group Continuum.
London.New York , ٢٠٠٦ .
- The Religion of The Manichees: F.C.Burkitt,Cambridge,١٩٢٥.
- The World and God:A Study of Prayer,Providence and Miracle in Christian Experience:H.H.Farmer,Nisbet and Co.Ltd,London.
- The World As Will and Idea: Arthur Schopenhauer. Translated From The German By R. B. Haldane , M.A.And J. Kemp, M.A., Trinltd in Oreat٣ Britain by Ballastvne, Hanson & Co. Seventh Edition .١٩١٠.
- Theism and Empiricism:A.Boyce Gibson,Scm Press Ltd,London,١٩٧٠.
- Theodicy: G.W. Leibniz, Printed and bound in the United States of America,Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, Fifth printing,١٩٩٦.
- Theodicy in Islamic Thought:Eric L.Oramsby, Princeton University Press, ١٩٨٤.
- Why Believe? Reason and Mystery as Pointers to God:C.Stephen Evans,William B.Eerdmans Publishing Company,Grand Rapids,Michigan,Inter-Varsity Press,Leicester,England,١٩٩٦.
- Why I Am Not a Christian:Bertrand Russell, a lecture was delivered on March ٦, ١٩٢٧, at Battersea Town Hall under the auspices of the South London Branch of that National Secular Society.
- Wickedness ,A philosophicall essay:Mary Midgley,Routledge and Kegan Paul,London,Boston,١٩٨٤.

٤- بحوث من الشابكة:

١- المواقع الأجنبية:

Wikipedia, the free encyclopedia.www.en.Wikipedia.org. Alvin Plantinga.

Wikipedia, the free encyclopedia.www.en.Wikipedia.org.Pelaguis.

Wikipedia, the free encyclopedia.www.en.Wikipedia.org. Problem of Evil.

Internet Encyclopedia of Philosophy, www.iep.utm.edu.

The Problem of Evil in Contemporary and Modern Thought, www.philreligion.nd.edu. Evil and the God of Love , John Hick , Theodicy Versus Hell,www.Johnhick.org.uk.

If God is all powerful and good, where does evil come from?:Wayne Ferguson, www.kheper.net.

٢- المواقع والمنتديات العربية:

- موقع الإسلام وحوار الأديان:www.freemediawatch.orgمقالة (تناصية الموت مع المعرفة والحياة): منير مزيد.
- موقع الإسلام الوسط: www.islamwasat.com مقالة (التشاؤم:معناه وصوره وأحكامه): الشيخ محمد عدنان.
- موقع الأوان: من أجل ثقافة عقلانية علمية تنويرية:www.alawan.org، مقالة(الله وإبليس: الشر والعذاب): برنارد ليكيند.
- موقع الحزب الليبرالي الديمقراطي العراقي: www.liberaldemocraticpartyofiraq.com،مقالة(الفلسفة الوجودية ومسألة الشر):الطيب بو عز.
- موقع صيد الفوائد: www.saaid.net، مقالة (هل المكروه والشر ينسب إلى الله مع أنه خلقه وقدّره): عبد الرحمن السحيم.
- موقع الكلمة: www.alkalema.net، مقالة (الله والشر والمصير):كوستي بندلي.
- موقع مدرسة الحياة: www.lifeschool.jeeran.com، مقالة: (قالوا عن الحياة): المشرفون على الموقع.
- موقع مجلة المعرفة: www.almarefh.orgمقالة (الشيطان ومشكلة الشر في العالم): محمد عثمان الخشت.
- مقالة (بين الدين والفلسفة .. الشيطان ومشكلة الشر في العالم) : محمد عثمان الخشت، مجلة المعرفة، العدد ١٣١،٤/٥/٢٠٠٩م.
- موقع مع اللادينيين والملحدين العرب: www.ladeenyon.netمقالة(تطور الدين اليهودي:دراسة في أصول معتقداتنا المتوارثة):العزاء الصوفي.
- موقع الملتقى: www.almultaka.netمقالة(الفطرة الإنسانية وتجاذب الخير والشر في الرؤية الإسلامية): هشام منوّر.
- موقع من أجل الحقيقة: www.٤truth.com مقالة (الإلحاد): بيل غوردون.
- موقع موسوعة دهشة العربية ٢٠١١م : www.dahsha.com درس رقم(٥٥) من دروس العقيدة بعنوان (الإيمان بالقدر وقضية خلق الشر في الكون).
- موقعنؤمن بإله واحد : www.ofm.١god.htmالموسوعة العربية المسيحية: مقالة(غريغوريوس النيصي).
- موقع نور: www.nuronline.comمقالة (مشكلة الشر في رسائل النور): د.محمد آيدن.
- موقع وزارة الأوقاف المصرية: www.elazhar.comموسوعة المفاهيم، مادة (الشر): محمد السيد الجليند.
- منتدى الأصلين:www.aslein.comمقالة (الشر في أفعال الله تعالى): بلال إسماعيل التل.
- منتدى أهل الحديث: www.ahlahdeeth.comمقالة (الإمام أبو حامد الغزالي): ابن حسين الحنفي.
- منتديات البصرة: www.٣raq-online.comمقالة (نبوءة ظهور المخلص..جذورها الأسطورية..من أين جاءت ؟): د.أبا الحكم.
- منتديات تعب قلبي: www.te٣p.com مقالة (الإلحاد والانتحار وقوة تعاليم الإسلام): د. عبد الدائم الكحيل.
- منتدى التوحيد، www.eltwheed.com، وفيه المقالات التالية:

  مقالة(المفكر الغربي شوبنهور: نقد علمي لفكره):سليمان الخراشي.

  مقالة (المفكر الغربي نيتشه: نقد علمي لفكره): سليمان الخراشي.

  مقالة (لماذا خلق الله سبحانه الشر) : ناصر التوحيد.

  مقالة (التفسير العقابي للكوارث): ابن القيم.

مقالة (تحليل قصة المناظرة في خلق الشر): حمادة.
- منتدى ثمار الأوراق: www.themar.ahlamontada.netمقالة (القيم الأخلاقية عبر العصور): حسين الفوهور.
- منتديات حراس العقيدة: www.hurras.comمقالة (لماذا خلق الله الشر؟): د.ربيع أحمد.
- منتدى حيران: www.hayran.info. مقالة (هل يتعارض العقل مع الدين): م. عزام حدبا.
- منتدى سوريا: www.Syriaforum.net: مقالة (هل وجود الله ينفي وجود الشر ؟): كارمن.
- منتدى طبيعي: www.tabee3i.comمقالة (مشكلة الشر في الفكر المسيحي): تيسير الفارس العفيشات.
- مقالة التناقض بين الثقافة والطبيعة وعقيدة الشر الإنساني، هل بُنيت الحضارة الغربية على وهم خالص؟ عبد الهادي عيد، جريدة السفير، تاريخ ٩/ ٤/ ٢٠١٠ م.www.3poli.net.

رابعاً

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة البحث
المقدمة	٤
أولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياري له	٦
ثانياً: الصعوبات	٧
ثالثاً: إشكاليات البحث	٧
رابعاً: الدراسات السابقة	٨
١. الدراسات العربية	٨
٢. الدراسات الأجنبية	٩
خامساً: منهج البحث	١٠
سادساً : خطة البحث	١٠
سابعاً : أهم المصادر والمراجع	١١
١- المراجع العربية	١١
٢- المراجع الأجنبية	١١
تمهيد	١٢
أولاً: تعريف عام بمشكلة الشر	١٣
ثانياً: الفكر الغربي الحديث والمعاصر	١٤
ثالثاً: مشكلة الشر في الفكر الفلسفي القديم والوسيط	١٦

١- أفلاطون	١٧
٢-أرسطو	١٨
٣- أبيقور	١٩
٤- الفلسفة الرواقية	٢٠
٥- أفلوطين	٢١
٦- القديس أوغسطين	٢٢
٧- القديس توما الأكويني	٢٣
رابعاً: مشكلة الشر في الديانات القديمة	٢٤
١- الديانة المصرية القديمة	٢٤
٢- الفيدية القديمة	٢٥
٣- الهندوسية	٢٦
٤- البوذية	٢٦
٥- الزرادشتية	٢٧
٦- المانوية	٢٧
٧- الكونفوشيوسية	٢٨
٨- الفلسفة الغنوصية	٢٩
تعقيب	٣٠
الفصل الأول: مشكلة الشر في الفكر الغربي الحديث والمعاصر	٣١
المبحث الأول : الاتجاه الديني	٣١
توطئة	٣٢

المطلب الأول: توماس هوبز	٣٤
المطلب الثاني: ديكارت	٣٦
المطلب الثالث: إسبينوزا	٤٠
المطلب الرابع: مالبرانش	٤٢
المطلب الخامس: ليبنتز	٤٥
المطلب السادس: روسو	٤٩
المطلب السابع: كانط	٥١
المطلب الثامن: وليم جيمس	٥٣
المطلب التاسع: جوزيا رويس	٥٥
المطلب العاشر: بول ريكور	٥٨
المبحث الثاني: الاتجاه اللاديني	٦١
المطلب الأول: فولتير	٦٤
المطلب الثاني: دولباخ	٦٨
المطلب الثالث: هيوم	٧٤
المطلب الرابع: جون ستيوارت مل	٧٢
المطلب الخامس: شوبنهور	٧٦
المطلب السادس: دستوفسكي	٨٠
المطلب السابع: نيتشه	٨٤
المطلب الثامن: برتراند رسل	٨٧
المطلب التاسع: ألبير كامو	٨٩

المطلب العاشر: سارتر	٩٢
الفصل الثاني: التحليل والنقد	٩٥
المبحث الأول : تمهيد في الفلسفة والدين	٩٦
المطلب الأول: الميتافيزيقا بين الفلسفة والدين	٩٧
المطلب الثاني: موقف الفلاسفة من ظاهرة الوحي	٩٨
المطلب الثالث: الدين الطبيعي	٩٩
المطلب الرابع: موقف الإسلام من الفلسفة	١٠٠
المبحث الثاني: مشكلة الشر ومسألة الألوهية	١٠٢
المطلب الأول: وجود الله تعالى	١٠٣
المطلب الثاني: موت الإله	١٠٧
المطلب الثالث: صفات الله تعالى	١٠٩
المطلب الرابع: ظاهرة العناية الإلهية	١١٢
المبحث الثالث: حلول مشكلة الشر	١١٥
المطلب الأول: الشر مكمل للخير	١١٦
المطلب الثاني: دفاع الخير الأكبر	١٢٠
المطلب الثالث: دفاع الإرادة الحرة	١٢٤
تعقيب	١٢٧
المطلب الرابع: الآخرة	١٣٠
المطلب الخامس: الشر عدم	١٣٢
المطلب السادس: نتائج الخطايا	١٣٥

النظرة الإسلامية لعلاقة الخطيئة بالمصيبة	١٣٦
المطلب السابع: العلم البشري المحدود	١٣٩
المطلب الثامن: الخطيئة الأصلية	١٤٢
المطلب التاسع: أفضل العوالم الممكنة	١٤٥
المطلب العاشر: الشر نسبي وعرضي	١٤٩
ملحوظات عقدية وفلسفية	١٥١
الفصل الثالث: قضايا الشر المحض والتشاؤم والحل الإسلامي	١٥٤
المبحث الأول: الشر المحض	١٥٥
تمهيد	١٥٦
المطلب الأول: إبليس	١٥٩
المطلب الثاني: الكفر والمعاصي	١٦١
المطلب الثالث: الحروب	١٦٢
المطلب الرابع: البراكين والزلازل	١٦٣
المطلب الخامس: الموت	١٦٥
المطلب السادس: موت الأطفال	١٦٧
المطلب السابع: آلام الحيوانات	١٦٩
المبحث الثاني: مشكلة الشر بين المتشائمين والمتفائلين	١٧١
تمهيد	١٧٢
المطلب الأول: شوبنهور والتشاؤم	١٧٣
المطلب الثاني: الفلسفة الوجودية والتشاؤم	١٧٧

المطلب الثالث: مشكلة الشر والتفاؤل	١٧٩
المطلب الرابع: الموقف الإسلامي من التفاؤل والتشاؤم	١٨١
المبحث الثالث: الطبيعة الإنسانية بين الخير والشر	١٨٣
المبحث الرابع: الحل الإسلامي لمشكلة الشر	١٨٦
تمهيد	١٨٧
المطلب الأول: تعريف الشر وحقيقة الخير والشر في الإسلام	١٨٨
أولاً: تعريف الشر	١٨٨
ثانياً: حقيقة الخير والشر في الإسلام	١٨٨
ثالثاً: اللذة والألم	١٨٩
المطلب الثاني: الله تعالى خالق الخير والشر	١٩١
المطلب الثالث: مسألة الحسن والقبح	١٩٣
المطلب الرابع: القضاء والقدر	١٩٥
المطلب الخامس: الشر الخلقي	١٩٧
المطلب السادس: الشر حاصل في مفعولات الله لا في أفعاله	١٩٩
المطلب السابع: حقائق كونية وشرعية لا بد منها	٢٠١
المطلب الثامن: حكم خلق الشر	٢٠٥
١- الأمراض والأوبئة	٢٠٨
٢- الآلام	٢٠٨
٣- خلق الحيوانات الضارة	٢٠٩
٤- المنع والعطاء	٢١٠

ملحوظات	٢١٣
النتائج والتوصيات	٢١٥
الفهارس العامة	٢١٦
أولاً : فهرس الآيات	٢١٧
ثانياً : فهرس الأحاديث	٢٢٢
ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع	٢٢٣
١- المصادر والمراجع العربية	٢٢٣
٢- المصادر والمراجع الأجنبية غير المترجمة	٢٣٢
٣- بحوث من الشابكة	٢٣٦
١- المواقع الأجنبية	٢٤٤
٢- المواقع والمنتديات العربية	٢٣٧
رابعاً : فهرس الموضوعات	٢٣٩